أيلاليات

صحيح البخاري نهاية أسطورة



تأليف
عبد العزيز بنفتح اللّه

أيلاليات - صحيح البخاري نهاية أسطورة



تأليف - عبد العزيز بنفتح الله

وفي الختام،

أدعو جميع المسلمين في العالم أجمع، إلى ألا يأخذوا فتاوى دينهم،

إلا من الجهات الرسمية الخاصة بالإفتاء، في البلد الذي ينتمون إليه.

وَأُنَبِّهُ المغاربة، إلى أن لَدينا في المغرب: "الهيئة العلمية المكلفة بالإفتاء".

وهي هيئة مُحدثَةٌ لدى "المجلس الأعلى"، كما نَصَّ عليه الظهير الشريف.

بالإضافة إلى المجالس العلمية، التي لا يخلو منها إقليم من الأقاليم

في المملكة الشريفة، لكل إقليم مجلسه.

فلا داعي، رعاكم اللّه، لأخذ الفتوى مِنْ كُلِّ مَن هبَّ وَدَبَّ.

ولو التزم الناس بما قُلْتُ، لما تركوا مجالا للرؤوس الجُهَّال،

يُفْتُونَ بِغَيْرِ عِلم فَيَضِلُّونَ وَيُضِلُّونَ.

الثمن: 80 درهما

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وءاله وصحبه

أيلاليات

صحيح البخاري نهاية أسطورة

"وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا". الفرقان 05

عبد العزيز بنفتح الله



بسم الله الرحمن الرحيم

الكتاب: أيلاليات صحيح البخاري نهاية اسطورة

الكاتب: عبد العزيز بنفتح الله الملقب بأبي الفتح الجعفي

الإيداع القانوني: 2025MO6302

ردمك: 978-9920-25-228-7

الطبع:

L'imprimeur-salé 84, AV okba ibn nafie, hay rachad. Hssain - salé Maroc

limprimeur2011@gmail.com

الهاتف: 0808526060

الطبعة الأولى

2025ميلادي / 1447هجري

إهداء..

إ لى الْحَاجَّةِ فاطمة.. أختي الغاليَّة..

ثاوِيَةً في دار البقاء

رَحِمَهَا الله تعالى.

أُمِّنَا الثانية

مُعَلِّمَةِ الجيل الذّهبي في الزَّمَنِ الجميل..

وإلى أختي الثَّانية.. مَليكة

اَلْمُعَلِّمَةِ المخضرمة

صابِرَةً مُتَفانِيَةً.. راضِيَةً مُتَفائِلَةً..

بما بَوَّأْتُماني مَقامًا عَلِيًّا على عرش الطُّهْرِ والفضيلة..

فلا أَعْيَى ولا أَضْجَرُ.. في زمن الزَّيْفِ والشُّحوبِ.

إليكما أختَايَ..

أَرْفَعُ صحائفي هاته..

إِكْبارًا وإِجْلالًا..

إمضاء: عبد العزيز بنفتح الله

ترجمة المؤلف

الأستاذ عبد العزيز بنفتح الله، الملقب بأبي الفتح الجعفي: الفقيه الأريب، والشاعر الأديب، من مواليد الرباط بالمغرب، سنة: 1958م.

حصل على شهادة التعليم الثانوي في الأدب المزدوج من ثانوية: مولاي يوسف بالرباط، سنة: 1979م.

تخرج من كلية أصول الدين التابعة لجامعة القرويين بتطوان، سنة: 1982م.

حصل على شهادة الدراسات العليا في علوم القرآن والحديث، من دار الحديث الحسنية بالرباط، سنة: 1985م.

حصل على شهادة الأهلية التربوية (شعبة الدراسات الإسلامية) من كلية علوم التربية بالرباط، سنة: 1986م.

أفاد من علماء عصره شمال المغرب وجنوبه، كما وسع اطلاعه في باقي المجالات الأدبية والاجتماعية والتاريخية.

عمل أستاذا بسلك التعليم الثانوي منذ سنة: 1986م.

ترأس جمعية: ميثاق الشباب للأدب والثقافة والفن بالرباط، سنة: 1987م.

نشر عدة أشعار ومقالات، وقصص قصيرة في مختلف الجرائد، وطبع له أول ديوان في الشعر العمودي، تحت عنوان: أطلال، سنة: 1996م.

شغل منصب رئيس تحرير في جريدة: "صوت الشارع"، منذ سنة: 2007 م، وكان يحرر زاوية: "عصفور من الأقصى".

انكب على دراسة الإسلام من أصوله منذ نعومة أظافره، وقرأ الكتب التاريخية والأدبية، فتكونت لديه أفكاره الخاصة، هذه الأفكار التي تهدف إلى تنقية الدين مما شابه من تشدد ومغالاة.

كما دعا إلى المحافظة على اللغة العربية، والتمسك بها، على أنها رمز وحدة الأمة الإسلامية، ولغة القرآن الكريم.

تَقَلَّبَ في عدة جماعات إسلامية، داعيا إلى الله، باحثا عن الطريق الحق، الموصل إلى معرفة الخالق عز وجل.

تخصص في الفكر الصوفي، الذي لم يسلم هو الآخر عنده من نقد وتصحيح لبعض أفكاره، ونادى بالصوفية السنية الخالية من القداسة، والتشدد في مجاهدة النفس، مما يخرجها عن هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، في الاعتدال، ويميل بها عن مبدإ وسطية الأمة.

في حين رد على مَنْ عَدِمَ الخير في أمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يُقَدِّرْ أولياءهم وصالحيهم.

من إصدارات المؤلف:

ـ "سَوَانِحُ الْخَوَاطِرِ فِي كَوَامِنِ السَّرَائِرِ"

ـ "أَبْوَابُ الشَّيْطَانِ"

ـ "صَدُّ الْمَجَانِيقِ عَنْ نَسْفِ قِصَّةِ الْغَرَانِيقِ". وهو رد على كتاب الشيخ ناصر الدين الألباني: "نَصْبُ الْمَجَانِيقِ لِنَسْفِ قِصَّةِ الْغَرَانِيقِ"

ـ "اَلِاسْتِبْشَارُ بِشَرْحِ مَا خَفِيَ فِي زِنَّارٍ مِنْ لَطَائِفِ الْمَعَانِي وَالْأَفْكَارِ وَرَقَائِقِ الْحِكَمِ وَالْأَسْرَارِ". المسمى: "اَللُّطْفُ الْخَفِيُّ فِي شَرْحِ رُبَاعِيَّاتِ الْجُعْفِيِّ"

ـ "شرح تائية الجعفي" المسمى: "المغاني النفيسة في شرح معاني الكبيسة"

ـ "كتاب المفاهيم"

أصدر ديوانين شعريين:

الأول: ديوان "أَطْلال"

والثاني: ديوان "لِأُوَيْسٍ هَذِهِ الْمَزَامِيرُ"

ولا زال له كتب ودواوين مخطوطة، نرجو أن ترى النور في القريب إن شاء الله تعالى.

توطئة

أصدرت مؤسسة "راند" الأمريكية (RAND Corporation) تقريرًا شهيرًا سنة: 2007 بعنوان "بناء شبكات للمسلمين المعتدلين". وذلك، من أجل تشكيل ما تعتبره: "إسلامًا معتدلًا".

وَتُعَدُّ أَكْبَرَ مركز فكري في العالم، مَقَرُّهَا الرئيسي في ولاية كاليفورنيا الأمريكية. اشتقاق اسمها من: الأبحاث والتطوير: Research and Development

كما ترتبط، بعلاقات ومشروعات بَحْثِيَّةٍ مع وكالة المخابرات المركزية ومكتب التحقيقات الفيدرالي، وتَصُبُّ كثيرٌ من الدراسات والبحوث الصادرة عن هذه المؤسسة، في خانة أنصار مواجهة الإسلام والمسلمين.

ومِنْ بَيْنِ ما وَرَدَ في هذا التقرير: التركيز على دعم التيارات التي تُعادي المدارس السنية التقليدية، وعلى رأسها التيار القرآني (أو القرآنيون)، الذين يرفضون السنة النبوية كمصدر تشريعي، ويَعْتَمِدُونَ القرآن وَحْدَهُ.

وقد وضعت خطة من أجل ذلك، ركزت فيها على:

- تَمْيِيعُ الْمَرْجِعِيَّةِ الإسلامية التقليدية، خاصة تلك المعتمدة على كُتُبِ الحديث، وعلى رأسها "صحيح البخاري".
- تَشْجِيعُ شبكاتٍ بديلةٍ مِنَ المثقفين والناشطين والكتّاب، الذين يُرَوِّجُونَ لِفِكْرِ "القرآنيين"، وتَمْكِينُهُمْ إعلاميًا وثقافيًا.
- رَبْطُ هؤلاء النُّشَطَاءِ بمنظمات دولية، وتمويلهم عَبْرَ مؤسسات مَانِحَةٍ غَرْبِيَّةٍ.
- احتضانُهم داخل مؤتمرات "الحوار بين الأديان" أو "تجديد الخطاب الديني"، لإعطائهم صفة "المفكرين الإصلاحيين".

تقول: "شيريل بينارد" في كتابها: "الإسلام الديمقراطي المدني": وإلى أن يَتَسَنَّى إنجازُ ما سَلَفَ، ينبغي تشكيل لجْنَةِ "نَقْضِ الأحاديث"، لِأَجْلِ مَنْ يَطْمَحُونَ لمجتمعات أكثر تسامحا، تقوم على المساواة والديمقراطية، وهؤلاء الذين ينشدون تغييرات "غير إسلامية". انتهى من "الإسلام الديمقراطي المدني" ل"شيريل بينارد".

وتقول كذلك في نفس الكتاب: وحتى لو لم يكن هذا هو الواقع، فمن الناحية الموضوعية، ليس ثَمَّ شَكٌّ، في أن الحديث، على أفضل الفروض، ما هو إلا أداة مَعِيبَةٌ ومَشْبُوهَةٌ. لنأخذ البخاري مثلا، فهو جامع الأحاديث الذي يعد كتابه أصح كتب الحديث، وأولاها بالثقة. انتهى

أما "شيريل بينارد"، فهي من مواليد: 1953 ميلادية، روائية وكاتبة وباحثة نمساوية، متخصصة في العلوم السياسية، كانت أَحَدَ أَهَمِّ مُحَلِّلِي مؤسسة "راند" الأمريكية.

وهذه أسماء بارزة في مسار التيار القرآني، أو ما سمي بشبكة المسلمين المعتدلين:

- جمال البنا (مصري): (1920-2013 ميلادية)، وهو الشقيق الأصغر لحسن البنا، مؤسس جماعة الإخوان المسلمين.
- علي منصور كيالي (سوري): ولد سنة: 1953 ميلادية، مهندس معماري.
- عدنان إبراهيم (فلسطيني): ولد سنة: 1966 ميلادية، خطيب مسجد الشورى بالعاصمة النمساوية فيينا، ورئيس جمعية: لقاء الحضارات.

بالإضافة إلى: محمد شحرور (سوري): (1938-2019)، مهندس مدني، قضى فترة شبابه في الاتحاد السوفياتي.

ويذكر تقرير "راند"، الصادر سنة: 2007، يذكر الكاتب السوري محمد شحرور، ويرى أنه معتدل لأنه تخلى عن الرؤى التقليدية، من خلال رفضه لمصادر الدين الأخرى، ومن بينها السنة، ولأنه أنزل الرسول من مكانته التقليدية لدى المسلمين، ليصبح في نظره، ليس أكثر من شخص مُثِيرٍ للإعجاب، وبَشَرٍ كسائر البشر. انتهى

ولا ننسى أحمد صبحي منصور (مصري)، وغيره ممن سنورده عند ذكر مَنْ نَقَلَ عنهم رشيد أيلال في كتابه الأسطورة.

إن تَبَنِّي مؤسسة "راند"، فكرة وضع الإسلام، في محل الشيوعية، ومواجهته في حرب باردة كما واجهت الشيوعية قبل انهيارها، تعد فكرة خاطئة، لأن الإسلام ليس إيديولوجيا، كما هو حال الشيوعية.

إن الإسلام معتقد وطيد مترسخ في قلوب المسلمين، عَبْرَ القرون، وهو دُسْتُورٌ كاملٌ، يَشْمُلُ جانبي القيم الروحية والإبداع المادي على السواء. وهو عقيدة وشريعة قائمة على القرآن وَكُتُبِ السنة، والتفسير والفقه وباقي العلوم الاسلامية. هو طقوس يومية وعادات اجتماعية عند المسلمين. من الصعب، بل من المستحيل، أن يَنْفَكُّوا عنها بالدِّعاياتِ الْمُغْرِضَةِ.

ولا يُمْكِنُ أن نَهْزِمَ هذا الطَّوْدَ العظيم، بتَسْخِيرِ شِرْذِمَةٍ مِنْ الأفراد الذين يُجَازِفُونَ باصطياد الْمَثَالِبِ السَّخِيفَةِ، وتِكْرارها عبر وسائل الإعلام، الرسمية والخاصة، على أسماع المراهقين والمراهقات.

يقول الباري عز وجل: "يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللهُ مُتِمٌّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ". الصف 08

ولا نَعْنِي هُنَا بالإسلام: الفكر الإرهابي، أو الفكر السلفي المتشدد. فإن الإسلام نفسه يحارب كل إرهاب وكل تَشَدُّدٍ.

إننا بِتشجيعنا ودَعْمِنَا للإسلام الحقيقي، سنَعْمَلُ على تَلاشي كُلِّ الأفكار غير الإسلامية، هذه الأفكار التي عَانَى منها حتى المسلمون أنفسهم.

وإن الإسلام، كما دل عليه التاريخ.. دينٌ يَنْتَشِرُ وَحْدَهُ في العالم بِأَسْرِهِ.. وإن الإسلام ما ضَيَّقْنَا عَلَيْهِ الْخِنَاقَ، إلا وذَاعَ وتَرَامَى في سَائِرِ الأرجاء.. وما زاد إلا ذيوعا وانتشارا.

لأنه بكل بساطة يَرْوِي رُوحَانِيَّةَ النّاس، ويَهَبُهُمْ نُفُوسًا مطمئنة راضية، ولأنه دِينُ طهارة وتَعَبُّدٍ، دِينُ وَحْدَةٍ وتَوَحُّدٍ.. دِينُ فَرْدٍ ودَوْلَةٍ.

ألا ترى إلى لغة الضاد، وهي لغة القرآن، كيف حار الدارسون المختصون في معرفة سر بقائها عبر القرون؟ رغم أنها كانت تتعايش مع لغات عريقة سامية كالأرامية والسريانية وغيرها، كيف بادت كل تلك اللغات، وبقيت اللغة العربية على حالها، رغم أن قومها تَعَرَّضُوا لغزو الحضارات المناوئة، في لغتهم وقوميتهم وعقائدهم منذ القديم..؟

وذلك دليل على أن الله تعالى صدق في قوله: "إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ، وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ". الحجر 9

فكيف يحفظ القرآن، إذا لم يحفظ اللغة التي أنزله بها؟

بل كيف يحفظ القرآن، إذا لم يحفظ السنة التي تُقَرِّبُهُ مِنْ أَفْهَامِ الْمُكَلَّفِينَ؟

ولا نخاف من هذه المخططات الأمريكية أن تخرج المسلمين عن إسلامهم. ولكن نخاف على فئة من المسلمين، نخاف على اليافعين، أن يَتَزَعْزَعَ إيمانهم ويَتَسَرَّبَ الشك إلى قلوبهم، ويفقدون الإيمان بربهم والثقة في نَبِيِّهِمْ.

أولئك المراهقون، هم تَلَامِذَةُ الإعدادي والثانوي. خاصة إذا لم ترق مقرراتنا الدراسية، إلى مستوى زرع الروح الإسلامية في النشء الصاعد على الخصوص.

تقول "شيريل بينارد" في كتابها: مِنَ المستبعد أن يُغَيِّرَ الشَّباب المنتمي لحركات الإسلام الراديكالية آراءه بسهولة، أما الجيل التالي، فالمتصور أنه يمكن التأثير عليه وتشكيل وعيه، بإدماج رسالة الإسلام الديمقراطي في المقررات الدراسية، ووسائل الإعلام في الدول ذات الصلة. انتهى

إن خطة مؤسسة "راند" لإنشاء شبكة "قرآنيين"، لم تكن مجرد توصيات بحثية، بل شكّلت استراتيجية ناعمة، تهدف إلى إعادة تشكيل المرجعيات داخل المجتمعات الإسلامية. وقد رافق هذه الاستراتيجية دعمٌ ممنهج لشخصيات ومشاريع تتحدى مرجعية السنة النبوية، وتفكك المؤسسات الدينية التقليدية. ولئن استطاعت هذه الخطة تحقيق بعض النجاح الإعلامي، فإنها لا تزال تواجه مقاومة علمية وشعبية واسعة في العالم الإسلامي، خاصة من قبل العلماء والمدارس السنية.

aiglebleu7@gmail.com

ألا وإِنَّ ما حَرَّمَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، مِثْلُ ما حَرَّمَ الله..

أخبر النبي صلى الله عليه وسلم، بهؤلاء المرجفين، والذين على أمثالهم، ممن يسمون أنفسهم بالقرآنيين، وماهم من القرآن في شيء، لأن القرآن يدعو إلى العمل بالسنة النبوية.

عن المقدام بن معدي كرب الكندي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: "يوشك الرجل متكئاً على أريكته يحدث بحديث من حديثي فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله عز وجل، ما وجدنا فيه من حلال استحللناه، وما وجدنا فيه من حرام حرمناه، ألا وإن ما حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم، مثل ما حرم الله". رواه الترمذي وأبو داود

قلت: وقد بدأت ظاهرة القائلين بالاكتفاء بالقرآن الكريم دون السنة منذ القديم:

عن أيوب، أن رجلا قال لمطرف بن عبد الله بن الشخير: لا تحدثونا إلا بالقرآن. فقال له مطرف: والله ما نريد بالقرآن بدلا، ولكن نريد من هو أعلم بالقرآن منا. انتهى من جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر

وعن الحسن أن عمران بن حصين،كان جالسا ومعه أصحابه، فقال رجل من القوم: لا تحدثونا الا بالقرآن، قال: فقال له: ادنه فدنا، فقال: أرأيت لو وُكِّلْتَ أنت وأصحابك إلى القرآن، أكنت تجد فيه صلاة الظهر أربعا وصلاة العصر أربعا والمغرب ثلاثا، تقرأ في اثنتين؟ أرأيت لو وُكِّلْتَ أنت وأصحابك إلى القرآن، أكنت تجد الطواف بالبيت سبعا والطواف بالصفا والمروة؟ ثم قال: أي قوم، خذوا عنا، فإنكم والله إن لا تفعلوا لتضلن. انتهى من الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي

قلت وَقَدِ ادَّعَى المرجفون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، لا يَتَلَقَّى شيئا عن الله تعالى غير القرآن، مُتَخَطِّينَ قوله تعالى: "وما ينطق عن الهوى". النجم 03، أو مفسرين ذلك بِنُطْقِهِ صلى الله عليه وسلم، بالقرآن دون السنة.

فأسائلهم قائلا: قوله تعالى: "وَإِذ اَسَرَّ النبيء إلى بعض أزواجه حديثا، فلما نَبَّأَتْ به وأظهره الله عليه عَرَّفَ بعضه وأعرض عن بعض، فلما نَبَّأَهَا به قالت مَنْ أَنْبَأَكَ هذا قال نَبَّأَنِيَ العليم الخبير". التحريم 03

فالقرآن صريح في هذه الآية بأن الله تعالى نبَأَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، بما أَفْشَتْ زوجه حفصة رضي الله عنها مِنْ حديث. وهذا الحديث ليس من القرآن.

وفيه دليل على أن الله قد يوحي إلى النبي صلى الله عليه وسلم غير القرآن. وف هذا كفاية للمتدبرين.

كما تنبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم، بهؤلاء المرجفين، الذين يفتنون الناس في دينهم، ويَدَّعون العلم وهو منهم براء.

ومن الأحاديث الواردة في ذلك:

حَدَّثَنِي بُسْرُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ الحَضْرَمِيُّ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا إِدْرِيسَ الخَوْلاَنِي أنه سمع حذيفة بن اليمان يقول: كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله، إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: "نعم". قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: "نعم، وفيه دخن". قلت: وما دخنه؟ قال: "قوم يهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر". قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: "نعم، دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها". قلت: يا رسول الله، صفهم لنا؟ فقال: "هم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا". قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: "تلزم جماعة المسلمين وإمامهم"، قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: "فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة، حتى يدركك الموت وأنت على ذلك". متفق عليه واللفظ للبخاري

عن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن أخوف ما أخاف عليكم بعدي كل منافق عليم اللسان". قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح، وقد رواه ابن حبان في صحيحه ولفظه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أخوف ما أخاف عليكم جدال منافق عليم اللسان".

وعن عقبة بن عامر يقول: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إِنِّي أخاف على أُمَّتِي اثنَتَيْن: القرآنَ واللَّبَن، أما اللَّبَن فيَبْتَغُون الرِّيفَ ويتَّبِعون الشَّهَوَاتِ ويَتْركون الصلوات، وأما القرآن فيتعلَّمه المنافقون فيُجادِلون به المؤمنين". رواه أحمد

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "تأتي على الناس سنوات جَدِعَاتٌ، يُصَدَّقُ فيها الكاذب ويُكَذَّبُ فيها الصَّادِقُ، ويُؤْتَمَنُ فيها الخائن ويُخَوَّنُ فيها الأمين، ويَنْطِقُ فيها الرُّوَيْبِضَةُ". قيل: يا رسول الله، وما الرُّوَيْبِضَةُ؟ قال: "الرجل التافِهُ يَتَكَلَّمُ في أَمْرِ الْعَامَّةِ". رواه الحاكم

عنوان مثير..!

"صحيح البخاري نهاية أسطورة".. عنوان مُثِيرٌ، لكتاب حَشَرَ فيه صاحبُه مجموعة مِنَ النُّقُولِ مِنْ كُتُبٍ أخرى، حتى أصبح الكتاب مَرْجِعًا لكل من أراد أن يتعرف على ما يقوله بعض الْمُرْجِفِينَ في كُتُبِهِمْ. من أمثال: محمود أبو رية ومحمد صادق النجمي وأحمد صبحي منصور. دون أن يُجَشِّمَ نفسه البحث في كل كتاب على حدة.

وقد ذكر أيلال نفسه أن مجموع طبعات كتابه الأسطورة، وصل لحدود الساعة إلى ثلاثة في المغرب وثلاثة في تونس وواحدة في العراق ولبنان، إضافة إلى طبعة في ألمانيا. انظر آش نيوز تيفي 30 أكتوبر 2025

وقد أُهْرِعَ بعض المفكرين والكتاب، بل وكثير من أصحاب وسائل التواصل الاجتماعي، إلى الرد على هذا الكتاب، مشكورين.

وأنا أَطَّلِعُ على أَهَمِّ هذه الكتب، أعني كتب الرد والانتقاد، لاحظت بعض الملاحظات، سأخرجها للقراء الكرام، بعد سرد عناوين هذه الكتب، حتى يتابعوني فيما أقول:

1- "التَّفْنِيدُ لِشُبُهَاتِ أيلال رشيد حول صحيح البخاري". إعداد الأستاذ: نبيل بن أحمد بلهي (41 صفحة)

2- "اَلْجَهَالَاتُ الْمَسْطُورَةُ في كتاب صحيح البخاري نهاية أسطورة". للأستاذ: محمد بن أحمد رفيق (466 صفحة)

3- "بُؤْسُ التَّنْوِيرِ نَقْدُ شُبُهَاتِ وأُكْذُوبَاتِ أيلال رشيد حول البخاري وصحيحه". للأستاذ: عبد الحميد ابن محمد المير (705 صفحة)

4- "بَيْعُ الْوَهْمِ تَهَافُتُ طَرْحِ رشيد أيلال عن صحيح البخاري". للأستاذ: يوسف سمرين (63 صفحة)

5- "وَقَفَاتٌ مَعَ كتاب (صحيح البخاري أسطورة وانْتَهَتْ) ومُؤَلِّفِهِ". للدكتور سعيد الصيني (32 صفحة)

6- "صَفْعَةُ إِذْلَالٍ لِتُرَّهَاتِ أيلال". للأستاذ عبد القادر الجوزي (324 صفحة)

7- السرقات التي صارت كتبا. دراسة لظاهرة سرقة جهود الآخرين من خلال استعراض ثلاثة نماذج هم: (مصطفى بوهندي، محمد الأنجري، رشيد أيلال). للأستاذ ليث العتابي. (استغرق نقد رشيد أيلال من الكتاب 45 صفحة)

قلت: تَرَاوَحَ عدد صفحات هذه الكتب بين: 32 إلى 705 صفحة.

وتركزت انتقادات كُتَّابِهَا على نُقَطٍ معينة، أُجْمِلُهَا في التَّالي:

1- كتاب: "صحيح البخاري نهاية أسطورة"، عبارة عن منقولات من كتب ومواقع أخرى، لا أقل ولا أكثر.

2- تضمن الكتاب منقولات من مصادر مختلفة، منها ما لم يُشِرْ صاحب الكتاب إلى مصادرها.

3- صاحب الكتاب، لم يكمل تعليمه الإعدادي، فلا يمكنه أن يؤلف كتابا، مما جعل كتابه عبارة عن: خذ من هنا وهنا، وقل: هذا كتابنا.

4- الكتاب لا يخضع لمنهج علمي، يقتضيه البحث العلمي الهادف.

5- أَكْثَرَ أيلال مِنَ السَّبِّ والشَّتْمِ، وبعض العبارات الهجينة التي لا تليق بأدبيات الكتابة والتأليف.

إلا أنني كونت مفهومي الخاص، لطبيعة الرد الذي يُوَاتِي كتابا كهذا.. كتابا بكل هذه المثالب.

ففي نظري، أن كل هذه الكتب، التي انتقدت "أسطورة رشيد أيلال"، لم تنتقد شيئا مما جاء فيه، اللهم إلا اللَّمم.

فكتاب الأسطورة هذا، لم يأت صاحبه بشيء مما ورد فيه، من عنده، وإنما كان يُعِيدُ ويُرَدِّدُ ما قاله غيره.

ففي مقدمة ناشر كتاب أيلال، يقول الناشر: وإذا كان الباحث (يعني رشيد أيلال) لم يأت بشيء من عنده، فإنه بذل جهدا مضنيا في البحث والتنقيب، الذي أخذ منه سنوات من الوقت. انتهى

فقد شهد عليه أنه لم يأت بشيء.

ثم تناقض مع قوله حين قال: "فإنه بذل جهدا مضنيا في البحث والتنقيب".

فلا أدري كيف يبذل جهدا مضنيا في البحث والتنقيب، ثم لا يأتي بشيء؟

إلا أننا لا حظنا، أنه طرح أمورا رددها المرجفون قبله.. بل لا زالوا يرددونها في كل حين وآن.. أمور من شأنها أن تُشَكِّكَ النَّشْءَ في مصداقية صحيح البخاري وكتب السنة جميعا. يحاولون بترديدها، أن يوهموا هذا النَّشْءَ،

بأن السنة تناقض القرآن.. ولا يمكن لكلام الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو بشر، أن يناقض كلام الله، وهو الخالق الواحد الأحد.. وما هي إلا كلمة حَقٍّ أُرِيدَ بها باطل.

وقد تضمن كتاب "أسطورة رشيد أيلال"، كما أحبذ أن أسميه، عشرات من هذه الأمور، لم أجد ردا عليها في هذه الكتب.

وهذا ما دعاني لأن أُخْرِجَ هذا الكتاب الذي بين أيديكم، بطريقة خاصة.

هذه الطريقة، تتمثل في إعطاء كل مسألة من المسائل، التي يثيرها رشيد أيلال في أسطورته باسمه، أو باسم أحد المرجفين، إعطائها ما تستحق من ردود قائمة على المنطق والحجة، بعيدا عن السَّبِّ والتجريح.

كل هذا، مع تقديراتي لما بَذَلَهُ هؤلاء الإخوة الغيورون على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم. من عناء وتَفَانٍ لا نظير لهما، في سبيل الدفاع عن صحيح البخاري والسنة الْمُشَرَّفَةِ.

حتى أنني لا يمكن أن أُحْصِيَ كل مَنْ رَدَّ على كتاب الأسطورة، سواء في مقال أو مؤلف، أو عن طريق قنوات وحسابات خاصة في وسائل التواصل الاجتماعية على الشبكة العنكبوتية.

مِنْ جميع الأعمار، شبابا وكهولا وشيبا، ذكورا وإناثا، مع اختلاف مستوياتهم الثقافية وطبقاتهم الاجتماعية، لكن تجمعهم غيرتهم على دين الإسلام.

وأكتفي بِذِكْرِ رَجُلَيْنِ من رجالات هذا البلد السعيد، وإلا فالرُّدُودُ توالت مِنْ كل ربوع البلاد الإسلامية، ولا يسعنا المجال لذكر أسماء أصحابها جميعا.

الأول: الشيخ العلامة الدكتور مصطفى بن حمزة: عالم دين وباحث مغربي، رئيس المجلس العلمي الجهوي بشرق المغرب، وداعية مشارك بالعديد من المحاضرات والمقالات داخل المغرب وخارجه.

وقد احتج هذا الرجل، على كتاب "أسطورة رشيد أيلال"، ونَبَّهَ الناس منه، وأبدى رأيه في الكتاب وفي صاحبه بكل كياسة ولباقة.

وأُحَيِّي في هذا الرجل، غيرتَه على دينه، وعلى أفراد أمته، فقد نزل إلى هموم الناس وشاركهم فيها، فنجده واقفا في وجوه العلمانيين.. واقفا فيما يراد بمدونة الأسرة.. واقفا في وجوه المرجفين، بكل همة وعزم واستماتة.

فجزاه الله تعالى عنا وعن أمة الإسلام خير الجزاء.

وقد تلقى الشيخ من رشيد أيلال، ومَنْ هُمْ على شَاكِلَتِهِ مِنَ المرجفين، ما لا يليق بأمثاله من العلماء العاملين والدعاة الصادقين، مِنْ سَبٍّ وقذف وتجريح.

الثاني: هو الدكتور إدريس الكنبوري: باحث أكاديمي ومفكر ومحلل سياسي مغربي.

وهو أول من حاول أن يكشف بعض ما ينقله أيلال مما لا يذكر مصادره.

ولا ننسى أن الرجل تَنَبَّهَ لخطط المرجفين ومن يقف وراءهم منذ عقود، وله عدة مؤلفات في ذلك، وأَعُدُّهُ مختصا في محمد شحرور، الذي يعتبر من أباطرة المرجفين، مِنْ شَدِّ ما رَدَّ عليه وسَفَّهَ أفكاره.

وقد تلقى هو الآخر، مِنَ العلمانيين والمرجفين وابلا من السب والشتم، ولم يثنه كل ذلك عن مواصلة مسيرته النبيلة. فله مني ومن أمة الإسلام خالص الشكر والامتنان.

رشيد أيلال.. من يكون هذا العابث..؟

من مواليد مدينة مراكش بالمغرب

لم يُكْمِلْ سلكه الإعدادي من دراسته (الثانية إعدادي)

ويعترف رشيد أيلال، بكونه أخطأ حين لم يُتْمِمْ دراسته الإعدادية فالثانوية، وأنه لم يدخل رحاب الجامعة، بسبب خطإ في تخطيطه المستقبلي. انظر مقالا تحت عنوان: نبذة عن الشاعر والصحفي المراكشي رشيد أيلال. في منتدى ناس مراكش

والظاهر أن أيلال حاول جهده، أن يطالع الكتب التي بين يديه، ليتجاوز ضعف مستواه الدراسي.

فهو يبرر عدم إتمامه دراسته "بسبب خطإ في تخطيطه المستقبلي"، حسب قوله. وفي تبريره هذا شيء من الغرابة، فكيف لطفل في السلك الإعدادي أن يخطئ في التخطيط لمستقبله. إلا إذا لم يفلح لظروف معينة وطرد من مدرسته؟

حاول جاهدا أن يكتب في القصة والشعر وأن يتعاطى الأدب، لكنه لم يحقق شيئا يذكر في ذلك.

فمن شعره: من المرجع نفسه أعلاه:

بثلاثة كتب العلا متفاخرا عبر الفدا يتناثر الذهب المنى

ترك الدنى نظم الحروف قصائدا فغدت جواهرها لنا أمل الغنى

جمع الفريق بجامع متواضع أمل بلا عمل إذن ذهب الهنا

لم يستطع أيلال أن يُحَصِّلَ مِنَ العلوم، بمطالعاته المتناثرة، ما يؤهله ليكون عِصَامِيًّا كَوَّنَ نَفْسَهُ بِنَفْسِهُ، كما هو حال بعض العصاميين، مثل الأديب الناقد عباس محمود العقاد، الذي لم يحصل سوى على شهادته الابتدائية.

فكان رشيد أيلال، يحلم بأن يعترف به الناس، كمثقف قدير من المثقفين، أو مفكر جهبيذ من المفكرين. لأجل ذلك أقحم نفسه في التأليف.

لم يؤلف قصة من القصص أو رواية من الروايات، بل خاض بحرا ليس له ساحل، وتصدى لصحيح البخاري، تصدى لعلوم الحديث وما أدراك ما علوم الحديث.

فنقل ما كتبه بعض المرجفين، مِنْ هنا وهناك، وحَشَرَ تلك النقولات في كتاب، كتاب يتناول موضوعا يشغل الناس، كتاب يُبَوِّئُهُ مقعدا بين عصابة المرجفين.

فوقع في ما لا يقبله كل من يعرف أدنى مناهج البحث وقواعده، خاصة وأن رشيد أيلال، زاده زهوا بما ألف، تصفيقات الذين يَسِيرُ حيث سَيَّرُوهُ، ممن يهدفون إلى هدم عقيدة المسلمين.

فكان رشيد أيلال، ك"دون كيشوت دي لا مانشا"، بطل رواية للأديب الإسباني: "ميغيل دي ثيربانتس سابيدرا".

و"دون كيشوت"، رجل نبيل قارب الخمسين من العمر، يقيم في قرية في إقليم "لامانتشا"، وكان مولعًا بقراءة كتب الفروسية والشهامة بشكل كبير. وقرر أن يترك منزله وعاداته وتقاليده، ويَشُدَّ الرحال كفارس شهم يبحث عن مغامرة تنتظره، بسبب تأثره بقراءة كتب الفرسان الجوالين. وأخذ يتجول عبر البلاد، حاملًا درعًا قديما ومرتديًا خوذة بالية، ممتطيا حصانه الهزيل "روسينانتي"، حتى أصبح يحمل لقب "دون كيخوتي دي لا مانتشا"، ووُصف بفارس الظل الحزين.

فلما رأى طواحين الهواء، توهم أنها "شياطين لها أذرع هائلة تقوم بنشر الشر في العالم"، فقام بمهاجمتها، وغرس فيها رمحه؛ لكنه علق بها، فرفعته إلى الهواء عالياً، ثم طوّحت به أرضاً ورَضَّتْ عظامه.

ويظهر جليا، لكل من اطلع على كتاب: "أسطورة رشيد أيلال"، أنه لا يمتلك نفسا طويل في الكتابة، لذلك فهو يعيد ويكرر ما قاله كل مرة، كما يستعمل بعض الأساليب الركيكة، مثل: إلى يوم الناس هذا.. ضدا على أمر الرسول الكريم.

كتابه، أم كتابهم.. على مَنْ سَنَرُدُّ..؟

سَنَرُدُّ عَلَيْهِ، أَوْ سَنَرُدُّ عَلَيْهِمْ؟

هل هو كتابٌ أَلَّفَهُ مُؤَلِّفُهُ بمجهوده الفكري الخاص، وكَتَبَهُ بقلمه الفيَّاض، أَمْ هُوَ نُقُولٌ ونُقُولٌ، مِنْ كُتُبٍ أخرى يَنْقُلُهَا المؤلف الْخَجُولُ، ويُصَفِّقُ لها، ويَعْتَبِرُهَا دليلا على ما يقول؟ لا لشيء، سوى لأنها منقولة من الكتب، لا لشيء، سوى لأن يحسب مؤلفيها مفكرين أكفاء لا يجادلون فيما يقولون، ليس لأن ما يقولون هو عين الصواب، بل لأنهم استطاعوا أن يؤلفوا كتبا. وهو لا يَسْتَطِيعُ.

ولْأَتْرُكِ القراء، مع ما يقوله رشيد أيلال وهو ينقل لنا من الكتب والمواقع، لكي يَلُمَّ كتابه ويزيد في سُمْكِهِ، وكأننا أميون لا نقرأ ولا نكتب، وكأن تلك الكتب والمواقع لا تتوفر إلا عنده، ولا يعرفها أحد سواه، وكأننا لا نجيد النقل: (أشرنا إلى ترقيم الصفحات من "أسطورة أيلال")

ـ يقول رشيد أيلال: وهنا ارتأيت أن أنقل لكم، ما أورده المفكر المصري محمود أبو رية رحمه الله، في كتابه: "أضواء على السنة المحمدية". نَقْلاً عن الفقيه المحدث رشيد رضا، رحمه الله، صاحب: "المنار في الموازنة والمقارنة بين أحاديث منع كتابة الحديث، والأحاديث المجيزة له". انتهى صفحة 19-20

ـ وسنورد هنا، مجموعة من الأحاديث التي رواها المحدثون أنفسهم في هذا الشأن. انتهى صفحة 21-24

ـ وفي مناقشة هذا الحديث والتعقيب عليه، للكاتب الأريب محمود أبو رية، في كتابه: "أضواء على السنة المحمدية"، ما يريح النفس، ويرتاح إليه القلب. أنقله عنه رحمه الله. انتهى صفحة 30-32

ـ وهنا أنقل لكم، ما جاء عن الشيخ محمد صالح المنجد، المشرف العام على موقع "إسلامكا"، على هذا الرابط. انتهى صفحة 32-33

ـ فقد ألف ابن حجر الهيتمي، رسالة سماها: "مبلغ الأرب في فخر العرب"، ذكر فيها الأحاديث الواردة في فضل العرب، والنهي عن بغضهم، مما قد يكون قريبا مما ذكرت، وإليك بعض هذه الأحاديث. انتهى صفحة 34-35

ـــ وفي هذا الصدد، يقول الدكتور عماد حسن رحمه الله، في مقالة له نشرها على صفحة الفيسبوك، بعنوان: "خرافة علم الرجال" ما يلي. انتهى صفحة 45

ـــ ثم يضيف الدكتور عماد حسن في نفس المصدر بقوله. انتهى صفحة 46-48

ـــ وقد أحببت أن أصدر مناقشتي لهاته القضية، بنقل عن الدكتور أحمد صبحي منصور، من مقال له، نشر سنة 2005، على موقع "الحوار المتمدن"، أي قبل 11 سنة، بعنوان: "الإسناد في الحديث". انتهى صفحة 49

ـــ يقول الدكتور أحمد صبحي منصور، في نفس المصدر السابق. انتهى صفحة 50-51

وهنا أنقل لكم، ما أورده الكاتب زكريا أوزون، في كتابه: "جناية البخاري"، ص 20، نقلا من كتاب: "تاريخ الذهبي"، وكتاب "العقد الفريد" لابن عبد ربه، حول رأي الخليفة عمر بن الخطاب، في الصحابي أبي هريرة. انتهى صفحة 52

ـــ وقد أورد أبو رية في كتابه: "أضواء على السنة المحمدية"، مجموعة من الأحاديث التي اختلف الصحابة بشأن دلالتها وروايتها، أنقلها لك أيها القارئ الكريم، لتقف على بعض هاته الحقائق المغيبة من طرف العديد من الشيوخ. انتهى صفحة 53-54

ـــ نقد الصحابة بعضهم لبعض: (نقلا عن أبو رية). انتهى صفحة 54-55

ـــ ويضيف أبو رية في نفس المصدر. انتهى صفحة 55-58

ـــ ومن الأمثلة التي أوردها أبو رية في نفس المصدر. انتهى صفحة 58-59

وهنا ارتأيت أن أقدم إليك، أختي القارئة أخي القارء، نماذج مما جناه الحديث على القرآن وعلى أمة الإسلام، وعلى البشرية جمعاء. انتهى صفحة 61-62

ـــ وفي آخر نقله، عقب أيلال قائلا: النقول الأخيرة التي أوردتها، نقلا من صحيح البخاري. انتهى صفحة 69

ـــ ومن ذلك ما جاء في "كتاب العمدة"، الجزء الثاني صفحة (139)، من حب الخلفاء للمديح، ومبالغة الشعراء في رفع الممدوحين، إلى مكانة الألوهية أحيانا. انتهى صفحة 74-75

ـــ ومن كيس هاته الخرافات، ما أورده الشيخ محد صادق النجمي، "أضواء على الصحيحين"، رقم الصفحة (78)، نقلا عن أبي زيد الْمَرْوَزِيّ. انتهى صفحة 80

ـــ من هؤلاء، الدكتور أحمد عمر هاشم، وهو رئيس سابق لجامعة الأزهر بالقاهرة، وجدت له تصريحا على قناة: "أزهري"، الفضائية، ببرنامج "اسألوا". انتهى صفحة 84-85

ـــ وهنا يحق لنا أن نسأل الدكتور: إذن لأي منطق يخضعون؟ وبماذا يمكن أن نمحص سيرتهم؟ لنستخلص الجواب من هذا النص، الذي نقلناه عنه، من تصريح له، على قناة: "أزهري" الفضائية. انتهى صفحة 85

ـــ أما في كتاب: "أضواء على الصحيحين"، للشيخ محمد صادق النجمي، فقد جاء ما يلي. انتهى صفحة 86-87

ـــ ومن النقول التي جاء بها الشيخ محمد صادق النجمي، نقلا عن كتاب "الدر الثمين في مبشرات النبي الأمين". انتهى صفحة 87

ـــ وفي نفس المصدر، القصة ذاتها بشيء من التفصيل، وينقل عن الشيخ محمد بن عبد الرحمن، شارح مختصر الخليل. انتهى صفحة 87

ـــ إن الخرافة واضحة في هاته النقول، بشكل يستفز عقل القارئ ووجدانه وإيمانه. انتهى صفحة 87

ـــ وقد قال محمد فريد وجدي في كتاب: "دائرة معارف القرن العشرين". انتهى صفحة 88

ـــ لم يقف الأمر عند هذا الحد، بل تعداه إلى مقارنة كتاب صحيح البخاري البشري المصدر، بكتاب الله الإلهي المصدر، حيث ورد في كتاب "الصواعق المحرقة" قول ابن حجر المكي. انتهى صفحة 88

ـــ أما ابن حجر في مقدمة "الفتح"، فيقول. انتهى صفحة 89-90

ـــ وسأورد هنا، حزمة من الشهادات، التي رفعت البخاري والصحيح المنسوب إليه، إلى عنان السماء. انتهى صفحة 90-97

ـــ حتى أني أجزم، أنه لو عاش البخاري إلى عصرنا، وقرأ هذا الكم الهائل من النقول، الموغلة في الغلو والتقديس لشخصه لتبرأ منها إلى الله. انتهى صفحة 97

ـــ وما عليك إلا مطالعة هاته النقول، لتقف على العجب العجاب. انتهى صفحة 111

ـــ وقد كرس هذا التقديس، الشيخ محمد صالح المنجد، في موقع: "إسلامك"، الذي يشغل فيه منصب المشرف العام، في جوابه على سؤال: هل كل ما في صحيح البخاري صحيح؟ انتهى صفحة 111-112

ـــ ومن نماذج الفتاوى الغريبة، التي تكفر من أنكر حديثا في صحيح البخاري، ما ورد في موقع الدكتور محمد راتب النابلسي، في جوابه على هذا السؤال. انتهى صفحة 113

ـــ ومن ذلك ما ورد في مركز الفتاوى بموقع: "إسلام ويب".. ورد ما نصه. انتهى صفحة 113-114

ـــ وفي موقع: "طريق الإسلام"، وردت هاته الفتوى بخصوص منكر حديث شرب أبوال الإبل، في صحيح البخاري. انتهى صفحة 114

ـــ أما الشيخ ربيع المدخلي، فيعتبر منكر حديث في صحيح البخاري، كمنكر القرآن على حد سواء، من حيث الحكم. انتهى صفحة 115

ـــ وسأنقل لكم مقالا للكاتب المصري عبد الفتاح عساكر، بمنتدى "الواحة المصرية"، تحت عنوان: الأرقام لا تكذب. انتهى صفحة 123-126

ـــ ثم عقب المعقب، مضيفا على نفس المنوال. انتهى صفحة 126

ـــ وقد جاء في "منتدى الأزهري"، نقلا عن الشيخ محمد العمراوي المالكي، ما نصه. انتهى صفحة 131-132

ـــ وقد وجدت مقالة جامعة منشورة على "منتدى السودان"، تؤكد بما لا يدع مجالا للشك، بأن مقولة تلقي الأمة لصحيح البخاري بالقبول، كذبة ما بعدها كذبة، وهاته المقالة التي جمعت نقولا، عن أئمة أعلام في عدم تلقي صحيح البخاري بالإجماع، بعنوان: الرد الملجم على من ادعى إجماع الأمة على البخاري ومسلم. انتهى صفحة 133

ـــ ذلك ما سنكتشفه، من خلال سرد هاته النقول. انتهى صفحة 131-132

ـــ وسأنقل لكم غيضا من فيض الأسماء الكبيرة، التي ضعفت أحاديث في الصحيحين. انتهى صفحة 134-144

ـــ وفي ختام نقله، عقب أيلال قائلا: أظن أنه بعد ما أوردناه نقلا من "منتدى السودان"، لا يمكن أن يكون هناك عاقل، يكذب كل هاته النقول عن شيوخ أعلام، من كل العصور والأمصار. انتهى صفحة 144

ـــ ومن الأسماء الكبيرة التي جرحت البخاري، والتي تعتبر من رتبة البخاري في الحديث. انتهى صفحة 147-148

ـــ إننا بعرضنا هاته النقول، لا نرمي من خلالها الطعن (الصواب: إلى الطعن) في شخص البخاري. انتهى صفحة 148

ـــ وقد علق على هذا، الكاتب إسلام بحيري، في مقالة له نشرت على موقع "اليوم السابع". انتهى صفحة 160-159

ـــ ويضيف إسلام. صفحة 160

ـــ فَكُلُّ النُّقُولِ التي وردت عن أعلام علم الحديث والمؤرخين الذين تشبعوا بسيرة محمد ابن إسماعيل البخاري. انتهى صفحة 163

ـــ حيث قام بنشر هذا العرض على موقع "أهل الحديث".. وسننقل العرض المفصل للائحة المخطوطات "الأصلية" لصحيح البخاري بمكتبة الملك عبد العزيز العامة. انتهى صفحة 164

ـــ إذن بعد تقديمنا لهذا العرض المفصل لمؤرشف مكتبة الملك عبد العزيز العامة. انتهى صفحة 169-239 (أي 72 صفحة)

ـــ الملاحظ أن ابن حجر، أسهب في النقول في أمر تقطيع الحديث بكتاب الجامع الصحيح. انتهى صفحة 266

ـــ وهذا ما سنجده مستدلا عليه في البحث الشائق الرائق الذي قام به الباحث العراقي الدكتور كوركيس عواد، بعنوان: "أقدم المخطوطات العربية في مكتبات العالم". انتهى صفحة 241-242

ـــ وقد عنون الدكتور أحمد بن فارس السلوم بحثه بعنوان: "رسالة في الرد على شبه منجانا حول صحيح البخاري". وقد صدر بحثه المنشور على المدونة الشخصية له بهذه الفقرة. انتهى صفحة 245

ـــ ويضيف أحمد بن فارس السلوم في مستهل رسالته في الرد على شبه منجانا. 245-246

ـــ والتي قدم لها الدكتور بوصفها بالشبهة الأولى ما نصه. انتهى صفحة 247-248

ـــ وحتى الدكتور السلفي أحمد بن فارس السلوم، وهو يحاول الرد على ما أسماه شبه منجانا، لم يستطع تكذيب هذا الكلام، بل أقره، وحاول تبريره بكلام ركيك غريب، وذلك بقوله. انتهى صفحة 248-249

ـــ بل حاول جاهدا أن يهون من أمرها، معترفا بوجودها، وذلك بقوله. انتهى صفحة 251

ـــ ولنترك أحمد بن فارس السلوم، يقدم لنا شهادة شاهد من أهلها. انتهى صفحة 253

ـــ وقد أوضح الإشكالات التي عاناها من الكتاب، معترفا بالانتقادات الكثيرة الموجهة إليه، وذلك بقوله في خطبة مقدمة كتاب الفتح. انتهى صفحة 261-263

ـــ فيقول ابن حجر. صفحة 264

ـــ وقد اعترف ابن حجر في كتابه فتح الباري، بتدخل النساخ في صحيح البخاري، حينما قال. صفحة 267

ـــ وقد أقر بذلك أيضا، الشيخ محمود أبو رية، في كتابه الشهير أضواء على السنة المحمدية، بقوله. انتهى صفحة 269-270

ـــ ويؤكد ابن حجر نفسه الأمر في كتابه فتح الباري. صفحة 270

ـــ وقد جاء في بحث صادر عن جامعة الأردن بعنوان: "الروايات المنتقدة بسبب اختلاف نسخ صحيح البخاري". ما نصه. انتهى صفحة 271

ـــ ويضيف نفس المصدر. انتهى صفحة 271-272

ـــ ويضيف ذات المصدر. انتهى صفحة 272-273

ـــ جدول (أ) يوضح صور الاختلافات التي نبه عليها أبو علي الجياني في كتابه. انتهى صفحة 274-277

قلت: هكذا يتبين للقراء الكرام، أننا لا نَرُدُّ على أيلال في هذا الكتاب في شيء، بل نَرُدُّ على أساتذته المرجفين، فهو لا يأتي بشيء من عنده، إنما يردد ما قالوه بِزَهْوٍ وغُرُورٍ كالببَّغاء.

وقد جَرَدْتُ كلام أيلال مِنْ مجموع كتاب الأسطورة، فما تجاوز ستين صفحة من مجموع كتابه الذي يتضمن 284 صفحة، أي ثلاثين ورقة مِنَ السِبَابِ والشتم والتَّحَامُلِ والتصفيق على ما لا يليق.

وربما آن الأوان لنتعرف على مَنِ اسْتَدَلَّ بكلامهم مِنَ الْمُرْجِفِينَ:

– محمود أبو رية: شيخ مصري أديب، توفي سنة: 1970 ميلادية، صاحب كتاب: "أضواء على السنة المحمدية".

دكتور عماد محمد بابكر حسن: (سوداني) ولد سنة: 1962 ميلادية، طبيب أمراض عقلية ونفسية.

– محمَّد صادق النَّجمي وكتابه "أضواء على الصَّحيحين" خَطَّ (النَّجمي) هذا الكِتابَ باللِّسانِ الفارسيِّ، ثمَّ نُقِل بعد موته إلى العَربيَّة.

فعُدَّ سِفرُه هذا، مِن أهمِّ ما كتَبتهُ الشِّيعة الإماميَّة، وأكثرها مَطاعِن في "الصَّحيحين"، فلذا حرِصوا على نشره بكِلتي لُغَتَيه، على أوسعِ نطاقٍ.

ولقد أبانَ محمد صادق النجمي في مقدمة كتابه، عن غَرضِ وَضعِه إيَّاه، فقال: هكذا أصبحَ الكتابان "صحيح البخاري" و"صحيح مسلم"، مَدارَ العقائد عند أهلِ السُّنة، وهذه الأمور هي الَّتي دَعَتْنا إلى البحثِ والتَّنقيبِ في "الصَّحيحين"، وكشفِ حقيقتِهما وماهِيَّتهما، كي تَتجَلَّى الحقائقُ الَّتي استَترَت خلفَ الأستارِ السَّميكة مِن التَّقاليد والعَصبيَّات والظُّلمات والأوهام، الَّتي ظَلَّت مَسدولةً لفترةٍ تزيد على ألفِ سنةٍ. انتهى

– أحمد صبحي منصور (مصري): ولد سنة: 1949 ميلادية، وهو مِنْ أوائل مَنْ تَبَنَّوْا فكر (القرآنيين) علنًا، وكان أستاذًا سابقًا في جامعة الأزهر، ثم فُصِلَ منها بسبب إنكاره للسنة، ثم انتقل إلى الولايات المتحدة، وعاد بعدها إلى القاهرة، ليعمل في مركز ابن خلدون، وبعد تَوَرُّطِ هذا المركز في مشاكل قضائية، هاجر مرة أخرى إلى الولايات المتحدة الأمريكية، ليعمل مدرسا في جامعة "هارفارد"، ثم أنشأ مركزه الخاص، تحت اسم: "المركز العالمي للقرآن الكريم".

– إسلام بحيري (مصري): ولد سنة: 1974 ميلادية، حاصل على ماجيستير، في طرائق التعامل مع التراث، من جامعة "ويلز"، بالمملكة المتحدة، وكان يعمل في مؤسسة "اليوم السابع".

– زكريا أوزون (سوري): مهندس مدني، صاحب كتاب: "جناية البخاري إنقاذ الدين من إمام المحدثين".

وعنوان الكتاب يلخص المسار الذي اتخذه كاتبه، في مواجهة صحيح البخاري والسنة النبوية.

- عبد الفتاح عساكر (مصري): ولد في أواخر ثلاثينيات القرن العشرين، تخرج من جامعة الأزهر.

بعدما أثبتناه مِنْ إِطْنَابِ رشيد أيلال في كتابه، مما يطيب له أن يسميه بالنقولات، من الكتب والمواقع، دون منهجية علمية مضبوطة، تُرَتِّبُ أطروحاته، وتُمَكِّنُ القارئ مِنْ تَتَبُّعِهِ فيما يقول.

آن لنا أن نشير إلى ما تجمع في كتابه الأسطورة، مما تفرق في غيره، ليس بالمعنى المتعارف عليه لهذه العبارة، ولكن بمعنى حشر أقوال الناس من هنا وهناك.. بغير هدى.

ومتى حشر هذه الأقوال، أتبعها بالتصفيق، وكأنها لا تقبل الجدال.. بل وعقب عليها بلهجة المنتصر المنتشي.. وكأنه يظن أنه بمجرد استدلاله على ما يدعيه من ترهات.. بمجرد استدلاله عليها من مرجع آخر.. بمجرد ذلك يكون قد أفحم خصمه وأقام عليه الحجة البالغة. وكأنه يستدل عليه من قرآن كريم لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

بعد ذلك أقول: في الكتب التي ردت على ما ورد في أسطورة أيلال، نجد ما أسماه مؤلفوها بالسرقات الأدبية. وحتى أكون منصفا، أعتمد على ما توصلت إليه بمطالعتي الخاصة لكتاب الأسطورة، لكي أدلي بملاحظاتي على ما ينقله أيلال عن غيره، غير مراع شروط النقل الأدبي النزيه.

فهو، أي رشيد أيلال، إما ينقل من بعض المراجع، ويتصرف فيما ينقل، بحذف بعض الكلمات أو تغييرها، أو حذف أسطر أو صفحة، دون إشارة لذلك. وهو يتعمد ذلك حتى ينسب ما ينقل إلى نفسه، ويُمَوِّهَ على القارئ متى شك فيما ينقله، ورجع إلى أصله لكي يتأكد منه.

وإما ينقل ما ينقل دون ذكر مصدره.

واقتضى مني الأمر، لمزيد من التوضيح، أن آتي بأمثلة على ما أقول، من كتابه الأسطورة. مع الإشارة إلى الفصل والمبحث، بل وإلى ترقيم الصفحة من كتاب أسطورة أيلال:

الفصل الأول: آفَّةُ تدوين الحديث

أولا: مَنْعُ الرسول لِلصَّحَابَةِ مِنْ تَدْوِينِ كلامه

يقول أيلال: فقد روى أحمد ومسلم والترمذي والنسائي والدارمي "شيخ البخاري" من حديث عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله قال: "لا تكتبوا عني شيئا سوى القرآن، ومن كتب عني غير القرآن فَلْيَمْحُهُ". (أسطورة أيلال صفحة 17)

يقول أبو رية: روى أحمد ومسلم والدارمي، والترمذي والنسائي، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله: "لا تكتبوا عني شيئا سوى القرآن، فمن كتب عني غير القرآن فَلْيَمْحُهُ". في الهامش: والدارمي شيخ البخاري. (أضواء على السنة المحمدية لأبو رية صفحة 46)

- غَيَّرَ أيلال ترتيب رواة الحديث، وزاد "شيخ البخاري" وصف به الدارمي، وهو ما جاء في الهامش عند أبو رية

وغير الفاء بالواو: فمن كتب، كتبها: ومن كتب.

ثانيا:

يقول أيلال: وأخرج الدارمي –وهو شيخ البخاري– عن أبي سعيد الخدري بأنهم استأذنوا النبي صلى الله عليه وسلم في الكتابة فلم يأذن لهم. (أسطورة أيلال صفحة 17)

يقول أبو رية: وأخرج الدارمي عن أبي سعيد كذلك: أنهم استأذنوا النبي صلى الله عليه وسلم، في أن يكتبوا عنه فلم يأذن لهم. (أضواء على السنة المحمدية لأبو رية صفحة 46)

- تغيير واضح في الصيغة.

ثالثا:

يقول أيلال: في تذكرة الحفاظ للذهبي: "من مراسيل ابن أبي مليكة" أن أبا بكر الصديق جمع الناس بعد وفاة نبيهم فقال: إنكم تحدثون عن رسول الله أحاديث تختلفون فيها، والناس بعدكم أشد اختلافا، فلا تحدثوا عن رسول الله شيئا، فمن سألكم فقولوا: بيننا وبينكم كتاب الله. (تذكرة الحفاظ) 1:32، حجية السنة 394 (أسطورة أيلال صفحة 17-18)

يقول أبو رية: (ومن مراسيل ابن أبي مليكة) أن الصديق جمع الناس بعد وفاة نبيهم فقال: إنكم تحدثون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أحاديث تختلفون فيها، والناس بعدكم أشد اختلافا، فلا تُحَدِّثُوا عن رسول الله شيئا، فمن سألكم فقولوا: بيننا وبينكم كتاب الله، فاسْتَحِلُّوا حلاله وحَرِّمُوا حرامه. تذكرة الحفاظ للذهبي (أضواء على السنة المحمدية لأبو رية صفحة 46)

- بتر من الحديث قوله صلى الله عليه وسلم: فاستحلوا حلاله وحرموا حرامه.

رابعا:

يقول أيلال: وروى الحافظ بن عبد البر (الصواب: ابن عبد البر) والبيهقي في المدخل عن عروة أن عمر أراد أن يكتب السنن، فاستشار أصحاب النبي -كما عند البيهقي- فأشاروا عليه أن يكتبها، فطفق عمر يستخير الله شهرا، ثم أصبح يوما وقد عزم الله له، فقال: إني كنت أريد أن أكتب السنن، وإني ذكرت قوما كانوا قبلكم كتبوا كتبا فأَكَبُّوا عليها وتركوا كتاب الله، وإني والله لا أَشُوبُ كتاب الله بشيء أبدا. وفي رواية البيهقي: "لا ألبس كتاب الله بشيء أبدا". المدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي. رقم الحديث 590 (أسطورة أيلال صفحة 18)

يقول أبو رية: وروى حافظ المغرب ابن عبد البر والبيهقي في المدخل عن عروة أن عمر أراد أن يكتب السنن، فاستشار أصحاب رسول الله في ذلك، ورواية البيهقي: فاستشار، فأشاروا عليه أن يكتبها، فطفق عمر يستخير الله شهرا، ثم أصبح يوما وقد عزم الله له، فقال: إني كنت أريد أن أكتب السنن، وإني ذكرت قوما كانوا قَبْلَكُمْ كتبوا كتابا فأَكَبُّوا عليها وتركوا كتاب الله، وإني والله لا أشوب كتاب الله بشيء أبدا. ورواية البيهقي: لا ألبس كتاب الله بشيء أبدا. (أضواء على السنة المحمدية لأبو رية صفحة 46-47)

- كتب أيلال: أصحاب النبي، بدل: أصحاب رسول الله. كتبوا كتبا، بدل كتبوا كتابا، ولعله خطأ مطبعي عند أبو رية.

كتب أيلال: فأشاروا عليه أن يكتبها، بدل فاستشار فأشاروا عليه أن يكتبها، عند أبو رية.

خامسا:

يقول أيلال: وورد في طبقات بن سعد (الصواب: ابن سعد): "أن الأحاديث كثرت على عهد عمر بن الخطاب، فأنشد الناس أن يأتوه بها، فلما أتوه بها أمر بتحريقها"، الطبقات الكبرى لابن سعد رقم الحديث 5987 (أسطورة أيلال صفحة 18)

يقول أبو رية: وروى ابن سعد عن عبد الله بن العلاء قال: سألت القاسم بن محمد أن يُمْلِيَ عَلَيَّ أحاديث، فقال: إن الأحاديث كثرت على عهد عمر بن الخطاب، فأنشد الناس أن يأتوه بها، فلما أَتَوْهُ بها أمر بتحريقها. طبقات ابن سعد (أضواء على السنة المحمدية لأبو رية صفحة 47)

– تغيير واضح في الصيغة.

سادسا:

يقول أيلال: وهنا ارتأيت أن أَنْقُلَ لكم ما أورده المفكر المصري محمود أبو رية رحمه الله في كتابه "أضواء على السنة المحمدية" نقلا عن الفقيه المحدث رشيد رضا رحمه الله، صاحب "المنار في الموازنة والمقارنة بين أحاديث منع كتابة الحديث، والأحاديث المجيزة له"، قال رشيد رضا: "إن أصح ما ورد في المنع... إلى قوله: فأمر صلى الله عليه وآله وسلم، بإجابة طلبه. انتهى (أسطورة أيلال صفحة 19-20)

ما نقله أبو رية عن الفقيه رشيد رضا: حديث: "لا تكتبوا عني شيئا إلا القرآن فمن كتب غير القرآن فليمحه". (أضواء على السنة المحمدية لأبو رية صفحة 48)

– كتبه أيلال: "لا تكتبوا عني غير القرآن ومن كتب عني غير القرآن فليمحه".

خامسا- السنة ناسخة للقرآن

أولا:

جاء في موقع سؤال وجواب:

وقد بوب الخطيب البغدادي رحمه الله في كتابه القيم " الكفاية في علم الرواية " (ص/23) بقوله: "باب ما جاء في التسوية بين حكم كتاب الله تعالى، وحكم سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، في وجوب العمل، ولزوم التكليف" انتهى.

وأورد تحته حديث المقدام بن معد يكرب رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: "أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ القُرآنَ وَمِثلَهُ مَعَهُ، أَلَا يُوشِكُ رَجُلٌ شَبعَان عَلَى أَرِيكَتِهِ يَقُولُ: عَلَيكُم بِهَذَا القُرآنِ، فَمَا وَجَدتُم فِيهِ مِن حَلَالٍ فَأَحِلُّوهُ، وَمَا وَجَدتُم فِيهِ مِن حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ، أَلَا وَإِنَّ مَا حَرَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ، كَمَا حَرَّمَ اللَّهُ".

رواه الترمذي (2664) وقال: حسن غريب من هذا الوجه. وحسنه الألباني في "السلسلة الصحيحة" 2870.

- أيلال: نقل النص بتمامه دون ذكر مصدره، وغير الآتي:

سؤال وجواب: وقد بوب الخطيب البغدادي في كتابه القيم

أيلال: ومن هذا القبيل بوب الخطيب البغدادي رحمه الله في كتابه

سؤال وجواب: ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه. وأتم الحديث

أيلال: ألا إني أوتيت من القرآن ومثله معه.. الحديث. ولم يتم الحديث. (أسطورة أيلال صفحة 30)

الفصل الثاني: آفة علم الحديث

رابعا- رِوَايَةُ الحديث بالمعنى

أولا:

يقول أيلال: ويضيف أبو رية في نفس المصدر: بعد نهي النبي عن كتابته، أي الحديث. إلى: ثم أداها كما سمع. (أسطورة أيلال صفحة 55-56)

- نقلها من كتاب أبو رية: (أضواء على السنة المحمدية لأبو رية صفحة 76-77)

ثم انتقل أيلال إلى فقرة أخرى وهو ينقل عن أبو رية، دون أن يشير إلى ذلك:

أيلال: وقال وكيع عن الربيع بن صبيح. إلى: عقب التحيات والصلوات. (أسطورة أيلال صفحة 56-58)

وعند أبو رية: (أضواء على السنة المحمدية لأبو رية صفحة 82-83)

ثانيا:

يقول أيلال: ومن الأمثلة التي أوردها أبو رية في نفس المصدر: ما رواه مسلم عن طلحة. إلى: بما أمر به دخل الجنة. (أسطورة أيلال صفحة 58-59)

- وعند أبو رية: (صفحة 89-91) حذف أيلال صفحة 90 من كتاب أبو رية كاملة

أيلال: إن تمسك بما أمر به دخل الجنة... وعن الأعمش

أبو رية: إن تمسك بما أمر به دخل الجنة وفي رواية ابن أبي شيبة: إن تمسك به، إلى قوله: قال النبي صلى الله عليه وسلم: نعم. حذف أيلال صفحة 90 من كتاب أبو رية.

الفصل الثالث: أسطورة البخاري

ثالثا- الأسطورة

أولا:

يقول أيلال: وقد قال محمد فريد وجدي في كتاب دائرة معارف القرن العشرين: وغلا بعضهم فرأى إلى قوله: من الغرق.

- نقله عن النجمي، ونقل حتى مراجع استشهاده لَمَّا استدل النجمي بمحمد فريد وجدي، ثم بالشيخ القاسمي. نقله أيلال دون ذكر مصدره. (أسطورة أيلال صفحة 88)

النجمي: (أضواء على الصحيحين للنجمي صفحة 78)

ثانيا:

يقول أيلال: حيث ورد في كتاب الصواعق المحرقة قول ابن حجر المكي: "الصحيحان هما أصح الكتب بعد القرآن بإجماع مَنْ يُعْتَدُّ به".

وجاء في تطهير الجنان المطبوع بهامش الصواعق 20 ذكر البخاري فقط. (أسطورة أيلال صفحة 88)

ويقول النجمي: يقول ابن حجر المكي: الصحيحان هما أصح الكتب بعد القرآن بإجماع مَنْ يُعْتَدُّ به. وفي هامش الصفحة: الصواعق المحرقة، وجاء في تطهير الجنان المطبوع بهامش الصواعق: 20 ذكر البخاري فقط

النجمي: (أضواء على الصحيحين للنجمي صفحة 77)

– محاولة من أيلال لتمويه نقله.

الفصل الرابع: سقوط الأسطورة

ثالثا- أعلام ضَعَّفُوا أَحَادِيثَ في الصحيحين:

أولا:

من قول أيلال: انتقاد البخاري لبعض ما أخرجه مسلم. إلى قوله: هناك إجماع على البخاري ومسلم.

(أي من صفحة: 134 إلى صفحة: 144 أي 11 صفحة)

أَوْعَزَهُ أيلال إلى "منتدى السودان".

لكن صاحب قناة: "ومضات على الدرب"، برهن بما لا يترك الشك، على ما اكتشفه الدكتور إدريس الكنبوري من أن النص بتمامه، منقول عن موقع: أحكام ahmam التابع لمنصة "بلوكر" Blogger.

(http://ahkam667.blogspot.com/2014/01/blog-post_7748.htm)

قلت: بعد ما اطلعت على ما اكتشفه الدكتور، عثرت على النص كاملا في منتدى "فرسان السنة".

(https://syrian2015.yoo7.com/t31-topic)

رابعا- البخاري مجروح ومتروك الحديث

أولا:

يقول أيلال: قال ابن خلكان: محمد بن يحي. إلى: ابن ماجه.

ثم انتقل إلى هامش الصفحة نفسها ونقل من: وفيات الأعيان لابن خلكان. إلى: ما يقرب من ثلاثين موضعا. (أسطورة أيلال صفحة 145)

– نقله دون ذكر مصدره من كتاب: (أضواء على الصحيحين للنجمي صفحة 83)

ثم تدرج أيلال أسفل الهامش من الصفحة نفسها ونقل من: إن البخاري لما دخل نيسابور. إلى: ترجمة رقم 1787). (أسطورة أيلال صفحة 145-146)

- نقله أيلال دون ذكر مصدره من كتاب: (أضواء على الصحيحين للنجمي هامش صفحة 83)

ثانيا:

يقول أيلال: وقال أحمد بن حنبل لابنه. إلى: واكتبوا عنه. ثم نقل من هامش الصفحة 83 نفسها المرجع: (تاريخ بغداد: 31/416). (أسطورة أيلال صفحة 146)

- ثم انتقل أيلال إلى أسفل الهامش من الصفحة المنقول عنها نفسها ونقل من: ... إن البخاري لما دخل نيسابور. إلى: ولم يصرح به. ونقل المراجع كما هي: راجع الجمع بين رجال الصحيحين: 2/ 465 ترجمة رقم 1787).

ثالثا:

يقول أيلال: قال الخطيب البغدادي (بَدَلَ: وأضاف الخطيب قائلا. كما هو عند النجمي): كان البخاري خلافا. إلى: من كان على مثل مذهبه. (أسطورة أيلال صفحة 146)

- نقله دون ذكر مصدره من كتاب: (أضواء على الصحيحين للنجمي صفحة 83-84)

ثم انتقل أيلال إلى هامش صفحة 85 من الكتاب الذي نقل منه وأثبت المرجع (تاريخ بغداد: 31/2)

- نقله دون ذكر مصدره من كتاب: (أضواء على الصحيحين للنجمي صفحة 83-84)

- انتقل أيلال إلى هامش الصفحة المنقول منها، أي صفحة 84، ونقل: ذهب أحمد بن حنبل إلى تكفير. إلى: فهو مثلهم كافر. ثم انتقل إلى نهاية الهامش من الصفحة نفسها، ونقل: راجع كتاب السنة لأحمد بن حنبل 53/3. (أسطورة أيلال صفحة 146)

رابعا:

يقول أيلال: قال محمد بن يحيى. إلى: مجلسنا هذا. ثم انتقل أيلال إلى هامش الصفحة نفسها أي 85 ونقل: (تاريخ بغداد: 31/2، وإرشاد الساري: 38/1، وهدي الساري مقدمة فتح الباري: 491 واستقصاء الأفهام: 9787). (أسطورة أيلال صفحة 146)

في الأصل المنقول منه: قال الخطيب البغدادي: قال محمد بن يحيى

- نقله دون ذكر مصدره من كتاب: (أضواء على الصحيحين للنجمي صفحة 85)

خامسا:

يقول أيلال: لم يذهب الذهلي. إلى: حضور مجلسه. (أسطورة أيلال صفحة 146)

ثم انتقل أيلال إلى هامش الصفحة نفسها المنقول منها، وأثبت المراجع: (دائرة معارف القرن العشرين: 292/5 مادة سلم، وتذكرة الحفاظ: 589/2 ترجمة مسلم بن الحجاج رقم 613)

– نقله دون ذكر مصدره من كتاب: (أضواء على الصحيحين للنجمي صفحة 85)

سادسا:

أيلال: ومن الأسماء الكبيرة التي جرحت البخاري. إلى: تهذيب الأسماء واللغات. (أسطورة أيلال صفحة 147)

– نقله دون ذكر مصدره من كتاب: (أضواء على الصحيحين للنجمي صفحة 85)

سابعا:

يقول أيلال: ويظهر من هذه الأقوال. إلى: لطردهما من نيسابور. (أسطورة أيلال صفحة 146)

– نقله أيلال كما هو من صفحة 85، وبَدَّلَ: يظهر من هاتين القصتين، كتب: ويظهر من هذه الأقوال.

أيلال: أبو زرعة الذي يُعدُّ مِنْ حُفَّاظِ الحديث، ويُعَدُّ عَلَمًا مِنْ أعلام الرجال. إلى أبو زرعة و... انتهى صفحة 147

ثم انتقل إلى هامش الصفحة أي صفحة 85، ونقل اسم المصدر: (تهذيب الأسماء واللغات: 1/68)

– غير أيلال بداية ما نقل فقال: أبو زرعة الذي يُعَدُّ مِنْ حُفَّاظِ الحديث، ويُعَدُّ علما من أعلام الرجال. (أسطورة أيلال صفحة 147)

وفي الأصل: يُعَدُّ أبو زرعة مِنْ حُفَّاظِ الحديث، وعَلَمٌ (هكذا في الأصل والصواب: وعَلَمًا) من أعلام علم الرجال والعلوم الأخرى. (أضواء على الصحيحين للنجمي صفحة 85)

ثامنا:

يقول أيلال: قال الخطيب عن سعيد بن عمر. إلى: من الأول. (تاريخ بغداد). (أسطورة أيلال صفحة 147)

ثم انتقل إلى هامش الصفحة أي 86، التي نقل منها، وأثبت المرجع: (تاريخ بغداد: /273)

ولعله نسي ترقيم جزء المرجع وتركه فارغا.

– نقله دون ذكر مصدره من كتاب: (أضواء على الصحيحين للنجمي صفحة 86)

تاسعا:

يقول أيلال: وذكر الذهبي قصة أبي زرع. إلى: يتظاهرون. (أسطورة أيلال صفحة 148)

ثم انتقل أيلال إلى هامش الصفحة المنقول منها أي صفحة 86 نفسها، ونقل منها المرجع: (ميزان الاعتدال: 1/126 ترجمة أحمد بن عيسى المصري التستري رقم 507)

– نقله دون ذكر مصدره من كتاب: (أضواء على الصحيحين للنجمي صفحة 86)

حاولنا أن نُبَسِّطَ أسلوبنا في هذا الكتاب، خاصة وأن الموضوع يتعلق بعلوم الحديث، ولا يخفى على أحد ما تَزْخَرُ به هذه العلوم مِنْ مصطلحات وصِيَغٍ، لا يفهم معناها إلا الْمُخْتَصُّونَ.

فإذا نظرنا بِتَفَحُّصٍ إلى كتاب: أسطورة رشيد أيلال، سنجده حافلا بالنقول من كتب الحديث، التي نقلها عن غيره ممن نقلوها من أصولها.

هذه النقول، بقيت كما هي في الأصل، بمصطلحاتها وصيغها التي لا يفهمها عامة الناس، ولا أعني بالعامة غير المثقفين، ولكن أعني غير المختصين في هذه العلوم.

كما أن كتاب أيلال، أطنب في إيراد ما استطاع إيراده دون ترتيب أو منهجية خاصة.

حتى أنه كان يُعِيدُ ما سَبَقَ أن نَقَلَهُ مرّاتٍ ومرّات، وكأنه لا يَتَذَكَّرُ ما سبقت كتابته.

ومِنْ أجل أن يَتَمَكَّنَ القارئ مِنْ مُتَابَعَةِ ما نَرُدُّ به عليه، فقد رَتَّبْنَا فصول كتابنا ومباحثه، كما رَتَّبَهَا رشيد أيلال في كتابه، واحتفظنا على صيغ عناوينها، كما هي في الأصل.

فمتى رَدَدْنَا على مسألة مما يُثِيرُهُ في كتابه، رَدَدْنَا عليها في مبحث مِنْ فصول كتابنا، فما على القارئ سوى أن يرجع إلى المبحث نفسه من الفصل نفسه في كتابه، وبذلك يستطيع القارئ أن يُقَابِلَ بَيْنَ المسألة كما أثارها رشيد أيلال، وبين رَدِّنَا عليه.

كما تجدر الإشارة، إلى أننا في نهاية كل فصل، نسوق أيلاليات الفصل، والمراد بالأيلاليات، كلام رشيد أيلال الذي كتبه من عنده دون نقل.

والأيلاليات، أحكام وادِّعَاءَاتٌ لا يأتي بدليل تقوم عليه، بل وتَحَامُلٌ على أهل الحديث وتَجْرِيحٌ لهم بغير حَقٍّ.

ولعل هذه الأيلاليات، تقديم للفصل الذي يُقْبِلُ القارئ على تناوله، تُنْبِئُ بما أثاره أيلال فيه، قبل الشروع في قراءته.

وأكثر مِنْ ذلك، يطغى على هذه الأيلاليات، أسلوب لا يُعْتَبَرُ، وتَفُوحُ بروائح حِقْدِهِ الشديد الكريهة على رجال الحديث، ولم تَخْلُ هي الأخرى من تكراره الْمُمِلِّ فيما يقول ويعيد، لأنه لا يعرف أن يقول غيره.

بل يظهر على حقيقته بعد أن كان مختبئا، وراء رُكَامِ المنقولات التي حَشَا بها كتابه، حتى إنه، في بعض الأحيان، ينقل بعضها دون ذكر مصدره، أو يذكر المصدر ولا يشير أين انتهى النَّقْلُ حتى يختلط كلامه بكلام غيره.

الفصل الأول: آفة تدوين الحديث

أولا- مَنْعُ الرسول لِلصَّحَابَةِ مِنْ تَدْوِينِ كلامه

ثانيا- أنصار الحديث يخالفون الحديث

ثالثا- عُذْرٌ أَقْبَحُ مِنْ زَلَّةٍ

رابعا- السنة قاضية على القرآن

خامسا- السنة ناسخة للقرآن

سادسا- حَرْبُ الْمَرْوِيَّاتِ

أيلاليات الفصول

اِرْتَأَيْتُ أن أُقَدِّمَ لِكُلِّ فصل من فصول الرَّدِّ على أسطورة أيلال.. أقدم له بأيلاليات الفصل.

وهي أيلاليات رشيد أيلال في هذا الفصل.. وإن شئت: شطحات رشيد أيلال.. يتحدث فيها دون رادع.. يشتم ويستنكر ويَتَحَامَلُ ويَدَّعِي ويستنتج ويحكم.. كل ذلك، بغير حجة ولا سلطان.

يتحدث مُنْكَشِفًا.. بعد أن أخرجناه مِنْ رُكَامِ النقولات التي يختبئ وراءها.. جَرَدْنَاهُ منها.. حتى نقرأ ما يقول هو، وليس ما يقول غيره. فإذا به لا يقول شيئا ألبتة..

أولا- منع الرسول للصحابة من تدوين كلامه:

حيث يظن عوام الناس أن الحديث وحي كان مرادفا للقرآن من حيث النزول، وأن الرسول أمر بتدوينه إلى جانب القرآن. (صفحة 17)

فكل الشيوخ والفقهاء ومنذ أن بدأ عصر التدوين، إلى يوم الناس هذا، انكبوا على الحديث وهجروا كتاب الله لصالح مرويات ظنية الثبوت في غالبيتها. (صفحة 18)

إذن فقد تحوّل تدوين الحديث إلى آفة، جعلت المسلمين يبتعدون عن كتاب الله، وأصبح التشريع يؤخذ بالأساس من الحديث بدل القرآن، فانشغل الناس بالحديث وجمعه والاستنباط منه، في حين لم يعد للقرآن دور إلا في الاستشهاد للنص الحديثي، فغدت المرويات البشرية الصِّرْفَةُ هي أساس التشريع، وهي الدين. (صفحة 20)

ثانيا- أنصار الحديث يخالفون الحديث:

الغريب أن نفس رواة هذه الأحاديث هم الذين لا يقيمون وزنا لكتاب الله، ويرفعون الأحاديث فوق كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. (صفحة 24)

الأحاديث التي تم الاختلاف فيها اختلافا كبيرا، وتسربت إليها خرافات وطَوَامُّ، ما زالت أمتنا تدفع ثمنها غاليا إلى يومنا هذا، وما "داعش" التي نبتت بين ظهرانينا، إلا نتاج هاته المرويات المنسوبة لرسول الله زورا وبهتانا، حيث تَمَّ سَحْبُ القرآن من الساحة لصالح هاته المرويات، ولم يكفهم كتاب الله. (صفحة 24)

ثالثا- عذر أقبح من زلة:

حاولت البحث عن الأسباب التي جعلت هؤلاء يُدَوِّنُونَ الأحاديث، ضِدًّا على أمر الرسول الكريم، ويرفعونها إلى المكان العلي السَّنِيِّ، فوق كل شيء، حتى فوق كلام الله. (صفحة 25)

فهم بذلك يَتَّهِمُونَ كتاب الله بمساواته لكلام البشر. (صفحة 26)

رابعا- السنة قاضية على القرآن:
ولا زال في عصرنا هذا مَنْ يَرْفَعُ الحديث إلى مرتبة أعلى من القرآن. (صفحة 27)
لكن هؤلاء، يضربون بهاته الآيات عَرْضَ الحائط، ويقولون لك بكل وقاحة وجرأة على الله: السنة قاضية على الكتاب، ويبقى حكم الحديث هو النافذ. (صفحة 28)
ويمكننا أن نأتي بعشرات بل مئات الأحاديث التي تعارض القرآن جملة وتفصيلا، وتسيء أيضا إلى مقام الألوهية والرسالة معا، والماتحة من مستنقع الخرافة، والمصادمة للعلم والعقل، مِنْ كُتُبِ الحديث بما فيها صحيح البخاري. (صفحة 29)

خامسا- السنة ناسخة للقرآن:
وهم بذلك، عملوا أيضا على تكريس مبدأ السيادة المطلقة للمرويات على كتاب الله، فلم يعد له أي دور في حياة الناس، إلا أن يُتْلَى لِطَرْدِ الشياطين، أو يُسْتَرْقَى به لدفع الأمراض، أو للقضاء الْمُبْرَمِ على العين والحسد، أي أنهم ربطوه بالخرافة، وجعلوا منه وسيلة للاسترزاق. (صفحة 30)

سادسا- حرب المرويات:
لكن مع من نتحدث ومن نحاور؟ أمع أناس يعتبرون تلك الروايات التاريخية والتي لا يمكن أن تتجاوز كونها تراثا، "يعتبرونها" قاضية على القرآن وناسخة له، لاغية لأحكامه وناقضة لها، ألا ساء ما يزرون. (صفحة 36)

الفصل الأول: آفة تدوين الحديث

المبحث الأول: منع الرسول للصحابة من تدوين كلامه

بادئ ذي بدء أقول: لا يُفَرِّقُ رشيد أيلال بَيْنَ التدوين والكتابة.

قال في لسان العرب: كتب الشيء يكتبه كتبا وكتابا وكتابة، وكتبه: خطه. انتهى

وقال صاحب لسان العروس: وقد دونه تدويناً: جمعه. وعليه، فالتدوين هو جمع الصحف المشتتة في ديوان ليحفظها. انتهى

قال أيضا في المصدر نفسه: والديوان: مجتمع الصحف. انتهى

كما لا يفرق أيلال، بين حديث الرسول صلى الله عليه وسلم، وكلامه.

ففي اصطلاح علماء الحديث: يطلق لفظ الحديث، على ما قاله صلى الله عليه وسلم، مما يتعلق بأمور الدين.

أما الكلام: فما قاله، مما يتعلق بما دون ذلك من أمور الدنيا.

قلت: يتذرع هؤلاء المرجفون، بالأحاديث التي نهى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، عن كتابة الحديث، ليخلصوا إلى أن الحديث، لم يُكْتَبْ على عهده صلى الله عليه وسلم.

رغم اعترافهم بأنه عليه الصلاة والسلام، أَذِنَ لبعض الصحابة دون البعض بالكتابة، وَيَدَّعُونَ أن أحاديث المنع أكثر بكثير من أحاديث الإذن.

بل منهم، مَنْ يذهب إلى تضعيف أسانيد أحاديث الإذن في الكتابة، بغير هدى ولا سلطان.

وسنثبت في بداية هذا المبحث، أن كتابة الحديث الشريف، بدأت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولو أن أحاديث المنع ثابتة لا شك فيها، إلا أن أحاديث الإذن أشد منها ثبوتا وقوة.

فنجعل الأولوية في التقديم، لسرد أحاديث منع الكتابة ونوردها في التالي:

ما رواه مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: "لا تكتبوا عني، ومَنْ كَتَبَ عَنِّي غَيْرَ القرآن فَلْيَمْحُهُ". انتهى وهو أصح ما ورد في هذا الباب.

وعن أبي سعيد قال: جَهِدْنَا بالنبي صلى الله عليه وسلم، أن يأذن لنا في الكتابة فأبى. رواه الخطيب البغدادي في تقييد العلم

وفي رواية عنه (أي عن أبي سعيد) قال: استأذنَّا النبي صلى الله عليه وسلم في الكتابة فلم يأذن لنا. رواه الترمذي

عن أبي نضرة قال: قلت لأبي سعيد الخدري: ألا نكتب ما نسمع منك؟ قال: أتريدون أن تجعلوها مصاحف؟ إن نَبِيَّكُمْ صلى الله عليه وسلم، كان يحدثنا فنحفظ، فاحفظوا كما كنا نحفظ. رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله

حديث أبي هريرة رضي الله عنه: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونحن نكتب الأحاديث فقال: "ما هذا الذي تكتبون"، قلنا: أحاديث نسمعها منك، قال:"كتاب غير كتاب الله، أتدرون ما ضل الأمم قبلكم إلا بما اكتتبوا من الكتب مع كتاب الله تعالى". أخرجه مسلم في صحيحه

كتابة الحديث على عهد النبي صلى الله عليه وسلم:

يقول أيلال: وإذا كان جواب أحد شيوخهم، أن بعض الصحابة قام فعلا بكتابة حديث رسول الله، فنقول له: أثبت ذلك، من خلال تدوينة واحدة لأحد الصحابة، إذ لو كان الصحابة يعتبرون كلام رسول الله دينا لدونوه، وإذا كانوا فعلا كتبوا أحاديث رسول الله، فأرونا ماذا كتبوا، وما دونوا؟ (صفحة: 25)

ويقول رشيد أيلال: غير أن أحاديث منع التدوين والكتابة، تبقى هي الأقوى والأكثر حضورا. (صفحة: 19)

قلت: وها نحن بصدد سرد آثار من أصولها تدل على كتابة الصحابة لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، رغم أن أيلال، طلب تدوينة واحدة في تحديه السَّافِرِ، وهو لا زال لا يفرق بين معنى الكتابة ومعنى التدوين، كما فعل في السابق. (صفحة: 25)

وسنثبت أن أحاديث الإذن بالكتابة وثبوت الكتابة، أقوى وأكثر عددا من أحاديث المنع، عكس ما ادعاه أيلال.

فأهم ما ورد في الإذن بكتابة حديث النبي صلى الله عليه وسلم:

روى البخاري عن أبي هريرة قال: ما من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، أحد أكثر حديثًا عنه مِنّي، إلا ما كان من عبد الله بن عمرو، فإنه كان يكتب ولا أكتب. رواه البخاري

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: كنت أكتُب كلَّ شيء أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم، أريد حفظه، فنهتني قريش وقالوا: أتكتب كل شيء تسمعه ورسول الله صلى الله عليه وسلم، بشر يتكلم في الغضب والرضا؟ فأمسكت عن الكتاب، فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فأومأ بأصبعه إلى فيه، فقال: "اكتُب، فو الذي نفسي بيده، ما يخرج منه إلا حق". رواه أحمد وأبو داود

وعنه (أي عن عبد الله بن عمرو) رضي الله عنهما، أنه قال: يا رسول الله، أَكْتُبُ ما أسمع منك؟ قال: "نعم"، قلت عند الغضب وعند الرضا؟ قال: "نعم، إنه لا ينبغي لي أن أقول إلا حقًّا". رواه الحاكم وصحَّحه

1- الصحيفة الصادقة: التي كتبها عبد الله بن عمرو بن العاص القرشي السهمي، صحابي (توفي سنة 65 هجرية)

وقد انتقلت هذه الصحيفة إلى حفيده عمرو بن شعيب.

كما أخرج الإمام أحمد في مسند عبد الله بن عمرو من كتابه المسند، قسمًا كبيرًا من أحاديث هذه الصحيفة من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده.

حَدَّثَنَا مُجَاهِدٌ قَالَ: أَتَيْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو، فَتَنَاوَلْتُ صَحِيفَةً مِنْ تَحْتِ مَفْرَشِهِ، فَمَنَعَنِي، قُلْتُ: مَا كُنْتَ تَمْنُعُنِي شَيْئًا؟ قَالَ: هَذِهِ الصَّادِقَةُ، هَذِهِ مَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلم، لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ أَحَدٌ، إِذَا سلمت لِي هَذِهِ وَكِتَابَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَالْوَهْطَ، فَمَا أُبَالِي مَا كَانَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا. انتهى من تقييد العلم للخطيب البغدادي

2- الصَّحِيفَةُ الصَّحِيحَةُ: لِهَمَّامٍ بْنَ مُنَبِّهٍ، كتبها عن أبي هريرة رضي الله عنه، تابعي (توفي سنة 131هجرية)

قلت: جاء في "سير أعلام النبلا"، للإمام الذهبي، في ترجمة همام بن منبه: المحدث المتقن، أبو عقبة، صاحب تلك الصحيفة الصحيحة، التي كتبها عن أبي هريرة، وهي نَحْوٌ مِنْ مائة وأربعين حديثا. انتهى

يقول الشيخ محمد عجاج الخطيب: لَقِيَ همام بن منبه أحدُ أعلام التابعين الصَّحَابِيَّ الجليل أبا هريرة، وكتب عنه كثيرًا مِنْ حديث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وجمعه في صحيفة أو صُحُفٍ، أطلق عليها اسم: (الصحيفة الصحيحة)، وربما سماها بالصحيحة، على مثال: (الصحيفة الصادقة)، لعبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وحق له أن يُسَمِّيَهَا بالصحيحة، لأنه كتبها عن صحابي خالط رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أربع سنين، وروى عنه الكثير.

وقد وصلتنا هذه الصحيفة كاملة، كما رواها وَدَوَّنَهَا همام عن أبي هريرة، فقد عَثَرَ على هذه الصحيفة، الدكتور المحقق محمد حميد الله، في مخطوطتين متماثلتين في دمشق وبرلين. وتزداد ثقتنا بصحيفة هَمَّامٍ، حينما نعلم أن الإمام أحمد، قد نقلها بتمامها في "مسنده"، كما نقل الإمام البخاري عَدَدًا كَثِيرًا مِنْ أحاديثها في صحيحه، في أبواب شتى.

لهذه الصحيفة أهمية تاريخية في تدوين الحديث الشريف، لأنها حُجَّةٌ قَاطِعَةٌ، ودليل ساطع على أن الحديث النبوي، كان قَدْ دُوِّنَ في عصر مُبَكِّرٍ، وَتُصَحِّحُ الخطَأَ الشَّائِعَ: أَنَّ الحَدِيثَ لَمْ يُدَوَّنْ إِلاَّ فِي أَوَائِلِ القَرْنِ الهِجْرِيِّ الثَّانِي، ذلك لأن هَمَّامًا لقي أبا هريرة، ولا شك أنه كتب عنه، قبل وفاته، وقد توفي أبو هريرة سَنَةَ 59 للهجرة. فمعنى ذلك، أن هذه الوثيقة العِلْمِيَّةَ، قد دُوِّنَتْ قبل هذه السنة، أي في منتصف القرن الهجري الأول، وقد ثبت لنا، أن عبد الله بن عمرو دَوَّنَ في عهد الرسول، "صحيفته الصادقة". وها نحن أولاء يثبت لنا تدوين "صحيفة همام " في منتصف القرن الهجري الأول، مما يَدُلُّ على أن العلماء كانوا قد باشروا التدوين فعلاً، قبل أمر عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللهُ، وكان من الْأَوْلَى أن نَذْكُرَ هذه الصحيفة بين كتب أبي هريرة، لأنها إملاؤه لِهَمَّامٍ، إلا أننا فضلنا الكلام عنها هنا لاشتهارها باسمه، وقد رواها عنه تلميذه معمر بن راشد، ثم عبد الرزاق عن معمر، ثُمَّ هَلُمَّ جَرًّا. انتهى من السنة قبل التدوين لمحمد عجاج الخطيب

3- صحيفة علي بن أبي طالب: (توفي سنة 40 هجرية)

وهي صحيفة صغيرة تشتمل على العقل، أي مقادير الدِّيات، وعلى أحكام فَكَاكِ الأسير:

عن أبي جحيفة قال: سألت عليا رضي الله عنه: هل عندكم شيء مما ليس في القرآن؟ وقال ابن عيينة مرة: ما ليس عند الناس؟ فقال: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، ما عندنا إلا ما في القرآن، إلا فَهْمًا يعطى رجل في كتابه، وما في الصحيفة. قلت: وما في الصحيفة؟ قال: العقل وفكاك الأسير، وأن لا يُقْتَلَ مُسْلِمٌ بكافر. رواه البخاري

4- كتاب سعد بن عبادة الساعدي الخزرجي الأنصاري: صحابي (توفي سنة 13 هجرية)

قال ربيعة: وأخبرني ابْنٌ لِسَعْدٍ بن عبادة، قال: وجدنا في كتاب سعد: أن النبي صلى الله عليه وسلم، قضى باليمين مع الشاهد. رواه الترمذي

5- كتاب سَمُرَةَ بن جندب: صحابي (توفي سنة 58 هجرية)

يقول أبو محمد عبد الله بن يوسف الجديع في كتابه: تحرير علوم الحديث: وهذان مثالان محرران من أمثلة الرواية بالوجادة:

المثال الأول: رواية الحسن البصري عن سمرة بن جندب. انتهى

قال العلائي: "قد روى عنه نسخة كبيرة، غالبها في السنن الأربعة". انتهى من تاريخ يحيى بن معين

6- ما كتبه أبو بكر بن أنس بن مالك: تابعي (توفي سنة 101 هجرية)

ما رواه مسلم في صحيحه عن عتبان بن مالك، قال: قدمت المدينة فلقيت عتبان فقلت: حديث بلغني عنك، قال أصابني في بصري بعض الشيء، فبعثت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، أني أحب أن تأتيني فتصلي في منزلي فأتخذه مُصَلًّى، قال: فأتى النبي صلى الله عليه وسلم، ومَنْ شاء الله من أصحابه، فدخل وهو يصلي

في منزلي وأصحابه يتحدثون بينهم، ثم أسندوا عظم ذلك وكبره إلى مالك بن دخشم، قالوا: ودوا أنه دعا عليه فهلك وودوا أنه أصابه شر، فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة وقال: "أليس يشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله"؟ قالوا: إنه يقول ذلك، وما هو في قلبه. قال: "لا يشهد أحدٌ أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، فيدخل النار، أو تطعمه". قال أنس: (فأعجبني هذا الحديث، فقلت لابني: اكتبه فكتبه).

7- كتب ابن عباس وألواحه: صحابي (توفي سنة 68 هجرية)

قال زهير بن معاوية عن موسى بن عقبة قال: وضع عندنا كريب حِمْلَ بعير، أو عَدْلَ بعير، مِنْ كُتُبِ ابن عباس، فكان علي بن عبد الله بن عباس إذا أراد الكتاب كتب إليه: ابعث إليَّ بصحيفة كذا وكذا، فينسخها ويبعث إليه إحداهما. انتهى من سير أعلام النبلا للذهبي

عن عبيد الله بن علي عن جدته سلمى قالت: رأيت عبد الله بن عباس، معه ألواح يكتب عليها عن أبي رافع، شيئا من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم. انتهى من الطبقات الكبرى لابن سعد

8- كتاب محمد بن مسلمة الأنصاري: (توفي سنة 46 هجرية)

عن محمد بن سعيد قال: لما مات محمد بن مسلمة الأنصاري، وجدنا في ذؤابة سيفه كتابا: بسم الله الرحمن الرحيم، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: "إن لربكم في بقية أيام دهركم نفحات، فتعرضوا لها، لعل دعوة أن توافق رحمة، فيسعد بها صاحبها سعادة لا يخسر بعدها أبدا". رواه الحافظ أبو محمد الحسن ابن عبد الرحمن في المحدث الفاصل

9- كتاب أبي رافع القبطي: مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، صحابي (توفي سنة 40 هجرية)

عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام قال: دفع إلي أبو رافع، كتابا فيه استفتاح الصلاة، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، إذا قام في الصلاة كبر فقال: "وجهت وجهي للذي فطر

السماوات والأرض حنيفا، وما أنا من المشركين". وذكر بقية الحديث. انتهى من الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي

10-ألواح جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري: صحابي (توفي سنة 78 هجرية)

عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: رَأَيْتُ جَابِرًا يَكْتُبُ عِنْدَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَابِطٍ فِي الْأَلْوَاحِ. انتهى من تقييد العلم للخطيب البغدادي

وقال أحمد بن حنبل: كان قتادة أحفظ أهل البصرة لا يسمع شيئا إلا حفظه، قرئت عليه صحيفة جابر مرة فحفظها. انتهى من تذكرة الذهبي

11- كتاب بشير بن نهيك البصري السدوسي: تابعي (توفي سنة 91 هجرية)

عن بشير بن نهيك: أتيت أبا هريرة بكتابي الذي كتبت عنه فقرأته عليه، فقلت: هذا سمعته منك، قال: نعم. انتهى من تهذيب الكمال في أسماء الرجال للمزي

12-كُتُبُهُ صلى الله عليه وسلم إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام:

عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، كتب إلى كسرى وقيصر وإلى النجاشي، وهو غير الذي صلّى عليه، وإلى كل جبّار يدعوهم إلى الله عز وجل. رواه مسلم

وسأكتفي بالإشارة إلى كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، إلى المقوقس ملك مصر، حتى لا أطيل على القارئ:

- كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس ملك مصر:

ذكر الواقدي أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب إلى المقوقس مع حاطب بن أبي بلتعة: "بسم الله الرحمن الرحيم: من محمد بن عبد الله إلى المقوقس عظيم القبط، سلام على من اتبع الهدى. إلى آخر الكتاب". انتهى من كتاب المغازي

13-كتبه صلى الله عليه وسلم إلى أمرائه وعماله:

وذلك فيما يتعلق بتدبير شؤون الأقاليم الإسلامية وأحوالها، وبيان أحكام الدين، وهي كتب كثيرة تشتمل على مهمات أحكام الإسلام وعقائده، وبيان الأنصبة والمقادير الشرعية للزكاة والديات والحدود والمحرمات وغير ذلك، ومن هذه الكتب:

ا- كتاب الزكاة والديات الذي كاتب به أبو بكر الصديق: وأخرجه البخاري في صحيحه

فقد روى أبو داود والترمذي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم،كتب كتاب الصدقة فلم يُخْرِجْهُ حتى قُبِضَ. حدثني ثمامة بن عبد الله بن أنس، أن أنسا حدثه أن أبا بكر رضي الله عنه، كتب له هذا الكتاب، لما وَجَّهَهُ إلى البحرين: بسم الله الرحمن الرحيم، هذه فريضة الصدقة التي فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم، على المسلمين، والتي أمر الله بها رسوله. إلى آخر الكتاب. رواه البخاري

ب- كتابه لعمرو بن حزم عامله على اليمن: بين فيه أصول الإسلام، وطريق الدعوة إليه، والعبادات وأنصبة الزكاة والجزية والديات.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ فِي الْكِتَابِ الَّذِي كَتَبَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَمْرِو بْنِ حَزْمٍ فِي الْعُقُولِ. إلى آخر الكتاب. رواه مالك

ج- كتابه إلى وائل بن حجر لقومه في حضرموت: وفيه الأصول العامة للإسلام، وأهم المحرمات:

عن وائل بن حجر قال: فلما أردت الرجوع إلى قومي، أمر لي رسول الله صلى الله عليه وسلم، بكتب ثلاثة: منها كتاب لي خالص، يفضلني فيه على قومي، وكتاب لي ولأهل بيتي، بأموالنا هناك، وبكتاب لي ولقومي. إلى آخر الكتاب. انتهى من المعجم الكبير للطبراني بلفظه فيه، ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد بلفظه

14- كُتُبٌ أَمَرَ بها صلى الله عليه وسلم لأفراد من أصحابه لمناسبات ومقتضيات مختلفة:

- مثل كتابة خطبته لأبي شاهٍ اليماني:

حدثنا أبو هريرة: أنه عام فتح مكة، قتلت خزاعة رجلاً مِنْ بني ليث بقتيل لهم في الجاهلية، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: "إن الله حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين، ألا وإنها لم تحل لأحد قبلي، ولا تحل لأحد بعدي، ألا وإنما أحلت لي ساعةً من نهار، ألا وإنها ساعتي هذه، حرام لا يختلى

شوكها ولا يعضد شجرها ولا يلتقط ساقطتها إلا منشد، ومن قتل له قتيل فهو بخير النظرين، إما يودى وإما يقاد". فقام رجل من أهل اليمن يقال له أبو شاه، فقال: أُكْتُبْ لي يا رسول الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أُكْتُبُوا لأبي شاه". رواه البخاري

حدثني أبو هريرة قال: لما فُتِحَتْ مكة، قام النبي صلى الله عليه وسلم، فذكر الخطبة، خطبة النبي. قال: فقام رجل من أهل اليمن يقال له أبو شاه فقال: يا رسول الله، أُكْتُبُوا لي. فقال: "أُكْتُبُوا لأبي شاه". وبيّن في الرواية الثانية: أنها الخطبة التي سمعها يومئذ منه. رواه أبو داود

يقول أيلال: وذلك أن ما أمر بكتابته لأبي شاه، هو خطبة خطبها صلى الله عليه وآله وسلم، يوم فتح مكة ولقطة الحرم، وهذا من بيانه صلى الله عليه وآله وسلم، للقرآن الذي صرح به يوم الفتح، وصرح به في حجة الوداع وأمر بتبليغه، فهو خاص مستثنى من النهي العام.. انتهى (صفحة: 19-20)

قلت: وإنني لأعجب كل العجب، من تعليق أيلال على هذا الحديث، أي حديث: "أُكتبوا لأبي شاه"، فهو، أي أيلال، لا يفهم معنى الشريعة التي جاء بها النبي صلى الله عليه وسلم. فالشريعة لا تقتصر على أحاديث الغسل والوضوء، والصلاة والزكاة والصيام والحج، بل الشريعة تشمل المعاملات والحدود وأحكام السلم والحرب، وما على الراعي تجاه رعيتة، وما على الرعية تجاه راعيها، وما إلى ذلك.

وإنما هو تَذَرُّع وَاهٍ مِنْ أيلال، ليَرُدَّ هذا الحديث الذي يثبت خلاف ما ادَّعَاهُ، أي يثبت أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكتابة.

15- كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهل نجران:

وهذا نَصُّ الكتاب في الطبقات الكبرى لابن سعد: وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهل نجران: هذا كتاب من محمد النبي، رسول الله، لأهل نجران، أنه كان له عليهم حكمه في كل ثمرة صفراء أو بيضاء أو سوداء، أو رقيق، فأفضل عليهم. إلى آخر الكتاب. انتهى

وفي دلائل النبوة للبيهقي: بسم الله الرحمن الرحيم: هذا ما كتب محمد النبي رسول الله صلى الله عليه وسلم، لنجران، إذ كان عليهم حكمه في كل ثمرة، وكل صفراء وبيضاء وسوداء ورقيق، وأفضل عليهم، وترك ذلك كله على ألفي حلة من حلل الأواقي. إلى آخر الكتاب. انتهى

16- عقوده ومعاهداته التي أَبْرَمَهَا صلى الله عليه وسلم مع الكفار:

كصلح الحديبية وصلح تبوك، وصحيفة المعاهدة التي أُبرمت في المدينة بين المسلمين وبين مَنْ جاورهم من اليهود وغيرهم.

ا- كتاب صلح الحديبية:

قال الزهري: ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم، علي بن أبي طالب رضوان الله عليه، فقال: "اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم"، قال: فقال سهيل: لا أعرف هذا، ولكن اكتب: باسمك اللهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اكتب باسمك اللهم"، فكتبها. ثم قال: "اكتب: هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو"، قال: فقال سهيل: لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك، قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اكتب: هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو: اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين، يَأْمَنُ فيهن الناس ويَكُفُّ بعضهم عن بعض، على أنه مَنْ أتى محمدا من قريش بغير إذن وَلِيِّهِ رَدَّهُ عليهم، ومَنْ جاء قريشا ممن مع محمد لم يردوه عليه، وأن بيننا عيبة مكفوفة، وأنه لا إسلال ولا إغلال، وأنه من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه. إلى آخر الكتاب ". انتهى من سيرة ابن هشام

ب- كتاب صلح تبوك:

ولما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم، إلى تبوك، أتاه يحنة بن رؤبة، صاحب أيلة، فصالح رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأعطاه الجزية. وأتاه أهل جرباء وأذرح، فأعطوه الجزية، فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم كتابا، فهو عندهم. انتهى من سيرة ابن هشام

ج- معاهدة المدينة بين المسلمين ومن جاورهم من اليهود:

قال ابن إسحاق: وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا بين المهاجرين والأنصار، وَادَعَ فيه يهود وعاهدهم، وأَقَرَّهُمْ على دينهم وأموالهم، وشرط لهم واشترط عليهم: "بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من محمد النبي صلى الله عليه وسلم، بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب، ومَنْ تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم. إنهم أمة واحدة من دون الناس، المهاجرون من قريش، على ربعتهم يتعاقلون بينهم، وهم يفدون عانيهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين. إلى آخر الكتاب". انتهى من سيرة ابن هشام

لماذا نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كتابة الحديث؟

قلت: يرى علماؤنا أن نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم، عن كتابة الحديث، كان لأسباب منها:

الأول: حتى لا يختلط القرآن بالحديث النبوي الشريف.

الثاني: أن النهي كان في بداية نزول الوحي، ثم نسخ بعد ذلك.

وقد حاول رشيد أيلال وغيره، أن يوهموا القراء الكرام، بأن السنة لم تُكْتَبْ على عهده صلى الله عليه وسلم بالمرة. ولعل هذا الكم من الآثار التي جاء في الإذن بالكتابة، والذي سقنا بعضه من أصوله، يدل دلالة، لا تدع مجالا للشك على أن الحديث كان يُكْتَبُ على عهده صلى الله عليه وسلم.

وأنا أميل إلى رأي من قال أن حديث منع الكتابة، كان في بداية الوحي، ثم نسخ بعد ذلك.

وقد ارتأيت أن أؤكد ما ذهبت إليه، بهذه الرواية المرفوعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد تعمدت سوقها من صحيح البخاري وصحيح مسلم، على السواء:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي البيت رجال فيهم عمر ابن الخطاب، قال النبي صلى الله عليه وسلم: "هَلُمَّ أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده". فقال عمر: إن النبي صلى الله عليه وسلم، قد غلب عليه الوجع وعندكم القرآن، حسبنا كتاب الله. فاختلف أهل البيت، فاختصموا، منهم من يقول: قربوا يكتب لكم النبي صلى الله عليه وسلم، كتابا لن تضلوا بعده، ومنهم من يقول ما قال عمر، فلما أكثروا اللغو والاختلاف عند النبي صلى الله عليه وسلم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "قوموا". قال عبيد الله: فكان ابن عباس يقول: إن الرزية كل الرزية، ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب، من اختلافهم ولغطهم. رواه البخاري ومسلم واللفظ للبخاري

قلت: فها هو رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: "هَلُمَّ أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده". فلو لم يكن النهي عن الكتابة منسوخا، ما ذكر ذلك صلى الله عليه وسلم.

كما أن من حضر معه، من عمر رضي الله عنه، وأهل بيته صلى الله عليه وسلم، لم يعترض عليه أي منهم، ويخبره بأنه صلى الله عليه وسلم نهى عن كتابة الحديث. ولو كان النهي لا زال ساري المفعول لاعترضوا. فافهم رعاك الله ما قصدت إليه والله الموفق، لا إله غيره.

المبحث الثاني: أنصار الحديث يخالفون الحديث

يقول رشيد أيلال: والأخطر من ذلك، أن هؤلاء الشيوخ لم يطرحوا على أنفسهم، ولو لحظة في خلوة مع الذات، لماذا تأخر تدوين السنة لحوالي مائة سنة على وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، وهي بهاته القيمة في التشريع؟ انتهى (صفحة: 21)

قلت: إن كان أيلال، يقصد في هذا النص بالتدوين الكتابة، فقد أوردنا آثارا كافية تؤكد أن السنة ثبتت كتابتها على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم. حيث سقنا ما ورد في النهي عن الكتابة وما ورد في الإذن بالكتابة، وأثبتنا أن ما ورد في الإذن يفوق ما ورد في المنع بكثير، من أحاديث وأخبار.

في حين أن أيلال يقول بعكس ما ذهبنا إليه.

ولا شك أنه يقصد بالتدوين، معناه في اصطلاح أهل العلم، وهو التصنيف والتأليف، وتدوين الحديث.

ومعلوم أن العرب لم يكونوا أهل قَلَمٍ وكتابة، بل كانوا أهل استماع وحفظ واستيعاب، فقد كان منهم من يحفظ مئات القصائد، من ضمنها المعلقات، ومنهم من يحفظ الأنساب والأخبار والأيام والسير عن ظهر قلب.

بالإضافة إلى أن حديث النبي صلى الله عليه وسلم، كان بلسانهم ولغتهم التي يتكلمون بها، من صباهم إلى يوم وفاتهم.

فَالسُّنَّةُ لم تُدَوَّنْ، حقا، على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، بمعنى التدوين، وهو التأليف والتصنيف. ولكنها كانت محفوظة عند المسلمين، لأسباب نذكر منها:

1- كانت محفوظة في الصدور، لأن في حفظها تفقه في الدين. والنبي صلى الله عليه وسلم، أمر بتبليغها.

قال حميد بن عبد الرحمن: سمعت معاوية خطيبا يقول: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "مَنْ يُرِدِ الله به خيرا يفقهه في الدين، وإنما أنا قاسم والله يعطي، ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله". رواه البخاري

2- كان الصحابة ومن بعدهم، يبلغون الأحاديث بعضهم إلى بعض، لأن النبي صلى الله عليه وسلم رغب في ذلك.

عن زيد بن ثابت قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: "نَضَّرَ الله امْرأً سمع منا حديثا فحفظه حتى يبلغه، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ورب حامل فقه ليس بفقيه". رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه وأحمد

3- كانت السنة ولا زالت إلى يومنا هذا متداولة بين الناس، بكل مكوناتها، العقيدة والشريعة والعبادات والمعاملات.

وكان الناس على عهده صلى الله عليه وسلم، لا يسألون الفتوى من أحد غيره صلى الله عليه وسلم، كيف وهو لا زال يحيى بين أظهرهم.

ففيما يخص العبادات، فإنها كانت ولا زالت إلى يومنا هذا متداولة في المساجد.

فالمسلمون يجتمعون خمس مرات في اليوم على صعيد حَوْمَتِهِمْ، في الصلوات الخمس

ويجتمعون مرة في الأسبوع على صعيد حَيِّهِمْ، في خطبة الجمعة وصلاتها.

ويجتمعون مرتين في السنة على صعيد قريتهم أو مدينتهم، في خطبتي العيدين وصلاتيهما.

ويجتمعون مرة في السنة على صعيد العالم أجمع، في موسم الحج.

واجتماعهم للصلاة يجعلهم يقيمونها ويتدارسون ما ورد فيها من أحاديث، حين يتحلقون حول علمائهم، أو يجتمعون فيما بينهم، ويُعَلِّمُ بعضهم بعضا، أحكام الصلاة والصيام والحج وما إلى ذلك.

أما التشريعات والمعاملات، فلا زالت متداولة هي الأخرى منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم، إلى يومنا هذا.

فهذه أحكام الإرث، كلما مات صاحب مال، سأل ورثته عن أنصبائهم.

وهذا زواج وأحكامه، وهذا طلاق رجعي، وطلاق بائن.

وهذا حد السارق، وحد الزاني، محصنا أو غير محصن.

وهذه المعاملات، من هبة وصدقة وكراء ورهن، وبيع وشراء.

هذا التداول الذي ذكرناه، لا يَهُمُّ قرية من القرى أو مصرا من الأمصار، بل يَهُمُّ كل دول المسلمين وشعوبهم، بل كل أقلياتهم في العالم أجمع.

فكيف ينسى الناس كل هذا؟

كيف ينسونه وهو جزء لا يتجزأ من حياتهم اليومية، في بيوتهم ومساجدهم، أينما حلوا وارتحلوا؟

وليعلم أيلال وغيره، أن السنة ليست أُحْجِيَةً حكاها رسول الله صلى الله عليه وسلم، عقلها من عقلها ونسيها من نسيها.

بل السنة دستور لحياة المسلمين ولدينهم، دنياهم وآخرتهم.

المبحث الثالث: عذر أقبح من زلة

ذهب جمهور العلماء، إلى أن الرسول صلى الله عليه وسلم، نهى عن كتابة حديثه، حتى لا يختلط بالقرآن.

يقول أيلال: في حين أن أبا بكر الصديق وعمر بن الخطاب وغيرهم من الصحابة، قد بينوا العلل الواضحة التي كانت وراء منع كتابة الحديث، وهي أن يكون كتاب آخر مع كتاب الله، أو حتى لا ينشغل الناس عن كتاب الله، بكلام رسوله. انتهى (صفحة: 26)

قلت: وإذا كان سيدنا عمر رضي الله عنه، قد تراجع عن جمع السنة، فما فعل ذلك إلا خوف أن يشغل الناس بكتاب غير كتاب الله، وليس لأن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن كتابتها.

روى البيهقي وعبد الزراق، أن عمر أراد أن يكتب السنن، فاستفتى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، في ذلك، فأشاروا عليه أن يكتبها، فطفق عمر يستخير الله شهرا، ثم أصبح يوما وقد عزم الله له، فقال: إني كنت أريد أن أكتب السنن، وإني ذكرت قوما كانوا قبلكم كتبوا كتبا، فَأَكَبُّوا عليها، وتركوا كتاب الله. وإني لا أَشُوبُ كتاب الله بشيء أبدا. انتهى

فإذا تأملنا ما ورد في هذا الخبر، نخرج بثلاثة أمور:

الأول- لما استفتى عمر أصحابه في كتابة السنن، أشاروا عليه أن يكتبها. ولو كان نهي النبي صلى الله عليه وسلم، عن كتابتها لا زال ساري المفعول، لما أشاروا عليه بكتابتها، ولَاعْتَرَضُوا عليه به.

الثاني- بَرَّرَ عمر رضي الله عنه، امتناعه عن كتابة الحديث، بأنه لا يريد أن يكتب كتابا يشغل الناس عن كتاب الله تعالى.

الثالث- يتبين أن مقصود عمر رضي الله عنه، من كتابة السنن، جمعها في كتاب مستقل، وإلزام رعيته بهذا الكتاب، كما جرت العادة في جمع القرآن على يد عثمان رضي الله عنه. ولم يكن ينوي إلزام رعيته بها، لما خاف أن يشغلهم كتابه عن كتاب الله تعالى.

أما كتابة الحديث من طرف عامة المسلمين في صحائف خاصة متفرقة، فهذا لم يكن موضوع استفتاء عمر رضي الله عنه للصحابة الكرام.

يقول أيلال: غير أن أحاديث منع التدوين والكتابة، تبقى هي الأقوى والأكثر حضورا، وهذا ما يفسر إعراض الخلفاء الراشدين ومعهم جمع غفير من الصحابة عن تدوين الحديث. انتهى (صفحة: 19)

قلت: أَرُدُّ عليه من ثلاثة أوجه:

الأول: قد بَيَّنَّا آنفا، بما لا يدع مجالا للشك، أن أحاديث الإذن بكتابة الحديث، هي الأقوى. (انظر المبحث الأول: منع الرسول للصحابة من تدوين كلامه، من هذا الفصل. صفحة40 من هذا الكتاب)

الثاني: حديث امتناع عمر رضي الله عنه عن جمع السنن، استفتى فيه الصحابة في ذلك فأشاروا عليه بأن يكتبها.

فلا أدري من أين أتى أيلال، بهذا الجمع الغفير من الصحابة الذين يُعْرِضُونَ عن تدوين الحديث. فربما لأن أيلال، لا يزال لا يفرق بين معنى الكتابة ومعنى التدوين.

الثالث: لم يُبَرِّرْ عمر امتناعه عن كتابة السنن، بنهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كتابتها، كما حاول أيلال أن يوهمنا، بل برر امتناعه، بألا يكتب كتابا يشغل الناس عن كتاب الله تعالى. ولو كان النهي لا زال

ساري المفعول، لقال عمر رضي الله عنه: لا أفعل شيئا، نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم، فافهم رعاك الله.

بعد أن بَيَّنَا سبب إعراض عمر، رضي الله عنه، عن كتابة الحديث، نشير إلى أن خبر حرق أبي بكر رضي الله عنه، لِمَا أراد جمعه من أحاديث، هذا الخبر، غير صحيح عند عامة علماء الجرح والتعديل، ولو أن أبا بكر، امتنع عن جمع الحديث، مُتَذَرِّعًا بما تذرع به عمر رضي الله عنه، من بعده.

وقد ذكر الذهبي رحمه الله، خبر إحراق أبي بكر، رضي الله عنه، للأحاديث الشريفة، لكنه لم يتركه هكذا، وإنما علق عليه قائلا: وهذا لا يصح والله أعلم. انتهى من تذكرة الحفاظ للذهبي

وها هو عمر بن عبد العزيز، خامس الخلفاء الراشدين، بِمُجَرَّدِ تَوَلِّيهِ خلافة المسلمين، في العام التاسع والتسعين للهجرة، يُقْدِمُ على جمع السنة، خوف ضياعها واندثارها.

روى الخطيب في "تقييد العلم": عن عبد الله بن دينار البَهْراني قال: كتب عمر بن عبد العزيز إلى أهل المدينة: أن انظروا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاكتبوه، فإني قد خِفْتُ دروس العلم وذهاب أهله. انتهى وعن ابن شهاب الزهري قال: أمرنا عمر بن عبد العزيز بجمع السنن، فكتبناها دفتراً دفتراً، فبعث إلى كل أرضٍ له عليها سُلْطانٌ دفتراً. انتهى من جامع بيان العلم وفضله

المبحث الرابع: السنة قاضية على القرآن

قبل أن نجيب على تساؤلات أيلال المفتعلة في هذا المبحث، سنقدم بمقدمة، تتناول ما يدل على أن الدين الإسلامي قرآن وسنة لا ينفصلان. ولم يعد خافيا على أحد، أن هذه الحملة المسعورة من أيلال وأساتذته من المرجفين، الذين يُنَوِّهُ بهم، في حركاته وسكناته، ولا يفتأ عن ترديد ما يقولون، هذه الحملة، يهدفون منها إلى إيهام المسلمين، بأن القرآن هو المصدر الوحيد للتشريع، ولا حاجة لنا بالسنة، بل إن السنة أكاذيب وأباطيل نسبت للنبي صلى الله عليه وسلم.

لأنهم، أي هؤلاء المرجفون، إذا أقنعوا الناس بإلغاء السنة النبوية، سيكونون بذلك، قد ألغوا الإسلام بالمرة، إذ لا قرآن بغير سنة.

ولنبدأ بمقدمتنا إن شاء الله تعالى:

القرآن الكريم يأمرنا بالعمل بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم.

يقول الله تعالى: "وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ، وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا، وَاتَّقُوا اللَّهَ، إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ". الحشر 7

ويقول سبحانه: "وَمَا كَانَ لِمُومِنٍ وَلَا مُومِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ تكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِن اَمْرِهِمْ، وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا". الأحزاب 36

ويقول سبحانه: "قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ، فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ، وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا، وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ". النور 52

ويقول سبحانه: "وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ". النساء 63

ويقول سبحانه: "فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُومِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا". النساء 64

وقد يقول القائل، إذا كانت هذه الآيات، توجب طاعة النبي صلى الله عليه وسلم، فربما هي موجهة إلى صحابته رضي الله عنهم، الذين عاصروه، وكان يأمرهم وينهاهم.

وأقول: إن هذا التساؤل، لدليل، على أن العمل بسنة النبي صلى الله عليه وسلم، واجب، فلا يمكن التعرف على أوامره ونواهيه صلى الله عليه وسلم، سوى من خلالها. لأنها بين أيدينا محفوظة في الصحاح والسنن، والمسانيد والمستدركات، وغيرها.

وكل من ألغى هذه الكتب، فهو يقول بلسان الحال: التشريع الإسلامي، مُنَزَّلٌ على الصحابة رضي الله عنهم، دون بقية الناس. وهذا القول، لا يرضاه أحد.

قوله تعالى: "هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمُ آياتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ". الجمعة 2

فقد قال سبحانه في هذه الآية: "وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ". فعطف الحكمة على الكتاب، والعطف يقتضي المغايرة. وما الحكمة إلا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ويؤيد ذلك قوله تعالى: "وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ". النحل 44

فالبيان والتبيين، هو سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، التي تقوم بوظائف عدة، لتخدم القرآن وتبينه. هذه الوظائف نعرض لها في التالي:

يقول ابن حزم الأندلسي، مُنْكِرًا على من ينكر السنة: ونسأل قائل هذا القول الفاسد: في أي قرآن وجد أن الظهر أربع ركعات، وأن المغرب ثلاث ركعات، وأن الركوع على صفة كذا، والسجود على صفة كذا، وصفة القراءة فيها والسلام، وبيان ما يجتنب في الصوم، وبيان كيفية زكاة الذهب والفضة، والغنم والإبل والبقر، ومقدار الأعداد المأخوذ منها الزكاة، ومقدار الزكاة المأخوذة، وبيان أعمال الحج مِنْ وقت الوقوف بعرفة، وصفة الصلاة بها وبمزدلفة ورمي الجمار، وصفة الإحرام، وما يجتنب فيه، وقطع يد السارق، وصفة الرضاع المحرم، وما يحرم من المآكل، وصفة الذبائح والضحايا وأحكام الحدود، وصفة وقوع الطلاق، وأحكام البيوع، وبيان الرّبا، والأقضية والتداعي والإيمان والأحباس، والعمرى، والصدقات، وسائر أنواع الفقه؟

وإنما في القرآن جمل لو تركنا وإياها، لم ندرِ كيف نعمل فيها، وإنما المرجوع إليه في كل ذلك، النقل عن النبي صلى الله عليه وسلم.

وكذلك الإجماع، إنما هو على مسائل يسيرة، قد جمعناها كلها في كتاب واحد وهو المرسوم "بكتاب المراتب" فمن أراد الوقوف عليها فليطلبها هنالك، فلا بد من الرجوع إلى الحديث ضرورة، ولو أن امرأ قال: لا نأخذ إلا ما وجدنا في القرآن، لكان كافراً بإجماع الأمة، ولكان لا يلزمه إلا ركعة ما بين دلوك الشمس إلى غسق الليل، وأخرى عند الفجر، لأن ذلك هو أقل ما يقع عليه اسم صلاة، ولا حَدَّ للأكثر في ذلك. انتهى من الإحكام في أصول الأحكام

وظائف السنة:

أولا: السنة تؤكد وتقرر ما ورد في القرآن

مثاله: ورد في حديث جبريل، الذي رواه مسلم بن الحجاج، عن عمر رضي الله عنه، جواب النبي صلى الله عليه وسلم، لما سأله جبريل عليه السلام عن الإيمان:

قال: فأخبرني عن الإيمان، قال: "أن تُؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره". وفي ذلك تقرير وتأكيد لما ورد في الآية الكريمة: "آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُومِنُونَ، كُلٌّ آمنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ". البقرة 284

ثانيا: السنة تقيد ما أطلقه القرآن

مثاله: قوله تعالى: "مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ". النساء 11

– عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، يَقُولُ: "إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعْطَى كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، فَلَا وَصِيَّةَ لِوَارِثٍ". رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالْأَرْبَعَةُ إِلَّا النَّسَائِيَّ وَحَسَّنَهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ

فقد قَيَّدَ الحديث الشريف مطلق لفظ القرآن بالوصية، في غير الوارث.

– وَعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله تعالى عنه قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَا ذُو مَالٍ، وَلَا يَرِثُنِي إِلَّا ابْنَةٌ لِي وَاحِدَةٌ، أَفَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثَيْ مَالِي؟ قَالَ: "لَا"، قُلْتُ: أَفَأَتَصَدَّقُ بِشَطْرِهِ؟ قَالَ: "لَا"، قُلْتُ: أَفَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثِه؟ قَالَ: "الثُّلُثُ، وَالثُّلُثُ كَثِيرٌ، إِنَّكَ أَنْ تَذَرَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ". مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ

فقيد هذا الحديث كذلك الوصية في أن لا تتجاوز الثلث، مِنْ مال الموصي.

ثالثا: السنة تشرح ما أشكل في القرآن

مثاله: قال تعالى: "الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ". الأنعام 83

– عن عبد الله قال: لما نزلت هذه الآية: "الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ". الأنعام 83 شق ذلك على الناس، فقالوا: يا رسول الله، وَأَيُّنَا لا يظلم نفسه، فقال: "إنه ليس كما تعنون، ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح: "يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم". لقمان 13 إنما هو الشرك". رواه الطبري

– وقال سبحانه: "وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ". البقرة 186

عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: لما نزلت: "حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود"، عمدت إلى عقال أسود وإلى عقال أبيض، فجعلتهما تحت وسادتي، فجعلت أنظر في الليل، فلا يستبين لي، فغدوت على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فذكرت له ذلك، فقال: "إنما ذلك سواد الليل وبياض النهار". رواه البخاري

رابعا: السنة تُفَصِّلُ ما أَجْمَلَهُ القرآن

مثال ذلك: قوله تعالى: "وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ". البقرة 42

فالآية الكريمة تتضمن أمره تعالى بالصلاة، إلا أنها لا تبين طريقة الصلاة فيما يخص القنوت والسجود والركوع، ولا ما يتلى في ذلك كله، ولا تحدد مواقيتها وعدد ركعاتها، ولا أنواعها، كصلاة الجماعة وصلاة العيد، وصلاة الجنازة والاستسقاء وما إلى ذلك.

فجاءت السنة بكل تلك التفاصيل.

روي عن مالك بن الحويرث رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "صلُّوا كما رأيتُموني أُصلِّي". رواه البخاري

وكذلك الزكاة، أوجبتها الآية، ولم تبين نصابها ومقاديرها، فتكفلت السنة بتفصيل ذلك كُلِّهِ.

وما نقوله في الصلاة والزكاة نقوله في الصيام والحج.

فافهم أيها القارئ النبيه، أن كل من يحاول إلغاء السنة ويدعو لذلك، فإنما يدعو لإلغاء القرآن وإحباطه، فبإلغاء السنة، يعجز الناس عن إقامة الصلاة وأداء الزكاة، بل وعن صوم رمضان، والحج إلى بيت الله من استطاع إليه سبيلا.

فلا شك أن الباري عز وجل تَكَفَّلَ بحفظ كتابه العزيز، في قوله تعالى: "إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ، وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ". الحجر 9

ولا يتهيأ حفظ القرآن الكريم إلا بحفظ السنة الشريفة، فبإنكار السنة، ينصرف الناس عن أداء العبادات، لأن القرآن الكريم أمر بأدائها، دون أن يفصلها ويوضح كيفية أدائها.

وفي ذلك ضياع للقرآن الذي تكفل الله تعالى بحفظه.

إذن، فلا حفظ للقرآن دون حفظ السنة، بل يكون ضياعه بضياعها، بل بضياعها يضيع الإسلام مرة واحده. فافهم رعاك الله تعالى ما يُرَادُ بك. فليست هذه، إلا دعوة إلى الكفر بعد الايمان بطرق ماكرة، وحِيَلٍ ساذجة لا تنطلي على النُّبَهَاءِ.

خامسا: السنة تُخَصِّصُ عُمُومَ القرآن

مثاله:

- يقول الله تعالى: "حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الأَخِ وَبَنَاتُ الأُخْتِ، وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ، وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ، فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ، وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ اَصْلَابِكُمْ، وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ، كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ، وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ". النساء 23-24

عنْ عَلِيٍّ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا لَكَ تَنَوَّقُ فِي قُرَيْشٍ وَتَدَعُنَا؟ فَقَالَ: "وَعِنْدَكُمْ شَيْءٌ"؟ قُلْتُ: نَعَمْ، بِنْتُ حَمْزَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّهَا لَا تَحِلُّ لِي، إِنَّهَا ابْنَةُ أَخِي مِنَ الرَّضَاعَةِ". رواه مسلم

فالسنة هنا، جعلت ما يحرم من النسب كما يحرم من الرضاع، ولا حرمة لذلك في القرآن الكريم.

- وقال سبحانه: "وَأَحَلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ". النساء 24

عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: "لاَ يُجْمَعُ بين الْمَرْأَةِ وَعَمَّتِهَا، وَلا بَيْنَ الْمَرْأَةِ وَخَالَتِهَا". متفق عليه

قلت: مع العلم أن القرآن لم يرد فيه تحريم الجمع بين المرأة وخالتها، والمرأة وعمتها.

- قال سبحانه: "إنما حرم عليكم الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ". البقرة 172

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أُحِلَّتْ لكم مَيْتَتَانِ وَدَمَانِ، فأما الميتتان فَالْجَرَادُ والْحُوتُ، وأما الدمان، فالكبد والطحال. رواه أحمد وابن ماجه

- وقال سبحانه: "يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ، لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ". النساء 11

عن عائشة أن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، حين تُوُفِّيَ رسول الله صلى الله عليه وسلم، أردن أن يبعثن عثمان إلى أبي بكر ليسألنه ميراثهن، فقالت عائشة: أليس قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا نورث ما تركنا صدقة"؟ رواه البخاري

رغم أن القرآن عمم الإرث، ولم يخصص الأنبياء والرسل، بأنهم لايورثون، دون سائر أفراد الأمة.

- يقول الله تعالى: "وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا". النساء 100، فظاهر هذه الآية يقتضي أن قصر الصلاة في السفر مشروط له الخوف، ولذلك سأل بعض الصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: ما بالنا نقصر وقد أَمِنَّا؟ قال: "صَدَقَةٌ تصدَّق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته". رواه مسلم

سادسا: استقلال السنة بإثبات أحكام لم يأت بها القرآن

- قال تعالى: "إنما حرم عليكم الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ، فَمَن اُضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ، إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ". البقرة 172

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلم عن كُلِّ ذِي نَابٍ مِنَ السِّبَاعِ، وَعَنْ كُلِّ ذِي مِخْلَبٍ مِنَ الطَّيْرِ. رواه مسلم

قلت: ولم يحرم القرآن أكل ذي ناب من السباع، ولا أكل ذي مخلب من الطير.

- عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ذكاة الجنين ذكاة أمه". رواه الترمذي

كما أن هذا الحديث، أتى بِحُكْمٍ جديد، لم يأت به القرآن، وهو جواز أكل الجنين الميت، في بطن البهيمة المذكاة.

- قال تعالى: "قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ". الأنعام 146

عن أنس رضي الله عنه قال: لَمَّا كنا يوم خَيْبر، أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، أبا طلحة، فنادى: "إن الله ورسوله ينهَيانِكم عن لحومِ الحُمُر الأهلية؛ فإنها رجس". متفق عليه

ولم يَرِدْ نَهْيٌ عن لحوم الحمر الأهلية في القرآن.

– عن حذيفة بن اليمان قال: ولَكِنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يقولُ: "لا تَلْبَسُوا الحَرِيرَ ولَا الدِّيبَاجَ، ولَا تَشْرَبُوا في آنِيَةِ الذَّهَبِ والفِضَّةِ، ولَا تَأْكُلُوا في صِحَافِهَا؛ فإنَّهَا لهمْ في الدُّنْيَا، ولَنَا في الآخِرَةِ". رواه البخاري

وروى الترمذي عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "حُرِّمَ لباس الحرير والذهب على ذكور أمتي وأُحِلَّ لإناثهم".

وكل هذه المحرمات، التي ذكرت في الحديث، لم تحرم في القرآن.

– عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من شرب الخمر فاجلدوه، فإن عاد فاجلدوه، فإن عاد فاجلدوه، فإن عاد فاقتلوه". رواه أحمد

ولا يوجد حد شارب الخمر في كتاب الله تعالى.

– عن عبادة بن الصامت، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "خُذُوا عني، خُذُوا عني، قدَ جَعَلَ الله لَهُنَّ سبيلا، البِكْرُ بالبِكْر جَلْدُ مِائة ونَفْيُ سَنَةٍ، والثَّيِّبُ بالثيب جلد مائة والرجم". رواه مسلم

ولا يوجد ذلك في كتاب الله العزيز.

– عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يَحِلُّ دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، إلا بإحدى ثلاث: الثيّب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة". رواه البخاري ومسلم

قلت: والتارك لدينه المفارق للجماعة، هو المرتد عن دينه، ولا يوجد له حَدٌّ في كتاب الله تعالى.

– عن عبد الله بن زيد رضي الله عنه قال: لَمَّا أَمَرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم، بِالنَّاقُوسِ يُعْمَلُ لِيُضْرَبَ بِهِ لِلنَّاسِ، لِجَمْعِ الصلاة، طاف بي وأنا نائم، رجل يحمل ناقوساً في يده، فقلت: يا عبد الله، أَتَبِيعُ الناقوس؟ قال: وما تصنع به؟ فقلت: ندعو به إلى الصلاة، قال: أَفَلَا أَدُلُّكَ عَلَى مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْ ذَلِكَ؟ فقلت له: بلى، قال: فقال: تقول: الله أكبر الله أكبر، الله أكبر الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمدا رسول الله أشهد أن محمدا رسول الله، حيَّ على الصلاة حيَّ على الصلاة، حيَّ على الفلاح حيَّ على الفلاح، الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله. قال: ثُمَّ اسْتَأْخَرَ عَنِّي غَيْرَ بعيد، ثم قال: وتقول

إِذَا أَقَمْتَ الصَّلَاةَ: الله أكبر الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمدًا رسول الله، حيَّ على الصلاة حيَّ على الفلاح، قَدْ قَامَتِ الصَّلَاةُ قد قامتِ الصلاة، الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله. فلما أصبحت، أتيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخبرته بما رأيتُ فقال: "إِنَّهَا لَرُؤْيَا حَق إِنْ شَاءَ اللَّهُ، فَقُمْ مَعَ بِلَالٍ، فَأَلْقِ عَلَيْهِ مَا رَأَيْتَ فَلْيُؤَذِّنْ بِهِ، فإنه أَنْدَى صوتا منك". فقمتُ مع بلال، فَجَعَلْتُ أُلْقِيهِ عَلَيْهِ وَيُؤَذِّنُ بِهِ، قَالَ: فَسَمِعَ ذَلِكَ عُمَرُ بنُ الخَطَّاب وهو في بيته، فخرج يَجُرُّ رِدَاءَهُ ويقول: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقّ يَا رَسُولَ اللَّهِ، لقد رأيتُ مثل ما رأى، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "فَلِلَّهِ الحَمْدُ". رواه أبو داود وأحمد والدارمي

ولا توجد صيغة للأذان في كتاب الله تعالى بالمرة.

– قال سبحانه: "فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ". النساء 11

عن جابر بن عبد الله قال: جاءت امرأة سعد بن الربيع بابنتيها مِنْ سعد، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: يا رسول الله، هاتان ابنتا سعد بن الربيع، قُتِلَ أبوهما معك يوم أحد شهيدا، وإن عمهما أخذ مالهما فلم يَدَعْ لهما مالا، ولا تنكحان إلا ولهما مال. قال: "يقضي الله في ذلك"، فنزلت آية الميراث. فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم، إلى عمهما. قال: "أعط ابنتي سعد الثلثين وأعط أمهما الثمن وما بقي فهو لك". رواه الترمذي

فالآية الكريمة، جعلت الثلثين، لما فوق اثنتين، من البنات.

ولكن الحديث، أعطى الثلثين للبنتين، الاثنتين، فقط، دون وجود الثالثة.

– حدثني الربيع بن سبرة الجهني، أن أباه حدثه، أنه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: "يا أيها الناس، إني قد كنت أَذِنْتُ لكم في الاستمتاع من النساء، وإن الله قد حرم ذلك إلى يوم القيامة، فمن كان عنده منهن شيء، فَلْيُخْلِ سبيله ولا تأخذوا مما آتيتموهن شيئا". رواه مسلم

وفيه تحريم زواج المتعة، الذي لم يرد تحريمه في القرآن.

– الحكم بشاهد ويمين، بدل شهادة رجلين أو شهادة رجل وامرأتين:

قال تعالى: "وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ، فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى. البقرة 281

روى مسلم وأحمد وأبو داود عن ابن عباس رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم، قضى بشاهد ويمين.

أمثلة للإلحاق عن طريق القياس:

حرم الله الربا، وقد كان ربا الجاهلية هو فسخ الدين بالدين، يقول الطالب: إما أن تقضي وإما أن تربي. ولما كانت العلة فيه إنما هو من أجل كونه زيادة من غير عوض، ألحقت به السنة كل ما فيه زيادة بذلك المعنى، فقال عليه الصلاة والسلام: "الذهب بالذهب، والفضة بالفضة، والبر بالبر، والشعير بالشعير، والتمر بالتمر، والملح بالملح، مثلاً بمثل، سواء بسواء، يدًا بيد، فمن زاد أو ازداد فقد أربى، فإذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم إذا كان يدًا بيد". رواه مسلم

المبحث الرابع: السنة قاضية على القرآن:

بعد أن خط أيلال عنوان هذا المبحث، بدأ باستعمال أسلوب التفخيم والإثارة. فقال: من يقرأ هذا العنوان سيصاب بالدهشة في أول وهلة، حيث أن المنطق يقول: إذا كان القرآن هو أول أصل من أصول التشريع بالاتفاق، وهو كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فكيف ساغ لهؤلاء القول بأن السنة قاضية على الكتاب؟!انتهى (صفحة: 27)

ونُعَقِّبُ عليه في التالي:

أولا- حين يقول أيلال: فكيف ساغ لهؤلاء القول بأن السنة قاضية على الكتاب؟! انتهى

لم يذكر أسماء هؤلاء الذين ساغ لهم ما ادعاه عليهم.

فإن القول بأن السنة قاضية على القرآن. لم يجئ به إلا إمام واحد، وهو ابن أبي كثير.

عن يحيى بن أبي كثير قال: السنة قاضية على القرآن وليس القرآن بقاض على السنة. انتهى من سنن الدارمي

ثانيا– وهذا الإمام لم يعن بقوله هذا، ما فهم أيلال من أن السنة مقدمة على القرآن.

فقد بَيَّنَ أقرانه من الأئمة مفهوم قوله ودلالته، حتى لا يلتبس على أمثال أيلال.

قال الأوزاعي: الكتاب أحوج إلى السنة من السنة إلى الكتاب. قال أبو عمر: يريد أنها تقضي عليه، وتبين المراد منه. انتهى من البحر المحيط للزركشي

ثالثا- ما ثبت عن الإمام أحمد رحمه الله، مما قال لما سئل عن هذا القول:

وقال الفضل بن زياد: سمعت أحمد بن حنبل وقد سئل عن الحديث الذي روي: أن السنة قاضية على الكتاب. فقال: ما أَجْسُرُ على هذا أن أقوله، ولكن أقول: إن السنة تُفَسِّرُ الكتاب وتُبَيِّنُهُ. انتهى من البحر المحيط للزركشي

قلت: فالإمام أحمد، بقوله هذا، لم يستحسن ظاهر اللفظ الذي قاله ابن أبي كثير، ولكنه لم يفهمه كما فهمه أيلال، وحبذ رحمه الله تعالى، القول بأن السنة تفسر الكتاب وتبينه.

ولكن أيلال،كعادته، يثير الزوبعة في فنجان، بل ويقيم الدنيا ويقعدها، وهو يَقْلِبُ مفهوم النص ويُحَمِّلُهُ ما لا يَحْتَمِلُ، ويُوهِمُ الناس أن كل علماء الأمة، يُقَدِّمُونَ السنة على القرآن. في حين أن ابن أبي كثير، يعني بقوله، أن الناس يرجعون إلى السنة، لتشرح ما أُشْكِلَ عليهم من القرآن، ويرجعون إليه في غير ذلك، كما سنأتي عليه إن شاء الله تعالى.

رابعا- يُعَدُّ ابن أبي كثير عند العلماء ثِقَةً وَعَدْلاً مَأْمُوناً:

يقول عنه الإمام الذهبي في "سير أعلام النبلا": كان طَلَّابَةً للعلم، حُجَّةً. انتهى

عن أيوب قال: ما بَقِيَ على وجه الأرض مِثْلُ يحيى بن أبي كثير.

وقال أبو حاتم الرازي: هو إمام لا يروي إلا عن ثقة، وقد نالته مِحْنَةٌ، وضُرِبَ لكلامه في وُلَاةِ الجُورِ.

نَقَلَ جماعة: أنه تُوُفِّيَ سنة تسع وعشرين ومائة، وبعضهم نقل أنه بقي إلى سنة اثنتين وثلاثين ومائة، والأول أصح.

قال أحمد: هو من أثبت الناس.

ابن وهب: أخبرني من سمع الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير، أن سليمان بن داود قال لابنه: إن الأحلام تصدق قليلا، وتكذب كثيرا، فعليك بكتاب الله، فالزمه، وإياه فتأول.

قال الفلاس: مات سنة تسع وعشرين ومائة. انتهى كل ما تقدم من "سير أعلام النبلاء" للذهبي

قلت: يستدل رشيد أيلال بما رواه البخاري ومسلم: عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله الحديث".

ثم حكم على هذا الحديث الذي رواه الشيخان، بأنه يخالف قول الله تعالى في كتابه العزيز: "لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ، قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ". البقرة 255

وقوله تعالى: "وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُومِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ". الكهف 29

ويُكَذِّبُ الحديث، لأنه، في نظره الضيق، يخالف القرآن.

ولو بذل مجهودا قليلا في البحث، أو سأل أهل الشأن، لما وقع في هذا الافتراء الباطل.

ألم يقل الباري عز وجل: "فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ"؟ النحل 43

ولكن أيلال، كعادته، يخطئ ويستنتج التُّرَّهَاتِ مِنْ خطئه، ويحكم بها على الناس.

فما جوابه، إذا أوردت له آيات من القرآن لا تتعارض مع هذا الحديث؟

ويتبين من مضمونها، أن الحديث ما جاء إلا ليؤكد ما جاء فيها.

ومن هذه الآيات:

قوله تعالى: "وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ". التوبة 36

وقوله تعالى: "وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ، فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ". البقرة 192

وقوله تعالى: فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا". النساء 88

وقوله تعالى: "وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ، وَأُولَئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا". النساء 90

وغيرها كثير، وفي هذا القدر كفاية لمن ألقى السمع وهو شهيد.

ثم أورد أيلال ما رواه مسلم وغيره، عن عائشة قالت: كان فيما أنزل، عشر رضعات معلومات يحرمن، فنسخن بخمس معلومات. فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهن مما يقرأ من القرآن. انتهى

وقال بعدها: فهذا الحديث المنسوب إلى أمنا عائشة يتهم القرآن بالتحريف والتزوير. انتهى (صفحة: 29)

إلى أن قال: لكن المرويات الغريبة كهاته، والقادحة في صدقية القرآن، لا مجال لمناقشتها من طرف هؤلاء، مع كامل الأسف. انتهى (صفحة: 29)

وأقول رَدًّا عليه: هذا من قبيل نسخ القرآن بالقرآن.

قال تعالى: "وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ، بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ". النحل 101

وهنا ارتأيت أن أُبَيِّنَ أنواع نسخ القرآن للقرآن، حتى تَعُمَّ الفائدة، وتتضح الرؤية، فأقول والله المستعان:

والنسخ في القرآن ثلاثة أنواع:

النوع الأول: نسخ التلاوة والحكم معا

ومثاله: ما رواه مسلم وغيره، عن عائشة قالت: كان فيما أنزل عشر رضعات معلومات يحرمن، فنسخن بخمس معلومات. فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهن مما يقرأ من القرآن.

والأظهر أن التلاوة نسخت قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بقليل، ولم يبلغ ذلك كل الناس، إلا بعد وفاته صلى الله عليه وسلم، فتوفي ولازال بعضهم يقرؤها.

جاء في شرح النووي لصحيح مسلم: ومعناه أن النسخ بخمس رضعات تَأَخَّرَ إنزاله جدا، حتى إنه صلى الله عليه وسلم، توفي، وبعض الناس يقرأ: خمس رضعات، ويجعلها قرآنا مَتْلُوًّا، لكونه لم يبلغه النسخ لقرب عهده، فلما بلغهم النسخ بعد ذلك، رجعوا عن ذلك وأجمعوا على أن هذا لا يتلى.

والنسخ ثلاثة أنواع، أحدها: ما نسخ حكمه وتلاوته، كعشر رضعات، والثاني ما نسخت تلاوته دون حكمه كخمس رضعات، وكالشيخ وَالشَّيْخَةُ إِذَا زَنَيَا فَارْجُمُوهُمَا. وَالثَّالِثُ مَا نُسِخَ حُكْمُهُ وَبَقِيَتْ تِلَاوَتُهُ وَهَذَا هُوَ الْأَكْثَرُ وَمِنْهُ قوله تعالى: "والَّذين يُتَوَفَّوْنَ منكم ويذرون أزواجا وَصِيَّةٌ لأزواجهم الْآيَةَ". البقرة 232 وَاللَّهُ أَعْلَمُ. انتهى كلام النووي

النوع الثاني: نسخ الحكم وبقاء التلاوة

قال سبحانه: "وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةٌ لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ". البقرة 238

وقال سبحانه: "وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا". البقرة 232

فقد كانت المرأة قبل الإسلام إذا تُوُفِّيَ زوجها تَعْتَدُّ حولاً كاملاً، ثم نُسخ ذلك بأربعة أشهر وعشرا.

النوع الثالث: نسخ التلاوة مع بقاء الحكم

وعن أبي بن كعب رضي الله عنه، قال: كانت سورة الأحزاب توازي سورة البقرة، فكان فيها: (الشيخ والشيخة إذا زنيا، فارجموهما ألبتة). رواه ابن حبان، ورواه أبو داود والطيالسي، فقال (أي الطيالسي): حدثنا ابن فضالة عن عاصم عن زر قال: قال لي أبي بن كعب رضي الله عنه: يا زر، كيف تقرأ سورة الأحزاب؟ قال: قلت: كذا وكذا آية. قال: إن كانت تضاهي سورة البقرة، فإن كنا لنقرأ فيها: (الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما ألبتة نكالا من الله ورسوله). فرفع فيما رفع. انتهى

فَنَخْلُصُ بعد هذا، إلى أن ما رواه مسلم وغيره، عن عائشة قالت: كان فيما أنزل عشر رضعات معلومات يحرمن، فنسخن بخمس معلومات. فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهن مما يقرأ من القرآن. انتهى

هو من باب نسخ التلاوة والحكم معا، وهو النوع الأول، من أنواع النسخ الثلاث الذي بيناه آنفا.

والظاهر، أن التلاوة نسخت قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، بقليل، ولم يبلغ ذلك كل الناس، إلا بعد وفاته صلى الله عليه وسلم، فتوفي ولازال بعضهم يَقْرَؤُهَا.

المبحث الخامس: السنة ناسخة للقرآن

بدأ أيلال مبحثه هذا، بالنقل عن أستاذه محمود أبو رية، ما قاله في كتابه: "أضواء على السنة المحمدية"، ومجمل ما قال: إذا أوتي النبي صلى الله عليه وسلم، الكتاب ومثله معه، أي السنة، فلماذا لم يأمر صلى الله عليه وسلم بتدوينها. (صفحة 30)

قلت: ثبتت كتابة السنة على عهد النبي صلى الله عليه وسلم.

كما أمر النبي صلى الله عليه وسلم بحفظ السنة وتبليغها.

وفي ذلك كفاية في الاهتمام والعناية.

عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "نضر الله امرأً سمع منا حديثاً فحفظه حتى يبلغه غيره، فإنه رُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ، ورب حامل فقه إلى من هو أَفْقَهُ منه الحديث". رواه أحمد والدارمي وابن حبان وغيره

أما قول عائشة في حق النبي صلى الله عليه وسلم: "كان خلقه القرآن". والذي استدل به أبو رية، ليلغي السنة. فإن ما قالته، لا تقصد منه أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يتخلق بأخلاق السنة. فهذا الأمر لا يقبله عاقل.

فقد قال النبي صلى الله ليه وسلم: "الحج عرفة". رواه النسائي عن عبد الرحمن بن الديلي

ولا يعني ذلك أنك إذا وقفت بعرفة، فيكفي وقوفك به ليكون حَجُّكَ صحيحا.

ولعله من باب تسمية الشيء ببعضه.

ثم يقول أيلال: وهنا أتساءل، والحرقة تعتصر قلبي وتغتصب عقلي اغتصابا، إذا كان كتاب الله الذي مصدره المطلق اللانهائي، صاحب العلم الكلي، يُنسخ وتُلغى أحكامه لصالح مرويات بشرية نسبية في كل شيء، حتى لو صحت نسبتها إلى الرسول الكريم، فما معنى نزول هذا الكتاب إلينا، وما الفائدة منه، وهو غير قائم بذاته ويحتاج إلى غيره، مما هو أقل منه منزلة بأشواط، إن صحّ التعبير، وإلا فإن كلام الله لا يقارن بغيره، تعالى الله عما يصفون. انتهى (صفحة: 33)

وبهذا يتحدث أيلال عن الذين قالوا بأن السنة تنسخ القرآن، ويهاجمهم، وكأنه هو أول من خالفهم في ذلك، وقال أن السنة لا تنسخ القرآن.

في حين أن هذا الأمر يعتبر مسألة علمية، خضعت للخلاف منذ القديم، بين علماء الأمة.

كل فريق من هؤلاء العلماء استدل لرأيه بما تهيأ له من حجج وقرائن.

ولو اختار أيلال الانضواء تحت لواء أحد الفريقين، فقال أنه مع من يقول بأن السنة تنسخ القرآن، أو مع من قالوا باستحالة ذلك، لما خرج عن المألوف وخبط خبط عشواء.

ولكن أن يثور ويوهم القراء بكلامه، فيفهمون أن جميع العلماء قالوا بجواز نسخ السنة للقرآن، ويفهمون أن أيلال، هو أول من أنكر ذلك في العالمين، فهذا ما لا يرضاه عاقل على نفسه.

المبحث السادس: حرب المرويات

يقول أيلال: بعد أن تمزقت أمة المسلمين مُزَعاً متفرقة، شيعة وسنة، ومُرْجِئَةً وخوارج، وقَدَرِيَّةً وجَبْرِيَّةً، وغيرها من الطوائف والمذاهب، حاولت كل طائفة أو مذهب، أن تجد لها موقعا في المرويات، يُعَضِّدُ بها كل متمذهب مذهبه أو طائفته، لَمَّا لم يجد ما يسعفه ويحقق أغراضه في كتاب الله، فكثرت الروايات والآثار المنسوبة للرسول صلى الله عليه وسلم. انتهى (صفحة: 34)

قلت: إن أيلال هنا، لم يكتشف جديدا، وإنما أَمْرُ اختلاق الأحاديث ووضعها، معروف عند علماء الحديث منذ القديم.

وقد اكتفى أيلال، بإيراد سبب واحد من أسباب الوضع، في حين أن المتخصصين مِنْ أهل الحدثين، ذكروا أسباب الوضع منذ قرون، وحددوها في أكثر من سبب واحد. أُلَخِّصُهَا فيما يلي:

1- خَلْطُ بعض الرواة، فَبَعْدَ ما كَبُرَ سِنُّهُمْ، لم تعد ذاكرتهم قوية كما كانت مِنْ قَبْلُ، ولذلك تَرَكَ كثير من المحدثين حديثهم بعد خَلْطِهِمْ.

2- ما وضعه الزنادقة من أحاديث لإفساد الدين.

3- أحاديث الترغيب والترهيب وفضائل الأعمال، التي وضعها بعض الناس، ظنا منهم، أنهم بذلك يَدْعُونَ الناس لكي يتمسكوا بدينهم، ويحافظوا على عباداتهم.

4- ما وضعه الْقُصَّاصُ من أحاديث لا أصل لها، من أجل الترفيه على مستمعيهم وإثارة انتباههم.

5- ما وضعه أنصار الأمويين والعباسيين المتزلفون لسلاطينهم.

6- ما وضعه أصحاب الفرق والمذاهب، كل ينتصر لفرقته ومذهبه.

ثم يقول أيلال: لكن مع مَنْ نَتَحَدَّثُ ومَنْ نُحاوِرُ؟ أمع أناس يعتبرون تلك الروايات التاريخية، والتي لا يمكن أن تتجاوز كونها تراثا، "يعتبرونها"، قاضية على القرآن وناسخة له، لاغية لأحكامه وناقضة لها، ألا ساء ما يَزِرونَ. انتهى (صفحة: 36)

فانظر رعاك الله، كيف يتحامل أيلال على علماء الحديث، ويتهمهم بأنهم يعتبرون هذه الأحاديث الموضوعة، أو ما أسماه بالروايات التاريخية، يعتبرونها لاغية لأحكام القرآن.

ويبدو أن أيلال نسي أو تناسى، أن هؤلاء العلماء الأبرار، لم يقبلوا تلك الأحاديث الموضوعة، بل منهم من صنف كتبا جمعها فيها ليعرفها الناس، ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

1-كتاب: "تذكرة الموضوعات". للحافظ محمد بن طاهر المقدسي المتوفى سنة 507 هجرية

2-كتاب: "الأباطيل" المسمى: "الموضوعات مِنَ الأحاديث المرفوعة". للإمام أبي عبد الله الحسين بن إبراهيم الجوزقاني المتوفى سنة 543 هجرية

3-كتاب: "الموضوعات". لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي المتوفى سنة 597 هجرية

ونشأ على أيدي هؤلاء الأكفاء، علم الحديث رواية ودراية، أي متنا وسندا، وعلم التعديل والتجريح، الذي يَدْرُسُ حالة الرواة، صِدْقَهُمْ وعدالتهم، حفظهم وضبطهم. وما إلى ذلك، قبل الحكم على الحديث بأنه موضوع أو ضعيف أو حسن أو صحيح.

ثم يقول أيلال: ومن المرويات أيضا، بشأن تقسيم المجتمع إلى فئات ورُتَبٍ وتَخَصُّصَاتٍ، بشكل غريب، ما رَوَتْهُ هاته الأحاديث الواضحة الوضع، وأنها تخدم مصلحة فريق ضد آخر، فقد أخرج الإمام أحمد بن حنبل في المسند والطبراني في الكبير، عن عتبة بن عبيد، أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: "الخلافة في قريش، والحكم في الأنصار، والدعوة في الحبشة". (قال الهيتمي: رجاله ثقاة). انتهى (صفحة: 36)

قلت: نحن لا ننكر أنه صَحَّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، تفضيل قريش والعرب على غيرهم، ومن ذلك:

ما أخرجه الحاكم والطبراني عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "حب قريش إيمان وبغضهم كفر، وحب العرب إيمان وبغضهم كفر، فمن أحب العرب فقد أحبني، ومن أبغض العرب فقد أبغضني". انتهى من رسالة مبلغ الأرب في فخر العرب لابن حجر الهيتمي

ويَدَّعِي أيلال، أن هذه الأحاديث، تخالف قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ". الحجرات 13

فهو بذلك يريد أن يقول: أن جميع الأحاديث التي تفضل قريشا والعرب عن غيرهم، هي أحاديث مكذوبة وباطلة، وهي أحاديث تخالف ما جاء في كتاب الله العزيز الحكيم.

هذه قاعدة غريبة استنتجها أيلال، دون اعتماده على أي سند يقبله العقل أو النقل.

فماذا لو قلت لأيلال، بعيدا عن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، بل بعيدا عن صحيح البخاري نفسه: ألم تعلم أن الله تعالى، فضل اليهود في القرآن الكريم على سائر العالمين؟

فقد قال سبحانه: "يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ". البقرة 46

وقال سبحانه: "وَلَقَد آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوءةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ". الجاثية 15

وغير هذه الآيات كثير، ولكن في هذا القدر كفاية لمن ألقى السمع وهو شهيد.

وأقول لك أن الله تعالى، يفضل الناس بعضهم على بعض، لحكمة اقتضاها سبحانه، وما الله بظلام للعبيد.

يقول سبحانه: "انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا". الإسراء 21

إذن، نَخْلُصُ بعد كل هذا، إلى أن ما ادعاه أيلال، بأن أحاديث تفضيل قريش والعرب عن غيرهم، كلها أحاديث مُخْتَلَقَةٌ تعارض القرآن، نَخْلُصُ إلى أن هذا الادعاء، ادعاء باطل لا يقوم على أساس.

ولو تأمل أيلال ظاهر الآية التي استشهد بها، لما تمادى في ادعائه، فإن الله تعالى لا يرفع درجات الناس بعضهم على بعض، على أساس أعراقهم وانتماءاتهم، بل على أساس تقواهم.

فقد جاء في الآية التي استشهد بها أيلال: "إن أكرمكم عند الله أتقاكم". الحجرات 13

وروى الإمام أحمد في مسنده عن أبي نضرةَ قال: حدثني من سمع خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم، في وسط أيام التشريق فقال: "يا أيها الناس، ألا إنَّ ربكم واحد، وإنَّ أباكم واحد، ألا، لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا أسود على أحمر إلاّ بالتقوى، أبلغت"؟ قالوا: بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ثم يقول أيلال: وها أنتم هؤلاء، قد لاحظتم كيف تمت صناعة أحاديث، ليتم تقسيم الأدوار بين العرقيات والفئات المكونة للمجتمع المسلم، باسم الرسول، بشكل غريب ومضحك، لا ينطلي إلا على السُّذَّجِ، أو على من وضع غشاوة على عينيه وعقله معا. انتهى (صفحة: 38)

قلت: الأحاديث التي ساقها أيلال، ليس فيها ما ينقص من رتبة الحبشة، وهي كالتالي:

قوله صلى الله عليه وسلم: "والدعوة في الحبشة".

وقوله: "دعوهم أمنا بني أرفدة".

وقوله صلى الله عليه وسلم، في حبشي دفن في المدينة: "دفن في الطينة التي خلق منها".

وأما قول النبي صلى الله عليه وسلم: "اسمعوا وأطيعوا، وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة".

فهو عليه الصلاة والسلام، يأمر المسلمين بطاعة الإمام، ولو كان عبدا أسود شديد السواد. وبذلك يكون صلى الله عليه وسلم، قد وضع الأبيض والأسود في كفة واحدة.

لا يسعني المجال لآتي بأمثلة من سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأؤكد أن الناس مِنْ آدم وآدم مِنْ تراب.

فَلْأَدْعُ أيلال، ليسأل عن الصحابي الجليل بلال الحبشي، هل نقص الاسلام يوما من قدره؟

ولأَدْعُ أيلال، ليسأل عن الصحابي سلمان الفارسي، هل نقص الإسلام يوما من قدره؟

ولأَدْعُ أيلال، ليسأل عن الصحابي صهيب الرومي، هل نقص الإسلام يوما من قدره؟

ولأَدْعُ أيلال، ليسأل عن الصحابي صهيب الرومي، هل نقص الإسلام يوما من قدره؟

ولأَدْعُ أيلال، ليسأل عن الصحابي عبد الله بن سلام اليهودي، هل نقص الإسلام يوما من قدره؟

وهل نسيت يا أيلال، لما أمر النبي صلى الله عليه وسلم، أصحابه بالهجرة إلى الحبشة، وكان يحكمها النجاشي الأسود، ماذا قال لهم، قال: "إن بأرض الحبشة ملكا لا يظلم أحد عنده، فالحقوا ببلاده، حتى يجعل الله لكم فرجًا ومخرجًا مما أنتم فيه".

يقول أيلال: إن هاتين الروايتين، هما نموذج بسيط فقط، من فيض الخرافات لدى إخواننا الشيعة، والذي تقابله أحاديث أخرى لدى السنة، تجعل الدّين التمسكَ بسنة الرسول وسنة الخلفاء، وتقدس الصحابة وتجعلهم فوق كل انتقاص أو انتقاد. انتهى (صفحة: 37)

قلت: لا داعي للخوض في موضوع الشيعة والسنة، لأنه ليس موضوع هذا الكتاب، ولكن نلاحظ أن أيلال، قال: إخواننا الشيعة. ولم يصف السنة بالإخوان، ولكن اكتفى بقوله: لدى السنة.

فلا أعرف هل ينتمي إلى الشيعة أو إلى السنة، أو لا إلى هؤلاء ولا إلى أولئك.

أما ما ذكره أيلال، من وضع أهل السنة لأحاديث في صالحهم، فقد أشرنا إليه، في السبب الثاني من أسباب وضع الحديث، التي ذكرناها آنفا.

قول أيلال: ومنه ما جاء في صحيح البخاري: عن العرباض بن سارية، قال: صَلَّى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، صلاة الصبح الحديث. انتهى (صفحة: 37)

قلت: عن أبي نجيح العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، موعظةً بليغة، وجلت منها القلوب، وذرَفت منها العيون، فقلنا: يا رسول الله، كأنَّها موعظةُ مودِّعٍ فأوصِنا، قال: "أُوصيكم بتقوى الله عزَّ وجلَّ، والسمع والطاعة، وإن تأمَّر عليكم عبد، فإنَّه مَن يَعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنَّتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديِّين، عضُّوا عليها بالنواجذ، وإيَّاكم ومحدثات الأمور؛ فإنَّ كلَّ بدعة ضلالة". رواه أبو داود والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

قلت أخطأ أيلال في نسبته رواية هذا الحديث الشريف إلى الإمام البخاري، في حين لا وجود لهذا الحديث في صحيحه بالمرة، رحمة الله تعالى عليه.

يقول ابن رجب الحنبلي: هذا الحديث خرجه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه، من رواية ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن عبد الرحمن بن عمرو السلمي، زاد أحمد في رواية له، وأبو داود: وحجر بن حجر الكلاعي، كلاهما عن العرباض بن سارية، وقال الترمذي: حسن صحيح. وقال الحافظ أبو نعيم: هو حديث جيد من صحيح حديث الشاميين، قال: ولم يتركه البخاري ومسلم من جهة إنكار منهما له. انتهى من جامع العلوم والحكم

فأدعو أيلال إلى التحقق، قبل نسبة أي شيء للإمام البخاري، لأن الأمر يتعلق بالحديث الشريف وروايته. وهو أمر لا تقبل فيه ولا تتحمل مثل هذه الأخطاء. فسبحان من لا يخطئ.

وقد أوصانا رسول الله صلى الله عليه وسلم، باتباع سنته وسنة الخلفاء الراشدين المهديين.

ويستنكر أيلال، وصيته صلى الله عليه وسلم، باتباع سنة الخلفاء.

قلت: أولا: نحسب اتباع سنتهم من صميم الدين، لأن النبي صلى الله عليه وسلم، وصفهم بالراشدين المهديين. فكيف لا تتبع سنتهم وهم كذلك؟

ثانيا: أن الله تعالى، أمرنا بطاعة أولي الأمر: قال تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ". النساء 58

فكيف لا نطيعهم ونتبع سنتهم؟

الفصل الثاني: آفة علم الحديث

أولا- الحديث في القرآن

ثانيا- ليس علما

ثالثا- أُكْذُوبَةُ "علم" الرجال

رابعا- رواية الحديث بالمعنى

خامسا- جناية الحديث

أولا- الحديث في القرآن

فما علاقة الصحابة بذلك وما علاقة التابعين؟!!! سوى أن تكون معادلة تقديس هؤلاء واعتبار أقوالهم وأفعالهم دينا يجب اتباعه، وسنّة يُسْتَنُّ بها، إلى جانب سنّة رسول الله، فنكون إزاء أنبياء آخرين غير نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، صنعوا الدّين بشكله الحالي، وهم فئة الصحابة على مختلف طبقاتهم وأنواعهم وتصنيفاتهم وعلمهم وجهلهم ونفاقهم وصدقهم وفسقهم وإيمانهم وأخ... (صفحة 41)

ثانيا- ليس علما:

لا يمكننا بأي حال من الأحوال اعتبار خرافة "الحديث" علما، لأنها لا تملك من العلم شيئا، ومنهجها منهج أهواء، وأسلوبها انتقائي مزاجي، يخضع لأقوال الرجال، والتي بمقتضاها يَتِمُّ الحكم على رجال آخرين بالصلاح أو بالطلاح. (صفحة 48)

ثالثا- أكذوبة "علم" الرجال:

إن علم الرجال يعني ببساطة أن المحدثين يستدلون على الحقيقة بالرجال، ويهتمون بمن قال أكثر مما قال. (صفحة 51)

لا يمنحك المقلد فرصة لتطرح موقفك وتُقَدِّمَ أدلتك، لأنه لم يُرَبَّ على النقاش والمحاججة والمحاورة، بل بُرمج على القذف والسبّ، ويرى في ذلك قربى يتقرب بها إلى الله، وعبادة يتعبد بها لله... ومتى كان لَعْنُ الناس وإهانتهم وثَلْبُ أعراضهم من الْقُرُبَاتِ؟ !! (صفحة 51-52)

خامسا- جناية الحديث:

إن أعظم جناية جناها الحديث، هي التَّسَبُّبُ في هَجْرِ كتاب الله لِيَحِلَّ محلّه على مستوى التشريع، وعلى مستوى العقيدة، وعلى مستوى العبادات، حتى أصبح لدينا دين آخر مأخوذ من الحديث لا علاقة له

بالقرآن، بل إن الحديث، اِتَّهَمَ القرآن بالنقص والزيادة والتحريف غير ما مرة في مرويات تعج بها كتب الحديث، فكانت الجناية العظمى التي أورثنا إياها الحديث، هو (الصواب: هي) تغييب كتاب الله من المشهد الديني تغييبا يكاد يكون تاما، إلا من بعض المظاهر والطقوس الشكلية، والمرتبطة أساسا بالخرافات. (صفحة 61)

غريب أمر هؤلاء الذين يَقْبَلُونَ مثل هذا الكلام على نبيهم، مخافة أن يُكَذِّبُوا كتابا لا نعرف من ألفه أصلا، ولم تثبت نسبته إلى البخاري أصلا، كما سنقف بعد قليل من خلال الفصول القادمة من هذا الكتاب. (صفحة 64)

ومما جناه الحديث على أمتنا، هو أنه جعلها أمة متخلفة تؤمن بالخرافة وتناهض العلم، وتنبذ العقل. (صفحة 65)

خرافة من خرافات صحيح البخاري المضحكة، سيدافع عنها الجهلاء بشكل غريب، فقط لأنها وردت في هذا الكتاب الذي يَعُجُّ بالخرافات والإساءات لمقام النبوة ومقام الألوهية بشكل غريب. (صفحة 67)

الفصل الثاني: آفة علم الحديث

المبحث الأول: الحديث في القرآن

يقول أيلال: والحديث بهذا المعنى، خاص بالمرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم، على ما ذهب إليه كثير من المحدِّثين وجَروا عليه في كتبهم، غير أن البعض من هؤلاء المحدثين، من يُدخِل في تعريف الحديث، أقوال الصحابة والتابعين وأفعالهم، ويشهد لهذا صنيع جمهور المحدثين؛ فقد جمعوا في كتبهم بين أقوال النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله وتقريراته، وأقوال الصحابة والتابعين وأفعالهم، ولك أن تتعجب من هذا. انتهى (صفحة: 41)

قلت: الحديث النبوي، أو السنة النبوية عند أهل السنة والجماعة: ما ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم، من قول أو فعل أو تقرير، أو صفة خِلقية أو خُلقية، أو سيرة، سواء قبل البعثة أو بعدها.

ويريد أيلال، أن يَفْصِلَ أقوال الصحابة عن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذي هو بالمعنى الذي أشرنا إليه، في حين، أن كَمًّا هائلا من الأحاديث، ليست بكلام النبي صلى الله عليه وسلم، وإنما هي كلام صحابته، رضوان الله عليهم، ينقلون فعله وصفاته الخِلقية والخُلقية، وتقريراته.

وقد تُرْوَى أقوال الصحابة، في كتب الحديث، وهذا الأمر، قد تكلم فيه العلماء منذ القديم، ومجمل ما قالوا: أما مِنْ حيث التأصيل، فقول الصحابي، إذا انتشر ولم يخالف، فهو حجة وإجماع سكوتي، وأما إذا لم ينتشر، أو كان له مخالف من الصحابة، فليس بحجة، ولكن يستأنس به. انتهى

وبذلك تكون أقوال الصحابة، داخلة تحت مفهوم الحديث والسنة، وجُزْءًا لا يتجزأ منهما.

وهذا ما ذهب إليه جمهور علماء الأمة.

يقول أيلال: إلى غير ذلك من الآيات، التي لها دلالة واضحة على أن الحديث، هو مطلق كلام الله المنزل على أنبيائه، وأنه كتاب الله الموحى أيضا إلى نبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم، لكن علماء الحديث ومن سار على دربهم، لا يعرفون للحديث معنى، إلا كلام الرسول والصحابة والتابعين، وأحوالهم وأخبارهم وأيامهم وسننهم. انتهى (صفحة: 43)

لا أدري ما أصاب أيلال في هذا المبحث، وهو يثير معنى كلمة: "حديث"، ويتهم علماء الحديث، بأنهم أطلقوا كلمة حديث، وأرادوا بها، كلام الرسول والصحابة والتابعين، يخالفون في ذلك، مخالفة سافرة، على حسب رأيه، ما جاء في القرآن الكريم.

واستدل أيلال على ما تهيأ له، بقوله تعالى: "تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ، فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُومِنُونَ". الجاثية 5

وانطلق لا يلوي على شيء، في توجيه اللوم والعتاب، إلى علماء الحديث، بل وأظهر استنكاره لما فعلوه، وما فعلوا، هو استعمال مصطلح: "حديث"، الذي يراد به كلام الله في القرآن الكريم، استعماله في الدلالة على كلام النبي صلى الله عليه وسلم. وهو من باب التطاول على الله تعالى، ونَعْتِ كلام البشر بما نَعَتَ به سبحانه، كلامه المعجز، حَسَبَ فَهْمِ أيلال الضيق.

قلت: هذا الخطأ الجسيم، الذي انزلق أيلال في هُوَّتِهِ، راجع إلى أنه، أي أيلال، حَشَرَ في كتابه الأسطورة، ما قاله غيره من المرجفين قَبْلَهُ منذ سنين.

ولو جَشَّمَ نفسه جهدا يسيرا، أو ساعة واحدة، من ست عشرة سنة التي قضاها، حسب ادعائه، في تأليف كتابه الأسطورة، ساعة واحدة، للتحقق قبل نقل ما قاله أولئك الذين سبقوه إليه، قبل أن يقحمه في كتابه، لَتَبَيَّنَ له الخطأ من الصواب، ورَبأَ بنفسه أن يرعى مع الْهَمَلِ.

والذي لا يخفى على أحد، ويعرفه كل مسلم، أن كلمة: "حديث"، لم يُخَصِّصْهَا الباري عز وجل، للدلالة على كلامه دون غيره، وإنما ترددت الكلمة في آيات أخرى، للدلالة على كلام غير كلامه تعالى. وهذه أمثلة على ذلك من كتاب الله العزيز، الذي لا يؤمن أيلال ومَنْ سَبَقَهُ مِنْ أساتذته، لا يؤمنون بغيره:

قال سبحانه: "وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ". لقمان 05

وقال سبحانه: "فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَانِسِينَ لِحَدِيثٍ". الأحزاب 53

وقال سبحانه: "وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَاوِيلِ الأَحَادِيثِ". يوسف 21

وقال سبحانه: "فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ". النساء 139

وقال سبحانه: "وَإِذَ اَسَرَّ النَّبِيءُ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا". التحريم 03

وقال سبحانه: "قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ، أَفَلَا تَعْقِلُونَ". البقرة 75

وما هذا إلا غيض من فيض، كما يميل أيلال للتعبير به في كتابه، ولكن في هذا كفاية للمنصفين.

وليست المرة الأولى التي يقع فيها أيلال في هذا الْمَطَبِّ، بل مرات ومرات، منها ما ذكرناه فيما تقدم، ومنها ما سنذكره فيما يستقبل من كلام، فكونوا من المتَرَقِّبِينَ.

ونلاحظ، أن هذا الأسلوب الذي استعمله أيلال، فيه تَقْلِيلٌ مِنْ شأن قُرَّائِهِ، وامْتِهَانٌ لهم، وكأنهم قطيع يستجيب لعصا الراعي، متى حَسَّهُ، سواء إلى الجبل أو إلى الوادي.

المبحث الثاني: ليس علما

يقول أيلال: لا يمكن أن يتنازل المشتغل بالحديث عن وصف "عالم"، لأنه يظن ظنا جازما، بأن ما يشتغل به يعتبر علما، كالفيزياء والكيمياء والفلك والطب والزراعة والجيولوجيا، وغيرها من العلوم المعروفة. انتهى (صفحة: 45)

قلت: يفاجئني هذا الرجل، كلما نَقَلَ ما قاله غيره، دون أن يتحقق مما نقل، فهو يحاول جاهدا أن يخرج علم الحديث من دائرة العلوم، ويدعي أن العلوم مقصورة على الفيزياء والكيمياء والفلك والطب والزراعة والجيولوجيا.

وأقول له، والشعور الذي يساورني في هذه الردود، شعور رافقني طيلة عملي في سلك التعليم، وأنا أدرس التلاميذ في الفصل الدراسي، وها أنا بعد أن تقاعدت عن التدريس، أدرس أيلال ما نسي، أو تناسى، مما يعرفه الجميع، إلا أن أيلال تلميذ كبير.

أقول: اعلم أن العلوم صنفان: علوم تجريبية وعلوم إنسانية:

ويعتبر علم الحديث من العلوم الإنسانية، لأنه يتعلق بالإنسان، ويتضمن قواعد وأحكاما كسائر العلوم.

ويكفيك يا أيلال، أن التعريف الأمريكي الرسمي، أَدْرَجَ العلوم الدينية، إلى جانب اللغة والأدب والفلسفة والتاريخ، ضمن العلوم الإنسانية. والتعريف موجود في قانون المؤسسة الوطنية للفنون والعلوم الإنسانية: (National Foundation on the Arts and the Humanities Act)

ولولا مخافة التطويل، لنقلت لك التعريف بنصه الكامل، ولكن يمكنك الرجوع إليه للتحقق مما أقول، وهو صادر في عام: 1965 ميلادية.

ناهيك عن تعريفات المعاجم اللغوية، بمختلف اللغات، في مختلف البلدان. ولكنني اقتصرت على إيراد التعريف الأمريكي الرسمي، وأنت تعرف لماذا.

يقول أيلال: مع العلم أنه حتى كلمة قواعد هاته، تبدو بعيدة كل البعد، عن شتم هذا واتهام ذاك، ومدح هذا وذم ذاك، ووصف هذا بالمجهول، والآخر بالمشهور والمعروف، وتكذيب هذا وتصديق ذاك، وهلمّ جرّا، فنحن في النهاية، نجد أنفسنا في دوامة كبيرة عنوانها "التجريح والتعديل"، تختلف فيها الآراء، وتتحكم فيها الأهواء. انتهى (صفحة: 47)

قلت: يَتَّهِمُ أيلال علم الرجال، بأن قواعده تقوم على شتم هذا، واتهام ذاك، ومدح هذا، وذم ذاك.

وهو بقوله هذا، يحاول أن يؤثر على بعض الشباب من القراء، ويستميل تعاطفهم، لأن الشتم والاتهام، لا يتقبله أحد من أحد.

والذي أسماه أيلال بالشتم والاتهام، والمدح والذم، هو ما يسمى بتقييم الأشخاص، وهو نفسه ما يطلق عليه: "علم الجرح والتعديل".

ولا أظن أيلال، لا يفهم المقصود من هذا العلم.

أليس هذا العلم، يبحث في أحوال راوي سند الحديث، ويسبر أخباره: هل كان ثقة مأمونا، حافظا وضابطا، أم كان بخلاف ذلك، وعلى هذا الأساس، يحكم بضعف الحديث أو صحته.

وكأنني أتصور أيلال واقفا في المحكمة، يُنْصِتُ إلى الْمُدَّعِي العام، وهو يوجه التهم، إلى الْمُدَّعَى عليه، ويصفه بالكذب والافتراء. فيقاطع أيلال الْمُدَّعِيَ العام، قائلا: "عارٌ عليك، ألا تستحي؟ إنك تشتم الناس، وترميهم بالكذب والافتراء، بغير حق".

فلا شك أن القاضي، سيوصي بإيداع أيلال مصحة عقلية، حتى يسترجع أنفاسه.

يقول أيلال: لِكُلِّ ما سبق لا يمكننا بأي حال من الأحوال اعتبار خرافة "الحديث" علما، لأنها لا تملك من العلم شيئا، ومنهجها منهج أهواء، وأسلوبها انتقائي مزاجي، يخضع لأقوال الرجال، والتي بمقتضاها يتم الحكم على رجال آخرين بالصلاح أو بالطلاح. انتهى (صفحة: 48)

وبهذا القول، يتضح لنا، بما لا يدع مجالا للشك، أن أيلال، يخلط بين السَّبِّ والشَّتْمِ، وبين ذكر محاسن الشخص ومساوئه، لأجل تقويمه، قبل الحكم عليه من طرف القاضي، أو قبل أن يَقْبَلَهُ الولي الذي خطب ابنته، أو قبل أن تسند إليه مهام ووظائف، من جهة إدارة معينة.

ثم يقول أيلال: ولا ننسى أن نأخذ في الاعتبار، الخاصية العربية سالفة الذكر، من عشق المدح والهجاء، التي ميزت ذلك المجتمع، والتي قام عليها جرح أو تعديل الرواة، حسب الأهواء. انتهى (صفحة: 47)

قلت: إن وصف أيلال المدح والهجاء، بخاصية المجتمع العربي، أي أنه اختص وتميز بالمدح والهجاء، دون سائر الأمم في العالم بأسره، اِدِّعَاءٌ بَيِّنٌ عَوَارُهُ، لدى العادي والبادي، والصغير والكبير.

فهناك أمم كانت لا تمدح ملوكها فحسب، بل تؤلههم، وتقدس رجال الدين وتجعلهم معصومين من الذنب والخطيئة. فلا داعي للإتيان بأمثلة على ذلك.

ثم إن العرب لم يَبْرَعُوا في المدح والهجاء فقط، بل بَرَعُوا حتى في الغزل والنسيب والتشبب، والرثاء.

وأما ادعاء أيلال، بأن عشق المدح والذم عند العرب، قام عليه جرح وتعديل الرواة. فهو ادعاء باطل. لأن علم الجرح والتعديل، يبحث في أحوال الرواة، ولا بد من أجل تقييمهم أن يذكر حسناتهم ونقائصهم على السواء.

المبحث الثالث: أكذوبة "علم" الرجال

ثم يحكي أيلال أُحْجِيَّةً، نَقَلَهَا عن أستاذه الكبير، أحمد صبحي. من موقع: "الحوار المتمدن".

والملاحظ أن أستاذه، حكاها بطريقته، ولم يذكر لها مرجعا، وكأنه سمعها من جدته وهو يسلم جفنيه للنوم. وقد ارتأيت أن أسوقها من مرجعها على القارئ، حتى يدرك ما أصبو إليه.

جاء في كتاب: فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي، ما نصه: وقال عمر الوراق: رأيت العتابي يأكل خبزاً على الطريق، بباب الشام، فقلت له: ويحك أما تستحي؟ فقال: أرأيت لو كنا في دار فيها بقر، أكنت تحتشم أن تأكل وهو يراك؟ فقلت: لا، فقال: فاصبر حتى أعلمك أنهم بقر، ثم قام فوعظ وقص ودعا، حتى كثر الزحام عليه، فقال لهم: رُوِيَ لنا مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ، أنه مَنْ بَلَغَ لسانُه أَرْنَبَةَ أَنْفِهِ لم يدخل النار، قال: فما بقي أحد منهم إلا أخرج لسانه نحو أرنبة أنفه، ويقدره هل يبلغها أم لا، فلما تفرقوا، قال العتابي: ألم أعلمك أنهم بقر؟ انتهى والغريب، أن أحمد صبحي استدل بهذه الأحجية، وعلق عليها بما يلي: ما الذي جعل عقول أولئك الناس تغيب، حتى تَتَدَلَّى أَلْسِنَتُهُمْ وهُمْ سُكارى غائبون عن الوعي؟

إنه التصديق، التصديق والإيمان، بأن ما يقوله العتابي، قد قاله النبي صلى الله عليه وسلم، فعلا.

وما الذي جعلهم يؤمنون ويصدقون، بأن النبي صلى الله عليه وسلم، قد قال ذلك الكلام؟

إنه الإسناد.. أي أسند أو نسب ذلك الكلام للنبي صلى الله عليه وسلم، عبر العنعنة، أي، قال: حدثني فلان عن فلان عن فلان... الخ.. أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال:

وهذا معنى الإسناد، وهذه هي خطورته على العقل. انتهى

قلت: العتابي، بطل هذه الأحجية، هو أبو عمرو كلثوم بن عمرو بن أيوب العتابي التغلبي، توفي سنة 135 هجرية، مؤلف وشاعر عربي من العصر العباسي.

قلت: وهنا يجب أن أقف قليلا.

أولا: كيف تجرا أيلال، على أن ينقل ما كتبه أستاذه أحمد صبحي، الذي هو بدوره لم يذكر لمنقوله مرجعا يُعْتَمَدُ، بل حكاه بطريقته. وتلك عادة هؤلاء المرجفين، ينقلون من الكتب والمواقع، دون التَّحَقُّقِ مِنْ مراجع ما ينقلون، دون أن يجشموا أنفسهم عناء الرجوع لتلك المراجع بأنفسهم، حتى يتحققوا من نسبة ما ينقلون.
ثانيا: يُضْفِي أحمد صبحي هذه الأحجية على رواة الأحاديث بالعنعنة والإسناد. وكأنه يتهمهم بالسذاجة والجهل، مثلهم مثل أولئك الذي يصدقون ما قاله الشاعر العتابي.

هذه غاية السخافة.

ثالثا: الشاعر العتابي، ليس عالما مفتيا، حتى يستدل به أحمد صبحي، على مدى صحة الإسناد. بل هو مجرد مؤلف وشاعر.

رابعا: إن هذه الْأُحْجِيَةَ تَنِمُّ عن سوء الأدب، واحتقار العامة، ونعتهم بالبقر. فما كان لأيلال، ولا لأستاذه، أن يسوقاها. إذا كانا يتمتعان بحس طفيف، مما يقتضيه النقد النزيه، من أخلاق الخطاب العالية.

إنه التهريج، أيها القراء الأعزاء.. التهريج الرخيص، بكل ما تحمل الكلمة من معنى. إنه الاستخفاف بعقولكم أيها القراء. إنها السخرية المقيتة، من قوم يتلاعبون بعقول الناس، ويتطاولون على علوم الأشراف.

وإنه التهور.. من قوم يظنون أن لا محاسب، التهور الذي يهوي بهم في أسفل دركات الدسائس واللؤم.

يقول أيلال: بل إن بعضهم اتهم البخاري في عقيدته، ونسب إليه قولا يفيد أن القرآن مخلوق بلفظه، ونجد أن رجالا وثقهم البخاري ضعّفهم آخرون، ورجالا ضعفهم البخاري وثقهم آخرون. انتهى (صفحة: 51)

أقول: إذا اتَّهَمَ البُخَارِيَّ البَعْضُ في عقيدته، حسب تعبير أيلال، فذلك لا يُقَلِّلُ من شأنه، فإن كل عظيم مُتَّهَمٌ، وكل فاضل منبوذ.

وقد وَجَبَ أن نُطْلِعَ القراء الكرام، على ما اتُّهِمَ به الإمام البخاري، رحمه الله تعالى:

يقول الأستاذ شريف عبد العزيز الزهيري: ومع استقرار البخاري في نيسابور، أخذت مجالس التحديث تخلو شيئًا فشيئًا من طلاب الحديث، لصالح مجلس البخاري، حتى ظهر الخَلَلُ في مجلس كبير علماء نيسابور، محمد بن يحيى الذهلي نفسه، عندها تحركت النوازع البشرية المركوزة في قلوب الأقران، فَدَبَّ الحسد في قلب الذهلي، وتسللت الغيرة المذمومة إلى نفسه شيئًا فشيئًا، حتى وصل الأمر به، لأن يخوض في حق البخاري، ويتكلم فيه، ويرميه بتهمة هو بريء منها، فما هذه التهمة يا ترى التي كانت سبب محنة البخاري؟!

هذه التهمة، هي تهمة اللفظية؛ وهي تعني قول القائل: أن لفظي بالقرآن مخلوق، فقد قال، يعني الذهلي، لأصحاب الحديث: إن البخاري يقول: اللفظ بالقرآن مخلوق، فامْتَحِنُوهُ في المجلس. فلما حضر الناس مجلس البخاري، قام إليه رجل فقال: يا أبا عبد الله، ما تقول في اللفظ بالقرآن: مخلوق هو، أم غير مخلوق؟ فأعرض عنه البخاري ولم يجب، فأعاد الرجل السؤال ثلاث مرات، فالْتَفَتَ إليه البخاري وقال: القرآن كلام الله غير مخلوق، وأفعال العباد مخلوقة، والامتحان بدعة. أي أن البخاري، قد أدرك مغزى السؤال، وعلم أنه من جنس

السؤالات التي لا يراد بها وجه الله عز وجل، وإنما يراد بها امتحان العلماء، وإثارة الفتن والفرقة بين الناس. فَشَغَّبَ الرجل السائل على مجلس البخاري؛ فقام البخاري من مجلسه، وجلس في منزله. انتهى من الإمام البخاري ومحنته في نيسابور لشريف عبد العزيز الزهيري

قلت: وحسبنا كتاب: "خلق أفعال العباد"، الذي أَلَّفَهُ الإمام البخاري، والذي يُعْتَبَرُ رَدًّا على فِرَقِ الجهمية والمعطلة، وتأكيدا على أن أفعال العباد مخلوقة، وأن القرآن كلام الله غَيْرُ مَخْلُوقٍ.

يقول أيلال: إن علم الرجال يعني ببساطة، أن المحدثين يستدلون على الحقيقة بالرجال. انتهى (صفحة: 51)

قلت: هذه العبارة منقولة عن محمد شحرور من منشور رسمي له على الفايسبوك، حيث قال: نحن لا نعرف الحق بالرجال، ولكن بالحق نعرف الرجال. انتهى

وأصل هذه العبارة ما روي عن علي رضي الله عنه أنه قال: لا تعرف الحق بالرجال، اعرف الحق تعرف أهله. انتهى

ولو كان علماء الجرح والتعديل يَسْتَدِلُّونَ على الحقيقة بالرجال، لما كان هناك ما يُسَمَّى بعلم الجرح والتعديل، الذي أخرج كثيرا من رواة الحديث، عن دائرة الثقة والحفظ والضبط، وسحب منهم أَهْلِيَّةَ التَّحَمُّلِ والأداء، وَرَدَّ ما رووا من أحاديث.

يقول أيلال: وهنا يحق لنا أن نسأل كل ذي عقل حصيف، هل كان الصحابة كلهم عدول، وكلهم أتقياء، وكلهم على مرتبة واحدة من العلم والإيمان، أم هم في الحقيقة أصناف وأنواع، يجب أخذ الحيطة والحذر عند الأخذ منهم وعنهم؟ انتهى (صفحة: 51)

قلت: اعلم أيها القارئ الكريم، أن الأنبياء يخطؤون ولا يذنبون، لأن الله تعالى قد عصمهم من الذنوب. أما الصحابة فهم يخطؤون ويذنبون. فلا داعي لهذا التساؤل، إلا أن الله تعالى قد أعلى من شأنهم في كتابه العزيز، ولذلك أجمع علماء الأمة على أنهم عدول. قال الله تعالى: "مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ، تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا، سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِن اَثَرِ السُّجُودِ، ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ، وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ، وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا". الفتح 29

يقول أيلال: ولِمَنْ يُقَدِّسُ الصحابة، ما عليه إلا قراءة القرآن، سيما سورة التوبة، التي يسميها البعض بالفاضحة، فقد ورد فيها كثيرا (الصواب: كثير) من الانتقاد لهم، وأظهرت حقائق العديد منهم. انتهى (صفحة: 52)

أقول: لا يُقَدِّسُ الصَّحَابَةَ رضي الله عنهم، أَحَدٌ من المسلمين، وأتحداك يا أيلال، أن تأتيني بعبارة واحدة مما قاله سلف الأمة وخلفها، في كتبهم على مختلف مشاربها، عبارة واحدة تحمل معنى التقديس لأحد من الصحابية الكرام رضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين.

كما أنني رجعت إلى سورة التوبة، التي تسمى بالفاضحة، فوجدت أنها لم تعرض لأحد من الصحابة، وإنما عرضت للمنافقين، وفضحت الكثير منهم. فما هذا الكذب والافتراء يا أيلال، على كتاب الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وما هذا الافتراء على صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، أعز الخلق إلى الله بعد الأنبياء والرسل عليهم السلام.

ولمزيد من الإيضاح، نسوق ما قاله ابن كثير، في تفسير قوله تعالى: "يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِم، قُلِ اسْتَهْزِئُوا، إِنّ اللّهَ مُخْرِجٌ مّا تَحْذَرُونَ". التوبة 64

قال مجاهد: يقولون القول بينهم، ثم يقولون: عسى الله أن لا يفشي علينا سرنا هذا، وهذه الآية، شبيهة بقوله تعالى: "وإذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول، حسبهم جهنم، يصلونها، فبيس المصير". المجادلة 8 وقال في هذه الآية: "قل استهزئوا إن الله مخرج ما تحذرون". التوبة 64 أي، إن الله سينزل على رسوله ما يفضحكم به ويبين له أمركم. كقوله تعالى: "أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم . إلى قوله . ولتعرفنهم في لحن القول الآية". محمد 30-31 ولهذا قال قتادة: كانت تسمى هذه السورة الفاضحة، فاضحة المنافقين. انتهى من تفسير ابن كثير

المبحث الرابع: رواية الحديث بالمعنى

نقل أيلال ما قاله أبو رية في كتابه: أضواء على السنة المحمدية، الذي نقل هو الآخر ما قاله السيوطي:
قال السيوطي: في ألفيته: أن يروي الصحابي عن تابعي عن صحابي آخر حديثا. انتهى (صفحة: 53-54)

قلت: الذي نقله أبو رية عن السيوطي من ألفيته: يوهم القارئ أنه بلفظه، في حين أن ألفيته أرجوزة شعرية، وياليته قال: قال السيوطي في ألفيته ما معناه. لكان بذلك قد احترم ما تقتضيه الأمانة العلمية.

قال السيوطي رحمه الله تعالى في ألفيته:

وَمَا رَوَى الصَّحْبُ عَنِ الأَتْبَاعِ عَنْ صَحَابَةٍ فَهْوَ ظَرِيفٌ لِلْفَطِنْ
أَلَّفَ فِيهِ الْحَافِظُ الْخَطِيبُ وَمُنْكِرُ الْوُجُودِ لا يُصِيبُ
كَسَائِبٍ عَنِ ابْنِ عَبْدٍ عَنْ عُمَرْ وَنَحْوُ ذَا قَدْ جَاءَ عِشْرُونَ أَثَرْ

قلت: أول مَن أَلَّفَ في هذا الفن، هو الخطيب البغدادي، حيث إنه أَلَّفَ كتابًا جمع فيه ما رواه الصحابة عن التابعين، وقد قام ابن حجر بترتيب هذا الكتاب وتلخيصه، وسمَّى كتابه: (نزهة السامعين في رواية الصحابة عن التابعين)، وقد كان علماء الحديث، يشيرون إلى رواية الصحابة عن التابعين، عند الكلام على ما رواه الأكابر عن الأصاغر، وأوَّل مَن أفرد ما رواه الصحابة عن التابعين في كتاب مستقلٍّ، السيوطي في كتابه (تدريب الراوي). وما رواه الصحابة عن التابعين له أنواع عدَّة، أكثرها: ما رواه الصحابي عن التابعي من روايات بني إسرائيل.

يليه في الكثرة، ما رواه الصحابي عن التابعي عن الصحابي عن النبي صلى الله عليه وسلم.

وأما ما رواه الصحابي عن التابعي عن النبي صلى الله عليه وسلم، فكثير من علماء الحديث من قال بأن هذا النوع لا وجود له، ولا يصح فيه شيءٌ.

قلت: لقد ثبت نقد الصحابة بعضهم لبعض، في مواقف نادرة، وتلك صورة من صور الحوار النقدي الجاد، بين الصحابة رضي الله عنهم، ويكشف ذلك عن ضوابط الحوار السليم وآدابه، من أجل الوصول إلى الحقيقة لا غير.

وقال غيرهم: ما رواه الصحابي عن التابعي نادر، والنادر لا حكم له.

يقول أيلال: إن رواية الحديث بالمعنى، لَتُفِيدُ بما لا يَدَعُ مجالا للشك، أن الصحابي يروي فهمه لكلام الرسول، وينسبه للرسول، والتابعي يروي فهمه لما فهمه الصحابي من كلام الرسول، ومن روى عن التابعي، فهو يروي فهمه أيضا، عن فهم التابعي لفهم الصحابي عن رسول الله. انتهى (صفحة: 59-60)

قلت: من يقرأ ما قاله أيلال، يُتَبَادَرُ إلى ذهنه، أن رواية الصحابة للحديث بالمعنى، تُغَيِّرُ مضمونه، وتؤثر على ما ورد فيه من أوامر ونواه.

في حين، أن الأمر غير ذلك، فالصحابي، لا يروي الحديث حسب فهمه وهواه، بل يتقيد بلفظه، وقد يغير لفظا بلفظ مرادف، وقد لا يذكر كلمة أو جملة، دون أن يغير شيئا من معنى الحديث.

وقد أجمع علماء الأمة على جواز رواية الحديث باللفظ.

واتفقوا على منع رواية الحديث بالمعنى إذا كان في ألفاظه ما يُتَعَبَّدُ به، كألفاظ التشهد والأذان ونحوهما، ويتعين على الراوي في هذه الحال، إيراد الحديث على وجهه، لأن الألفاظ مقصودة مع المعاني.

واختلفوا في جواز رواية الحديث بالمعنى.

قال السيوطي في تدريب الراوي: وقال جمهور السلف والخلف من الطوائف، منهم الأئمة الأربعة: يجوز بالمعنى في جميعه إذا قطع بأداء المعنى، لأن ذلك هو الذي تَشْهَدُ به أحوال الصحابة والسلف، ويدل عليه روايتهم القصة الواحدة بألفاظ مختلفة. انتهى

عن يعقوب بن عبد الله بن سليمان بن أكيمة الليثي، عن أبيه عن جده قال: أتينا النبي صلى الله عليه وسلم، فقلنا له: بآبائنا أنت وأمهاتنا يا رسول الله، إنا نسمع منك الحديث، فلا نقدر أن نُؤَدِّيَهُ كما سمعنا. قال: "إذا لم تُحِلُّوا حراما، ولم تُحَرِّمُوا حلالا، وأَصَبْتُمُ المعنى، فلا بأس". رواه الطبراني في الكبير

قال ابن الصلاح: إنه الذي يشهد به أحوال الصحابة والسلف الأولين، فكثيرا ما كانوا ينقلون معنى واحدا في أمر واحد بألفاظ مختلفة، وما ذاك إلا لأن مُعَوَّلَهُمْ كان على المعنى دون اللفظ. انتهى من علوم الحديث لابن الصلاح

وقال الشافعي رحمه الله: وإذا كان الله عز وجل، برأفته بخلقه، أنزل كتابه على سبعة أحرف، معرفة منه بأن الحفظ قد يَزِلُّ، لتحل لهم قراءته، وإن اختلف لفظهم فيه، ما لم يكن في اختلافهم إحالة معنى، كان ما سوى كتاب الله، أولى أن يجوز فيه اختلاف اللفظ ما لم يحل معناه. انتهى من كتابه الرسالة

واحتج حماد بن سلمة بأن الله تعالى، أخبر عن موسى عليه السلام، وعَدُوِّهِ فرعون، بألفاظ مختلفة في معنى واحد، كقوله: "بشهاب قبس"، و"بقبس" "أو جذوة من النار"، وكذلك قصص سائر الأنبياء عليهم السلام،

في القرآن، وقولهم لقومهم بألسنتهم المختلفة، وإنما نقل إلينا ذلك بالمعنى. انتهى من فتح المغيث بشرح ألفية الحديث للعراقي. للسخاوي

قيل: لا تجوز له الرواية بالمعنى مطلقا. قاله طائفة من المحدثين والفقهاء والأصوليين، من الشافعية وغيرهم، قال القرطبي: وهو الصحيح من مذهب مالك. حتى إن بعض من ذهب لهذا، شدد فيه أكثر التشديد، فلم يُجِزْ تقديم كلمة على كلمة، وحرف على آخر. انتهى من فتح المغيث بشرح ألفية الحديث للعراقي. للسخاوي

قلت: وحتى أُقَرِّبَ القارئ الكريم من الرواية بالمعنى، وأُؤَكِّدَ له، بأنها ليست كما يحاول أيلال إيهامه به، بل إن الرواية بالمعنى، تحدث اختلافا، لا يكاد يُذْكَرُ، ولا يُغَيِّرُ من معنى الحديث شيئا، أسوق أمثلة على ذلك:

1- ما أخرجه البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "عُذِّبَتْ امرأة في هرة ربطتها حتى ماتت، فدخلت فيها النار، لا هي أطعمتها ولا سقتها إذ حبستها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض".

وأخرجه مسلم: عن عبد الله بن محمد بن أسماء الضُّبَعي به. ولفظه: "عُذِّبَتْ امرأة في هرة سجنتها حتى ماتت، فدخلت فيها النار، لا هي أطعمتها وسقتها إذ حبستها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض". فجاء عند مسلم: "سجنتها" بدل: "ربطتها" عند البخاري.

2- ما أخرجه البخاري عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة، فأصلح الأنصار والمهاجرة".

وأخرجه مسلم: حدثنا شعبة به. ولفظه: "اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة، فاغفر للأنصار والمهاجرة". انتهى فجاء عند مسلم: "فاغفر للأنصار" بدل: "فأصلح الأنصار" عند البخاري.

3- روى البخاري عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ، يَعْنِي الثُّوْمَ، فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا".

ورواه أحمد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ، يَعْنِي الثُّوْمَ، فَلَا يُؤْذِيَنَّا فِي مَسْجِدِنَا".

فجاء عند أحمد: " فَلَا يُؤْذِيَنَّا فِي مَسْجِدِنَا" بدل: " فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا" عند البخاري.

4- وروى البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ".

ورواه مسلم عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: "لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ".

فجاء عند مسلم: بزيادة: "وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ".

5- روى الترمذي عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: "نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا شَيْئًا فَبَلَّغَهُ كَمَا سَمِعَ، فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ".

ورواه الدارمي عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ عن رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا فَبَلَّغَهُ كَمَا سَمِعَهُ، فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ".

فجاء عند الدارمي: " سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا" بدل: " سَمِعَ مِنَّا شَيْئًا" عند الترمذي.

6- روى البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى النَّاسِ، لَأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ مَعَ كُلِّ صَلَاةٍ".

ورواه الترمذي عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لَأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ".

فجاء عند الترمذي: " لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لَأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ" بدل: " لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى النَّاسِ، لَأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ مَعَ كُلِّ صَلَاةٍ" عند البخاري.

7- روى مسلم عن عُثْمَانَ بْن عَفَّانَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: "مَنْ بَنَى مَسْجِدًا لِلَّهِ تَعَالَى، يَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ اللَّهِ، بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ".

ورواه أحمد عَنْ عَمْرِو بْنِ عَبَسَةَ، أَنَّهُ حَدَّثَهُمْ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "مَنْ بَنَى لِلَّهِ مَسْجِدًا لِيُذْكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ، بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ".

فجاء عند أحمد: " لِيُذْكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ" بدل: "لِلَّهِ تَعَالَى يَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ اللَّهِ" عند مسلم.

ولَعَلَّ ما سردناه من أمثلة، كان كافيا، في بيان ما قلناه، من أن الرواية بالمعنى، لا تغير من مضمون الحديث شيئا، كما يحاول أيلال أن يوهم القراء، بادعاءاته الجاهزة، وأحكامه المرْتَجَلَةِ.

المبحث الخامس: جناية الحديث

يَأْبَى أيلال إلا أن يَقْتَبِسَ هذا العنوان مِنْ عنوان كتاب أَحَدِ أساتذته وهو زكريا أوزون، وعنوان كتابه: "جناية البخاري".

أثار أيلال، مرة أخرى، موضوع نسخ عشر رضعات بخمس، وهو اجترار، لما قاله في المبحث الرابع: السنة قاضية على القرآن. من الفصل الأول: آفة تدوين الحديث. (أُنْظُرْ صفحة: 65 من هذا الكتاب)

وقد رددنا عليه هناك، ولا فائدة من تكراره، فليرجع إليه قراؤنا الأعزاء حيث ذكرت.

يقول أيلال: وسَيُصْدَمُ أيضا، من الأسلوب الركيك، لما يوصف بأنها كانت آية من كتاب الله، آية رجم الشيخ والشيخة إذا زَنَيَا، وسَيُشْبِعُنَا بَعْضُ الْمُقَلِّدَةِ بك(صفحة: 63) لام كبير متعرج عن نسخ التلاوة، الذي جاءت به مُخَيِّلَتُهُمْ، لتمرير وتبرير هذا الهراء. انتهى

قلت: وفي موطأ مالك وغيره: أن عمر خطب الناس فقال: أيها الناس، قد سُنَّتْ لَكُمُ السُّنَنُ وفُرِضَتْ لكم الفرائض، وتُرِكْتُمْ على الواضحة، إلا أن تَضِلُّوا بالناس يمينا وشِمَالًا، وضَرَبَ بإحدى يديه على الأخرى، ثم قال: إياكم أن تهلكوا عن آية الرجم، أن يقول قائل: لا نجد حَدَّيْنِ في كتاب الله، فقد رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورجمنا، والذي نفسي بيده لولا أن يقول الناس: زاد عمر بن الخطاب في كتاب الله تعالى، لكتبتها: (الشيخ والشيخة فارجموهما ألبتة). فإنا قد قرأناها. انتهى

وقد سقت هذا الخبر، الذي يتعلق برجم الشيخ والشيخة، لا لشيء، سوى لنثبت لأيلال، أن هذه المسألة، ليس هو أَوَّلَ من اكتشفها، وليست مخزونة في قُمْقُمٍ مُلْقىً في أعماق البحار، وإنما هي مسألة تتعلق بعلم التفسير، مشهورة كَنَارٍ على عَلَمٍ، يُسْتَدَلُّ بها، في نوع من أنواع نسخ القرآن الكريم، وهو نسخ التلاوة مع بقاء الحكم.

فإن هذه الآية لم تعد موجودة في القرآن، لكن حكمها، وهو الرجم، بقي سارِيَ المفعول.

أما قول عمر رضي الله عنه: والذي نفسي بيده، لولا أن يقول الناس: زاد عمر بن الخطاب في كتاب الله تعالى، لَكَتَبْتُهَا: (الشيخ والشيخة فارجموهما ألبتة). فإنا قد قرأناها. انتهى

فلا يزيد ولا ينقص من الأمر شيئا، فهو لم يكتبها في القرآن لأنه يعرف أنها منسوخة، ولكن بيانا لأهميتها قال ذلك، ولم يفعله.

ومن هذا القبيل، هذا الخبر الذي نقله أيلال:

عن أبي حرب بن أبي الأسود عن أبيه قال: بعث أبو موسى الأشعري إلى قراء أهل البصرة، فدخل عليه ثلاث مائة رجل، قد قرؤوا القرآن، فقال: أنتم خيار أهل البصرة وقراؤهم، فاتلوه ولا يَطولَنَّ عليكم الأمد فتقسو قلوبكم،كما قست قلوب مَنْ كان قبلكم، وإنا كنا نقرأ سورة،كنا نُشَبِّهُهَا في الطول والشدة، ببراءة، فأُنْسيتُها، غير أني قد حفظت منها: (لو كان لابن آدم واديان من مال، لابتغى وادياً ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب). وكنا نقرأ سورة كنا نشبهها بإحدى المسبحات، فأُنْسيتُها، غير أني حفظت منها: (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون فتكتب شهادة في أعناقكم فتسألون عنها يوم القيامة). رواه مسلم انتهى (صفحة: 62-63)

وهو من باب نسخ التلاوة مع بقاء الحكم أو المعنى.

ومما أورده أيلال كذلك، هذا الخبر:

سَمِعْتُ عَطَاءً يَقُولُ: سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "لَوْ أَنَّ لِابْنِ آدَمَ مِثْلَ وَادٍ مَالًا، لَأَحَبَّ أَنَّ لَهُ إِلَيْهِ مِثْلَهُ، وَلَا يَمْلَأُ عَيْنَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ، وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ". قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَلَا أَدْرِي مِنْ الْقُرْآنِ هُوَ أَمْ لَا، قَالَ: وَسَمِعْتُ ابْنَ الزُّبَيْرِ يَقُولُ ذَلِكَ عَلَى الْمِنْبَرِ. رواه البخاري (صفحة: 62)

وهو مثل سابقه، من باب نسخ التلاوة، مع بقاء الحكم أو المعنى.

ثم يقول أيلال: وأَعْجَبُ! كيف لابن عباس، حِبْرِ هاته الأمة، أن لا يُمَيِّزَ بين كلام الله المنزل من لدنه، وبين كلام البشر؟ بل إن في رواية مسلم، أن هناك سورة طويلة عريضة، لكن الصحابي نسيها. انتهى (صفحة: 62)

فأقول: لا أجد داعيا لهذا العجب، الذي تعجبه أيلال، فإذا كان ابن عباس وغيره، نسوا آيات نسخت، من القرآن الكريم، ربما لأنها لم تلبث فيهم كثيرا.

أما ابن عباس، حبر الأمة، الذي يريد أيلال، أن يضفي عليه صفة غير بشرية، بأنه لا ينسى شيئا، فكل ابن آدم معرض للنسيان.

والذي لم يَتَنَبَّهْ إليه أيلال: هو أن ابن عباس رضي الله عنه، وُلِدَ قبل الهجرة بخمس سنين، أي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، لما توفي، كان عمره خمسة عشر سنة.

يقول أيلال: أين ذهبت: "وما خلق"، فشتان بين:"والذكر والأُنثى"، وبين: "وما خلق الذكر والأنثى". تعالى الله عما يَفْتَرونَ.

وقريب من هذا، ما نُسِبَ لأم المؤمنين عائشة، في "فتح الباري" لابن حجر العسقلاني، أنه روى مسلم عن عائشة، أنها أملت في مصحفها (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى، وصلاة العصر)، قالت: سمعتها من رسول الله) (ص). انتهى (صفحة: 63-64)

قلت: يقول الباري عز وجل: "وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى". الليل 3

إن ما ذكره أيلال من آيات تخالف ما ورد في القرآن، بإضافة لفظ أو نقص لفظ، دون إخلال بالمعنى.

فإنما يخاطب بذلك كثيرا من قرائه، الذين ينقصهم الاطلاع على علوم القرآن، وهو يقصد بذلك أن يوهِمَهُمْ، بأن هناك اختلافا في القرآن.

إن المصحف الْمُعْتَمَدَ لدى المسلمين، هو المصحف العثماني، وتبقى كل قراءة خارج هذا المصحف، تبقى شاذة. لأنه قبل جمع المصحف على عهد سيدنا عثمان رضي الله عنه، كان متفرقا عند الناس، وكان هؤلاء الناس في كل الأمصار، فقد يلحق صحفهم الخطأ، وقد تُنْسَخُ الآية ولا يَصِلُهُمْ خبر نسخها، وما إلى ذلك. وكان ذلك سبب جمع المصحف على عهد سيدنا عثمان رضي الله عنه.

وبقيت هذه القراءات الشاذة متناثرة ها هنا وهنالك.

حتى أن كثيرا من المفسرين، كانوا يوردونها في تفاسيرهم، من أجل الاستئناس.

يقول أبو شامة رحمه الله تعالى: أما تعريف القراءة الشاذة اصطلاحا: فهي ما اخْتَلَّ فيها ركن من أركان القراءة الثلاثة المتقدمة: التواتر، وموافقة الرسم العثماني، وموافقة وجه من وجوه اللغة العربية. انتهى من المرشد الوجيز لأبي شامة.

ثم نرجع إلى القراءة الشاذة التي أوردها أيلال، في قوله تعالى: "وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى". الليل 3

يقول الحافظ ابن كثير: هكذا قرأ ذلك ابن مسعود وأبو الدرداء، ورفعه أبو الدرداء. وأما الجمهور فقرأوا ذلك كما هو مثبت في المصحف الإمام العثماني، في سائر الآفاق: "وما خلق الذكر والأُنثى". انتهى من ابن كثير

وهذا ما رواه البخاري، مما يثبت أن هذه القراءات، ابتدأت منذ عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم:

عَنْ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: قَدِمَ أَصْحَابُ عَبْدِ اللَّهِ، عَلَى أَبِي الدَّرْدَاءِ، فَطَلَبَهُمْ فَوَجَدَهُمْ، فَقَالَ: أَيُّكُمْ يَقْرَأُ عَلَى قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ؟ قَالَ: كُلُّنَا، قَالَ: فَأَيُّكُمْ يَحْفَظُ؟ وَأَشَارُوا إِلَى عَلْقَمَةَ، قَالَ: كَيْفَ سَمِعْتَهُ يَقْرَأُ: "وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى"، قَالَ عَلْقَمَةُ: "وَالذَّكَرِ وَالأُنْثَى"، قَالَ: أَشْهَدُ أَنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقْرَأُ هَكَذَا، وَهَؤُلاَءِ يُرِيدُونِي عَلَى أَنْ أَقْرَأَ: "وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى"، وَاللَّهِ لاَ أُتَابِعُهُمْ. رواه البخاري

قلت: أما قوله تعالى: "حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ". البقرة 236

وأما قراءة عائشة رضي الله عنها: "حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى (وصلاة العصر) وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ".

يقول الحافظ ابن كثير: فأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد أيضا: حدثنا إسحاق، أخبرني مالك عن زيد ابن أسلم عن القعقاع بن حكيم عن أبي يونس، مولى عائشة، قال: أَمَرَتْنِي عائشة أن أكتب لها مُصْحَفاً، قالت: إذا بَلَغْتَ هذه الآية: "حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى". فآذِنِّي. فلما بَلَغْتُها آذَنْتُها، فأَمْلَتْ عَلَيَّ: "حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى (وصلاة العصر) وقوموا لله قانتين". قالت: سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم. وهكذا رواه مسلم عن يحيى بن يحيى عن مالك، به. انتهى من ابن كثير

وحتى نزيد الأمر إيضاحا، نسوق أمثلة من القرآن عليه:

قال سبحانه: "وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا". المائدة 40

قرئت في قراءة شاذة، "فاقطعوا أيمانهما" بدل "أيديهما".

وَقال سبحانه: "كَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَاخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا". الكهف 78

قرئت: "وكان أمامهم" بدل: "وراءهم".

وَقال سبحانه: "قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ". الأعراف 156

قرأت: "أصيب به مَنْ أَساءَ" بدل: "من أشاء".

وَقال سبحانه: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ". الجمعة 9

قرأت: "فامضوا إلى ذكر الله" بدل: "فاسعوا إلى ذكر الله".

وَقال سبحانه: "فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ". البقرة 195

قرئت: "فصيام ثلاثة أيام متتابعة".

قلت: ومن أسباب اختلاف بعض القراءات: أن العرب كانت تكتب بغير نقط، وبغير ضبط الحروف، أي شكلها.

وهذه أمثلة لاختلاف ألفاظ القرآن الكريم، بين رواية ورش ورواية حفص، أتيتكم بها، حتى يَتَّضِحَ للقارئ، جَلِيًّا، ما أشرت إليه. مع العلم أن ما اختلف عليه ورش مع حفص في هذه القراءات، لا يدخل في القراءات الشاذة:

- في رواية ورش، هكذا قرئت الآية: "يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يُخادعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ". البقرة 9

وعند حفص: "يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ". البقرة 9

أي قرأت: " يَخْدَعُونَ"، في حفص، بدل: "يُخادعُونَ"، في ورش.

- في رواية ورش، هكذا قرئت الآية: "وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يُكَذِّبُونَ". البقرة 10

وعند حفص: وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ". البقرة 10

أي قرأت: "يَكْذِبُونَ"، في حفص، بدل: "يُكَذِّبُونَ"، في ورش.

- في رواية ورش، هكذا قرئت الآية: "وَقُولُوا حِطَّةٌ يُغْفَرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ". البقرة 57

وعند حفص: "وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ". البقرة 58

أي قرأت: " نَغْفِرْ لَكُمْ"، في حفص، بدل: " يُغْفَرْ لَكُمْ"، في ورش.

والأمثلة لا يتسع لها المجال، ولا ننسى أن نُذَكِّرَ أيلال أن القرآن نزل على سبعة أحرف، وإلا لخصصنا له كتابا وحده.

فانظر رعاك الله، أيها القارئ، كيف يثير أيلال وغيره من طائفة الْمُرْجِفينَ، يثيرون مسائل تافهة، ليشككوا الناس في دينهم. فإن الأمة الإسلامية جمعاء، تعتمد المصحف العثماني، الذي يعتبر المصحف الرسمي للأمة جميعا، والذي وقع عليه الاجماع. ولا يتسع لنا المجال، لكي نتحدث عن أسباب جمعه، ومَنْ أُسْنِدَتْ إليهم مُهِمَّةُ جَمْعِهِ مِنَ الأكفاء، ومَنْهَجِيَّتِهِمْ في جَمْعِهِ.

وإذا نظرت، أيها القارئ المتفحص، إلى القراءات الشاذة التي سقت نَزْرًا منها، فلن تجد خلافا بينها وبين القرآن في شيء، فهي لا تُحَلِّلُ حراما ولا تُحَرِّمُ حلالا.

وانظروا رعاكم الله، إلى الجملة التي قالها أيلال: أين ذهبت: "وما خلق"، فشَتّانَ بين: "والذكر والأنثى"، وبين: "وما خلق الذكر والأنثى". تعالى الله عما يَفْتَرونَ. انتهى

فبالله عليكم، هل يُغَيِّرُ ذلك من المعنى شيئا يذكر، وهل يزيد في الدين ما ليس منه أو ينقص؟

وهل من يريد أن يَفْتَرِيَ على الله تعالى يَكْتَفِي بهذا التغيير الطفيف، أم يُغَيِّرُ ماله علاقة بالاعتقاد والتشريع؟ فتدبر رحمك الله.

يقول أيلال: فكيف لهذا الرسول الكريم، أن يَنْسى آية من كتاب ربه، فيتذكرها من شخص آخر من أفراد أمته، غريب أَمْرُ هؤلاء الذين يَقْبَلُونَ مِثْلَ هذا الكلام على نبيهم. انتهى (صفحة: 24)

قلت: عن عائشة قالت: سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم، رجلا يقرأ في سورة بالليل، فقال: يرحمه الله، لقد أَذْكَرَنِي كذا وكذا آية، كنت أُنْسيتُها من سورة كذا وكذا. رواه البخاري

ويُنْكِرُ أيلال، على البخاري روايته لهذا الحديث، الذي يصف فيه النبي صلى الله عليه وسلم، بالنسيان، فلا يمكن أن ينسى النبي صلى الله عليه وسلم، آية من كتاب الله، ويتذكرها، حسب تعبير أيلال، من شخص آخر.

وهو بهذا الاستنكار، يشير إلى قوله تعالى: "سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ، إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى". الأعلى 6-7

وربما يتساءل القارئ الحصيف، لماذا لم يستشهد أيلال، بهذه الآية في استنكاره؟

والجواب: لأن الآية تنفي ما تُهَيِّئُ له. بقوله تعالى: "إلا ما شاء الله".

فاستثنت الآية، إمكانية نسيانه صلى الله عليه وسلم، ما شاء الله تعالى له أن ينسى.

وروى الإمام أحمد والطبراني برجال الصحيح، عن عبد الرحمن بن أبزى، رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، صلى الفجر فترك آية، فلما صلى قال: "أفي القوم أُبَيُّ بن كَعْبٍ"؟ وقال أَبي: يا رسول الله، أَنُسِخَتْ آية كذا وكذا، أو أُنْسيتَها. فضحك وقال: "نَسيتُها".

عن عبد الله قال: صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، خمسا، فقلنا: يا رسول الله، أزيد في الصلاة، قال: "وما ذاك"؟ قالوا: صَلَّيْتَ خَمْسًا، قال: "إنما أنا بشر مثلكم، أَذْكُرُ كما تَذْكُرونَ، وأَنْسى كما تَنْسونَ". ثم سَجَدَ سَجْدَتَيِ السَّهْوِ. رواه مسلم

وحدثني عن مالك، أنه بلغه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إني لَأَنْسى أو أُنَسَّى لِأَسُنَّ". انتهى من الموطأ

يقول أيلال: ما نُسِبَ لأم المؤمنين عائشة، في آية الرضعات المحرمات، بصريح القول، تفيد بأن الرسول مات وهي مما يتلى من كتاب الله، حتى أكلتها الداجن وهي تحت سريرها. انتهى (صفحة: 64)

قلت: ما فتئ أيلال، يجتر موضوع آية الرضاع، للمرة الثالثة على التوالي. وقد سبق أن ذكرنا أن آيات الرضاع، نُسِخَتْ تِلَاوَةً وبقي حكمها، كما أجمعت عليه الأمة. وقد رددنا عليه في المبحث الرابع: السنة قاضية على القرآن، من الفصل الأول: آفة تدوين الحديث. فلا فائدة من إعادته. (أُنْظُرْ صفحة: 65 من هذا الكتاب)

ولَعَلَّ أيلال أعجبه عبارة: أَكَلَتْهُ الدَّاجِنُ.

قلت: عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: لَقَدْ نَزَلَتْ آيَةُ الرَّجْمِ، وَرَضَاعَةُ الْكَبِيرِ عَشْرًا، وَلَقَدْ كَانَ فِي صَحِيفَةٍ تَحْتَ سَرِيرِي، فَلَمَّا مَاتَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم، وتَشَاغَلْنَا بِمَوْتِهِ، دَخَلَ دَاجِنٌ فَأَكَلَهَا. رواه ابن ماجه

قال ابن حزم: فصَحَّ نَسْخُ لفظها وبَقِيَتْ الصحيفة التي كُتِبَتْ فيها، كما قالت عائشة رضي الله عنها، فأكلها الداجِنُ، ولا حاجة بأحد إليها، وهكذا القول في آية الرضاعة ولا فرق. وبُرْهانُ هذا أنهم قد حفظوها كما أَوْرَدْنا، فلو كانت مُثْبَتَةً في القرآن، لما مَنَعَ أَكْلُ الدّاجِنِ للصحيفة، من إثباتها في القرآن مِنْ حِفْظِهِمْ، وبالله تعالى التوفيق. انتهى من المحلى

قلت: والدّاجِنُ: الشاة يعلفها الناس من منازلهم، وقد يقع على غير الشاة، مِنْ كُلِّ ما يَأْلَفُ البيوت مِنَ الطير وغيرها.

وكأن أيلال، يرى في أكل الداجن الصحيفة، إهمالا ولا مبالاة بما كتب فيها، ويثير الأمر بأسلوب ساخر.

وإذا كانت الصحيفة تحت السرير، وأكلتها الداجن، فما ذلك إلا مظهر من مظاهر عظمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلم يعش وأهله في قصور لهم فيها خزائن وأقفال. ومِنْ عادة العرب، أنهم متى أرادوا الاحتفاظ بشيء وصَوْنِهِ، وضعوه تحت أَسِرَّتِهِمْ. فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم، يُرَقِّعُ ثوبه، ويَخْصِفُ نَعْلَهُ، وكان يقول: "إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد". رواه البزار عن ابن عمر

يقول أيلال: من الغرائب المضحكة في صحيح البخاري، هذا الحديث الذي يُنْسَبُ فيه إلى نبي الرحمة، أنه أمر بقتل الْوَزَغِ. إلى أن قال: لأنها، حسب صحيح البخاري: كانت تَنْفُخُ النار على سيدنا إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلوات وأزكى التسليم، هل يُمْكِنُ تصديق هذا الهراء. انتهى (صفحة: 65)

ثم ساق أيلال ما رواه البخاري عَنْ أُمِّ شَرِيكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَمَرَ بِقَتْلِ الوَزَغِ، وَقَالَ: "كَانَ يَنْفُخُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ". انتهى (صفحة: 65)

قلت: لم يأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، بقتل الوزغ وحده، بل أمر بقتل خمس من الحيوان والطيور والهوام:

روى مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "خمس فَواسِقَ يُقْتَلْنَ في الْحِلِّ والْحَرَمِ، الحية والغراب الأبقع، والفأرة والكلب العقور والحديا".

وأمر صلى الله عليه وسلم، بقتل غير ذلك منها، تركناه مخافة التطويل.

وإذا اعتبر أيلال، هذا الأمر، من الغرائب المضحكة، فالأمر مُضْحِكٌ بالنسبة إليه. وما أكثر ما يُضْحِكُ أيلال في أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، الصادق الأمين. وسأسوق له أمثلة من الأحاديث التي تضحكه:

أخرج الإمام مسلم من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِقَتْلِ الْكِلَابِ، حَتَّى إِنَّ الْمَرْأَةَ تَقْدَمُ مِنَ الْبَادِيَةِ بِكَلْبِهَا فَنَقْتُلُهُ، ثُمَّ نَهَى النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَنْ قَتْلِهَا، وَقَالَ: "عَلَيْكُمْ بِالْأَسْوَدِ الْبَهِيمِ ذِي النُّقْطَتَيْنِ، فَإِنَّهُ شَيْطَانٌ". انتهى

وفي سنن أبي داود، عن أبي سعيد رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: "إن الْهَوَامَّ من الْجِنِّ، فمن رأى في بيته شيئًا فليُحَرِّج عليه ثلاث مرات، فإن عاد فَلْيَقْتُلْهُ فإنه شيطان".

كما أخرج البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود، رضي الله عنه، قال: ذُكِرَ عند النبي صلى الله عليه وسلم، رجل، فقيل: ما زال نائمًا حتى أصبح، ما قام إلى الصلاة. فقال: "بالَ الشيطان في أذنه".

إننا أمة تؤمن بالغيب، ونؤمن بما يقوله نبينا الكريم صلى الله عليه وسلم، لأنه كما قال عنه الله تعالى: "وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى". النجم 3. فإذا عَرَضْنا كُلَّ ما يَقولُهُ صلى الله عليه وسلم، على أيلال، وأَلْغَيْنا كُلَّ ما يُضْحِكُهُ ويثير استغرابه، فبهذا، سَيُصْبِحُ أَيْلالُ نَبِيًّا جديدا، يَقْبَلُ ويَرُدُّ مِنْ حديث النبي صلى الله عليه وسلم، ما شاء مِمَّا يوافق مِزاجَهُ أو يخالفه، ولَكِنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا نَبِيَّ بَعْدِي". رواه الترمذي

وإذا كان ما سقناه يُضْحِكُ أيلال، فَرُبَّما قَهْقَهَ لَمَّا قرأ القرآن، حيث أخبر الله تعالى، أنه أَسْرى بِعَبْدِهِ لَيْلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى.

وحيث أخبر سبحانه، عن الدَّابَّةِ التي تُكَلِّمُ الناس:

قال تعالى: "وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ، إِنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ". النمل 84

هذه أمثلة من القرآن الكريم، الذي لا يؤمن أيلال وأساتذته، بشيء سواه.

ولنتأمل جميعا هذه الآية الكريمة:

قال سبحانه: "وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا إِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ، أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ، وَأُولَئِكَ الأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ، وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ". الرعد 5-6

كفانا من التهريج، إنه النبي الأعظم، وإنه دين الإسلام السمح، فلْنُوَقِّرْ نَبِيَّنا، ولْنَرْفَعْ مِنْ شأن ديننا، ولْنَتَرَفَّعْ عن هؤلاء المرجفين، الذين يَنْعَقونَ مع كل ناعِقٍ.

ثم أورد أيلال، هذا الحديث في شؤم المرأة، واسْتَنْكَرَ الحديث كعادته:

والحديث مخرج في الصحيحين عن عبد الله بن عمر، رضي الله عنهما، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إنما الشؤم في ثلاثة: في الفرس، والمرأة، والدار".

قلت: أرى أن الحديث يَرْفَعُ مِنْ قَدْرِ المرأة، ولا يَحُطُّ مِنْ قَدْرِها، كما تهيأ لأيلال.

والمقصود من الحديث، أن المرأة إذا كانت مشؤومة لسبب من الأسباب، فإن شؤمها يَلْحَقُ زوجها بلا شك.

والعكس صحيح، أي أن المرأة المسعودة، تغمر الرجل بِسَعْدِها.

ومما لا شك فيه، أن الرجل مثلها في الشُّؤْمِ والسَّعْدِ.

فإن الرسول صلى الله عليه وسلم، أثنى على المرأة، سواء كانت وليدة أو زوجة أو أما، أو أختا، أو خالة وعمة، أو جدة.

عن أنس، رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: "مَن عال ابنتينِ أو ثلاثًا، أو أختينِ أو ثلاثًا، حتَّى يَبِنَّ، أو يموتَ عنهنَّ، كُنْتُ أنا وهو في الجنَّةِ كهاتينِ، وأشار بأُصبُعِه الوسطى والَّتي تليها". رواه ابن ماجه

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "الدنيا متاعٌ، وخيرُ متاعِها المرأةُ الصالحة". رواه مسلم وغيره كثير نتركه لضيق المجال.

يقول أيلال: بل نستنتج من خلال هذا الحديث، أن جميع الرسل لديهم حظهم من الزنا، باعتبارهم من بني آدم، بِمَنْ فيهم رسولنا الكريم، وأيضا الصحابة الكرام والسلف الصالح، الكل له حظه من الزنا، فنحن زناة من نسل زناة، هذا هو الحديث في أصح الكتب كما يتبجحون: روى البخاري. انتهى (صفحة: 66)

قلت: عن ابن عباس قال: ما رأيت شيئا أشبه باللَّمَمِ مما قال أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم: "إن الله كَتَبَ على ابن آدم حَظَّهُ من الزنا، أدرك ذلك لا محالة. فزنا العين النظر، وزنا اللسان المنطق، والنفس تَمَنَّى وتَشْتَهِي، والْفَرْجُ يُصَدِّقُ ذلك أو يُكَذِّبُهُ". رواه البخاري

قلت: لا أدري ما أقول، كيف أن أيلال فَهِمَ من هذا الحديث: أننا زُناةٌ مِنْ نَسْلِ زُناةٍ؟ هل لأنه لم يفهم مضمون الحديث، لِقُصورِهِ عن ذلك، نتيجة تعذر استكمال دراسته. أم أنه، فهم مضمون الحديث، ويستخف بقرائه، ويحاول إغواءهم بالكذب والافتراء، كعادته، وكأنهم لا يفهمون معاني لغة الضاد.

مَنْ مِنّا، بَلْ مَنْ مِنَ الناس أجمعين، لَمْ يَقَعْ في زِنا الْعَيْنِ أو اللِّسانِ، ولم يَشْتَهِ ما حَرَّمَ الباري عز وجل، ولكنه لم يفعل شيئا منه؟

فهذا نبي الله يوسف عليه السلام، يَهُمُّ بالفاحشة، ويتراجع عنها بعد أن رأى برهان ربه.

يقول الله تعالى: "وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ، وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ، كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ، إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ". يوسف 24

ولكن أيلال، يجعلنا زُنَاةً مِنْ نَسْلِ زُنَاةٍ. على حسب ما استنتج بعقليته الهجينة المائعة، من الحديث الشريف.

يقول أيلال: كمثل هذا الحديث في صحيح البخاري، يَتَّهِمُ الرسول فيه أنه يَدْخُلُ على أُمِّ حَرامٍ زَوْجِ عبادة بن الصامت، في غَيْبَةٍ مِنْ زَوْجِها طَبْعا، ويأكل عندها، وينام عندها وتفْلي رأسه، إذن فالرسول يختلي بامرأة في غيبة زوجها، وينام عندها ويأكل، وتفلي رأسه من الْقُمَّلِ. انتهى (صفحة: 66)

عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة، أنه سمع أنس بن مالك يقول: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، يدخل على أم حرام بنت ملحان، وكانت تحت عبادة بن الصامت، فدخل عليها يوما، فأطعمته وجعلت تفلي رأسه، فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث. رواه البخاري

قلت: هي أُمُّ حَرامٍ بنتُ مِلْحانَ بن خالد الأَنْصَارِيَّةُ، وهي أخت أم سُلَيْمٍ، وخالة أنس بن مالك، وزوجة الصحابي الجليل عبادة بن الصامت، رضي الله عنهما.

أخواها: سُلَيْمٌ وحَرَامٌ، اللذين شَهِدا بَدْراً وأُحُداً، وكان حَرَامٌ في سَرِيَّةِ المنذر بن عمرو يوم بئر مَعونَةَ، وكان أَوَّلَ مَن اُسْتُشْهِدَ فيها، وهو القائل عندما طُعِنَ مِنَ الْخَلْفِ بالرمح: فُزْتُ ورَبِّ الْكَعْبَةِ.

كانت هي وأختها، من أوائل المسلمات في المدينة، رضي الله عنهن جميعا. شَهِدَتْ عِدَّةَ مَشاهِدَ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، منها: أحد وحنين.

خَرَجَتْ غازية مع زوجها عبادة بن الصامت، فلما جاز البحر، ركبت دابة فصرعتها فقتلتها.

قال ابن الأثير في "أسد الغابة": "وكانت تلك الغزوة غزوة "قبرس" فدفنت فيها، وكان أمير ذلك الجيش، معاوية بن أبي سفيان في خلافة عثمان، ومعه أبو ذر وأبو الدرداء وغيرهم من الصحابة، وذلك فى سنة سبع وعشرين من الهجرة. انتهى

قلت: اِنْفَلَتَ أَيْلالُ مِنْ أَنامِلِ الفضيلة كعادته، وانطلق يَفْتَري على النبي صلى الله عليه وسلم، ويُحَمِّلُ الحديث ما لا يَحْتَمِلُ لِيَنْسِبَ ذلك، إلى الإمام البخاري، وهو منه بَراءٌ.

أولا- ليس في الحديث، ما يَدُلُّ على أن النبي صلى الله عليه وسلم، دخل على أم حرام في غيبة من زوجها، كما يفتري أيلال في قوله: (في غيبة من زوجها طبعا)، فلا دليل في الحديث على ذلك، وإلا فكيف أخبر به أنس رضي الله عنه، إذا لم يكن موجودا. ويؤيد ما قلناه ما ورد في رواية أنس، وهي كالتالي:

عن أنس قال: دخل النبي صلى الله عليه وسلم، علينا، وما هو إلا أنا وأمي وأم حرام خالتي، فقال: "قوموا فَلْأُصَلِّي بِكُمْ، في غَيْرِ وقت صلاة"، فَصَلَّى بنا، فقال رجل لثابت: أين جعل أَنَسا منه، قال: جعله على يمينه. ثم دعا لنا أهل البيت بكل خير من خير الدنيا والآخرة الحديث. رواه مسلم

ثانيا: صيغة الحديث: "فدخل عليها يوما، فأطعمته وجعلت تفلي رأسه". هذه الصيغة لا تفيد تكرار دخوله عليها صلى الله عليه وسلم، لكن صيغة أيلال: "يدخل على أم حرام"، تفيد التكرار. في حين أن صيغة الحديث تقول: "فدخل عليها يوما".

ثالثا: ليس في الحديث ما يَدُلُّ على أن أم حرام كانت تفلي رأسه صلى الله عليه، من القمل.

ولا يخفى على أحد أن الأم أو الجدة قد تفلي رأس وليدها أو حفيدها، قصد مساعدته على النوم، دون وجود القمل.

ولكن أيلال يُقَوِّلُ الحديث ما لم يَقُلْ كعادته، وينتصر لوجود الْقُمَّلِ، في رأس النبي صلى الله عليه وسلم، دون دليل.

والظاهر، أن أم حرام وأختها أم سليم، كانتا محرمتين لرسول الله صلى الله عليه وسلم، كما ذهب إليه كثير من العلماء، بل منهم من حكى الاجماع على ذلك:

قال النووي: اتفق العلماء على أنها كانت محرما له صلى الله عليه وسلم، واختلفوا في كيفية ذلك؛ فقال ابن عبد البر وغيره: كانت إحدى خالاته من الرضاعة، وقال آخرون: بل كانت خالة لأبيه أو لجده؛ لأن عبد المطلب كانت أمه من بني النجار. انتهى من شرح النووي على مسلم

وقال النووي كذلك، تعقيبا على الحديث: وفيه: جواز ملامسة المحرم في الرأس وغيره مما ليس بعورة، وجواز الخلوة بالمحرم والنوم عندها، وهذا كله مجمع عليه. انتهى من شرح النووي على مسلم

وما كان النبي صلى الله عليه وسلم، لِيَدْخُلَ على امرأة ليست من محارمه، كيف وقد نهى عن ذلك؟

عن ابن عباس رضي الله عنهما، أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم، يقول: "لا يَخْلُوَنَّ رجل بامرأة، ولا تُسافِرَنَّ امرأة إلا ومعها محرم". متفق عليه

ومما يُؤَكِّدُ لنا أنها من محارمه وإحدى خالاته، أنه على حسب ما روي عنه صلى الله عليه وسلم، ما دخل على امرأة عدا نسائه، غير أم سليم. وهي أم أنس وأخت أم حرام.

عن أنس قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم، لا يدخل على أحد من النساء إلا على أزواجه، إلا أم سليم، فإنه كان يدخل عليها. فقيل له في ذلك، فقال: إني أرحمها، قُتِلَ أخوها معي. رواه مسلم

ولعل أم حرام كانت امرأة كبيرة السن، على حسب قول ابن عبد البر: كانت إحدى خالاته من الرضاعة، وقال آخرون: بل كانت خالة لأبيه أو لجده؛ لأن عبد المطلب كانت أمه من بني النجار. انتهى

قلت: فماذا لو فَلَتْ امرأة كبيرة السن، رأس نبي الله صلى الله عليه وسلم، حتى ولو لم تكن من محارمه؟ ماذا وقد أجاز الإمام مالك مصافحة المسنة:

قَالَ يَحْيَى: سُئِلَ مَالِكٌ: هَلْ يُسَلِّمُ عَلَى الْمَرْأَةِ؟ فَقَالَ: أَمَّا الْمُتَجَالَّةُ فَلَا أَكْرَهُ ذَلِكَ، وَأَمَّا الشَّابَّةُ فَلَا أُحِبُّ ذَلِكَ. انتهى من الموطأ

والمتجالة: المرأة المسنة.

يقول أيلال: ومن الغرائب المضحكة والأساطير الغريبة المغرقة في الخرافة والمؤسسة للجهل المطبق، ما ورد في صحيح البخاري، منسوبًا للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، بأنه اعتبر الفأر أمة فقدت من بني إسرائيل!!! انتهى (صفحة: 67)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "فُقِدَتْ أُمَّةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، لَا يُدْرَى مَا فَعَلَتْ، وَإِنِّي لَا أَرَاهَا إِلَّا الْفَأْرَ، إِذَا وُضِعَ لَهَا أَلْبَانُ الْإِبِلِ لَمْ تَشْرَبْ، وَإِذَا وُضِعَ لَهَا أَلْبَانُ الشَّاءِ شَرِبَت". رواه البخاري

قلت: الذي لا يعرفه أيلال، أن ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم، في هذا الحديث، لم يقصد به الجزم في كلامه، وإنما عبر عن غالب ظنه، وما يراه، كما يدل عليه لفظ الحديث: "وَإِنِّي لَا أَرَاهَا إِلَّا الْفَأْرَ".

ففي صحيح مسلم عن ابن مسعود، أن النبي صلى الله عليه وسلم، ذُكِرَتْ عنده الْقِرَدَةُ والخنازير من مَسْخٍ. فقال صلى الله عليه وسلم: "إن الله لم يجعل لِمَسْخٍ نَسْلاً ولا عَقِبًا، وقد كانت القردة والخنازير قبل ذلك". انتهى الحديث

فأَثْبَتَ هذا الحديث الشريف، أن النبي صلى الله عليه وسلم، رجع عن رأيه في مسألة الفأر، الذي أَدْلَى به في رواية أبي هريرة، وأكد في حديث ابن مسعود، أن القردة والخنازير، التي مُسِخَتْ، لا نَسْلَ لها، ولا عَقِبَ. ولهذا، لا يمكن أن يكون الفأر من هذا الْمَسْخِ، لأنها مُسِخَتْ في الزمان القديم ولم تَتَناسَلْ، فلا يمكن أن تَبْقى إلى عهد النبي صلى الله عليه وسلم.

قلت: ونحوه، ما أخرجه مسلم عن جابر قال: أُتِيَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بِضَبٍّ، فَأَبى أن يأكل منه، وقال: "لا أدري لعله من الْقُرونِ التي مُسِخَتْ".

قال القرطبي: أما قوله عليه السلام في حديث أبي هريرة: "ولا أراها إلا الفأر"، وفي الضب: "لا أدري لعله من القرون التي مُسِخَتْ"، وما كان مثله، فإنما كان ظَنًّا وخوفا، لأن يكون الضب والفأر وغيرهما مما مسخ، وكان هذا حَدْسًا منه صلى الله عليه وسلم، قبل أن يوحى إليه، أن الله لم يجعل لِلْمَسْخِ نَسْلاً، فلما أوحي إليه بذلك، زال عنه ذلك التَّخَوُّفُ. انتهى من تفسير القرطبي

وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم، أَدْلى برأيه في أمور المسلمين، ثم تراجع عنه:

أخرج مسلم في صحيحه، عن موسى بن طلحة عن أبيه، قال: مررت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، بِقَوْمٍ على رؤوس النخل، فقال: "ما يصنع هؤلاء"؟ فقالوا: يُلَقِّحونَهُ، يجعلون الذكر في الأنثى فيلقح، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما أظُنُّ يُغْني ذلك شيئا" قال: فَأُخْبِروا بذلك فتركوه، فَأُخْبِرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم، بذلك، فقال: "إن كان يَنْفَعُهُمْ ذلك فليصنعوه، فإني إنما ظننت ظنا، فلا تؤاخذوني بالظن، ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئا، فخذوا به، فإني لن أكذب على الله عز وجل". انتهى

وبذلك، وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم، قاعدة في هذا الحديث، يُعْتَمَدُ عليها، وهي ألَّا نأخذ عنه صلى الله عليه وسلم، ما قاله ظَنًّا منه، في أمور الدنيا، ونأخذ عنه ما حَدَّثَنا به عن الله تعالى.

إذن، فلا داعي لإثارة الجَلَبَةِ على رسولنا الأعظم، صلى الله عليه وسلم، لا لشيء، سوى لأنه يرى ويَظُنُّ كسائر بني البشر.

وقد ثَبَتَ في كتاب الله العزيز، أن الله تعالى لَامَ رسوله الأكرم صلى الله عليه وسلم، بسبب بعض المواقف والتَّصَرُّفاتِ، ولو أنه صلى الله عليه وسلم، قَصَدَ بها خيرا، ومن ذلك:

1- عِتابُ الله تعالى، للنبي صلى الله عليه وسلم، حينما أَذِنَ لبعض المنافقين بِالتَّخَلُّفِ عن غزوة تبوك:

قال سبحانه: "عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ". التوبة 43

2- عِتابُ الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم، لما حَرَّمَ على نفسه شُرْبَ العسل، إرْضاءً لزوجتيه، عائشة وحفصة رضي الله عنهما، على حسب إحدى الروايتين.

قال تعالى: "يَا أَيُّهَا النَّبِيءُ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ، وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ". التحريم1

3- عِتابُ الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم، في عبد الله بن أُمِّ مَكْتومٍ الْأَعْمى الفقير، الذي أَعْرَضَ عنه الرسول عليه الصلاة والسلام، لانشغاله مع كبراء قريش، لعلهم يُسْلِمونَ ويُسْلِمُ معهم مَنْ يَتَّبِعُهُمْ.

قال سبحانه: "عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الأَعْمَى، وَمَا يُدْرِيكَ، لَعَلَّهُ يَزَّكَّى أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى". عبس 1-4

4- عِتابُ الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم، لَمَّا أَسِرُوا مِنَ المشركين في بَدْرٍ، واسْتَشارَ فيهم عمر، فأشار عليه بقتلهم، وأشار عليه أبو بكر بأخذ الفدية عنهم، فأخذ صلى الله عليه وسلم، برأي أبي بكر.

فنزل قوله تعالى: "مَا كَانَ لِنَبِيءٍ اَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الاَرْضِ، تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا، وَاللَّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ، وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ". الأنفال 68

5- عِتابُ الله تعالى، نبيه صلى الله عليه وسلم، لَمَّا امْتَنَعَ عَمُّهُ أبو طالب، عن النطق بلا إله إلا الله، عند موته. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ ما لَمْ أُنْهَ عَنْكَ".

فنزل قوله تعالى: "مَا كَانَ لِلنَّبِيءِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ". التوبة 114

يقول أيلال: هذا الحديث يُبْرِزُ أن الشمس عندما تَغْرُبُ، فإنها تَذْهَبُ لِتَسْجُدَ تَحْتَ عرش الرحمن، وهذا واضح من خلال الحديث، وهو يتناقض مع العلم، الذي يُثْبِتُ أن غروب الشمس على بعض المناطق، يعني إشراقها على مَناطِقَ أخرى. انتهى (صفحة: 68)

قلت: وهنا سأقف قليلا!

أيلال هنا يتحدث عن علم الفلك، الشمس لا تغيب، ولكن الأرض هي التي تدور. والأرض ليست مركز الكون.

وجود الأرض عند المركز المداري لجميع الأجرام السماوية، هذا نموذج كان هو النظام الكوني السائد والمسيطر في العديد من الحضارات القديمة، مثل اليونان القديمة. وبالتالي، افترضت تلك الحضارات، أن الشمس والقمر والنجوم والكواكب السيارة، التي تُرى بالعين المجردة، تدور حول الأرض، بما في ذلك الأنظمة الهامة التي وضعها أرسطو وبطليموس.

ولما اكتشف عالم الرياضيات الإيطالي، الفيزيائي والفيلسوف غاليليو غاليلي(1564-1642) في عام 1633. اكتشف أن الأرض تدور حول الشمس. قوبلت اكتشافاته بالمعارضة من قبل الكنيسة الكاثوليكية، وفي عام 1616، أعلنت محكمة التفتيش، أن نظرية مركزية الشمس مُجَرَّدُ هَرْطَقَةٍ.

فإذا كان غاليلي، قد تَلَقَّى المعارضة في بداية القرن السابع عشر. فماذا لو أخبر النبي صلى الله عليه وسلم، أن الأرض كُرَوِيَّةٌ أو تدور حول الشمس، في بداية القرن السابع. هذا إذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يعرف ذلك. فليس على الأنبياء معرفة جميع العلوم.

لا شك أن العرب جميعا، سَيُكَذِّبونَ رسالته صلى الله عليه وسلم، لأنه خاطَبَهُمْ بما لا تستوعبه عقولهم. كيف وأن فلاسفة اليونان، كانوا يعتقدون غير ذلك.

ومن هنا تتجلى حكمته صلى الله عليه وسلم، فقد خاطبهم، سواء كان يعلم أو لم يكن يعلم، على حسب ما تَتَحَمَّلُهُ عقولهم.

يقول أيلال: ومن الأحاديث المنتقصة من قدر النبي، في صحيح البخاري، حديث يقول، إن رسول الله كان يمارس الجنس مع نسائه الإحدى عشر، خلال ساعة زمنية، سبحان الله، هل كان الراوي مُتَتَبِّعًا مُتَجَسِّسًا على حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، الخاصة؟ وهل كان رسول الله، آلة جنسية وحاشاه؟ انتهى (صفحة: 68)

قلت: ما قاله أيلال في حق النبي صلى الله عليه وسلم، لا يليق برجل مِثْلِهِ، يَدَّعِي الْغَيْرَةَ على نبيه ورسوله صلى الله عليه ويسلم، ويَتَقَمَّصُ شخصية المدافع الْمُتَفاني عنه.

إنه أُسْلوبٌ ساقِطٌ لا يَليقُ إِلَّا بِرُوَّادِ الأزقة والشوارع.

ونلاحظ عليه ما يلي:

حدثنا أنس بن مالك، قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم، يَدورُ على نسائه، في الساعة الواحدة من الليل والنهار، وهُنَّ إحدى عشرة. قال: قلت لأنس: أَوَ كانَ يُطيقُهُ، قال: كنا نتحدث أنه أُعْطِيَ قوة ثلاثين. وقال سعيد عن قتادة: إِنَّ أَنَسًا حَدَّثَهُمْ تسع نسوة. رواه البخاري

أولا: لفظ: "يَدورُ"، في الحديث، ليس صريحا في الدلالة، على الْجِماعِ، وإنما الذي جعل أيلال يتسرع كعادته ويفسره بالجماع، هو قول الراوي عن أنس: "أَوَ كانَ يُطيقُهُ".

فَتَعالَوْا نُقابِلُ ما رواه أنس، بما روته عائشة أم المؤمنين، رضي الله عنها، وهي زوج النبي صلى الله عليه وسلم، وكلامها أَثْبَتُ مِنْ كلام غيرها، خاصة في أمور الفراش.

عن عروة قال: قالت عائشة رضي الله عنها: يا ابن أختي، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، لا يُفَضِّلُ بعضنا على بعض في الْقَسْمِ مِنْ مُكْثِهِ عندنا، وكان قَلَّ يَوْمٌ إلا وهو يَطوفُ علينا جميعاً، فَيَدْنو مِنْ كُلِّ امْرَأَةٍ مِنْ غَيْرِ مَسِيسٍ، حتى يَبْلُغَ التي هُوَ يَوْمُها فَيَبِيتُ عِنْدَها. رواه أحمد وأبو داود واللفظ له وصححه الحاكم

فانظر رعاك الله، إلى لفظ: "يَدُورُ"، في حديث أَنَسٍ، الذي يقابله لفظ: "يَطُوفُ"، في حديث عائشة.

فإن عائشة لم تَعْنِ بقولها: "يطوف علينا جميعا"، لم تَعْنِ به الْجِماعَ. ودليل ذلك، قولها بعده: "فَيَدْنُو مِنْ كُلِّ امْرَأَةٍ مِنْ غَيْرِ مَسِيسٍ".

والغالب، أن أَنَسًا راوي الحديث الأول، سمع لفظ: "يَدُورُ"، فحسبه يعني الجماع. وإلا فالأخذ بما قالت عائشة، هو الأولى.

والمعروف من سنته صلى الله عليه وسلم، أنه كان يخصص ليلة لكل واحدة من نسائه، ودليل ذلك حديث عروة الذي سنورده في التالي:

عن عروة قال: قالت عائشة رضي الله عنها: يا ابن أختي، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، لا يُفضِّل بعضنا على بعض في القَسْم مِنْ مُكْثِه عندنا، وكان قَلَّ يومٌ، إلا وهو يَطُوف علَيْنا جميعًا، فَيَدْنُو مِنْ كلِّ امرأة مِنْ غَيْر مَسِيسٍ، حتى يَبْلُغ إلى التي هو يومُها فَيَبِيتُ عندها. ولقد قالت سَوْدة بنت زَمْعَة: حِينَ أَسَنَّتْ وفَرِقَتْ أنْ يُفارِقَها رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله، يَوْمِي لعائشة، فَقَبِل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، منها، قالت: نَقول: في ذلك أَنْزَل الله تعالى، وفي أَشْبَاهِها أَراه قال: "وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا". النساء 127. رواه أحمد وأبو داود

والسؤال الذي يُلِحُّ عَلَيَّ إِلْحاحًا أن أطرحه على أيلال: لماذا لم تَسْتَدِل بحديث عروة وتَتَحَقَّقُ مما قلت قبل أن تقوله؟ خاصة أن الأمر يتعلق بنبينا الأعظم عليه الصلاة والسلام؟ فليس ما فَعَلْتَ مِنْ شِيَمِ الباحثين وأخلاقهم.

يقول أيلال: مِنْ بلاغات صحيح البخاري، في أول كتاب منه، يَتَّهِمُ الرسول بمحاولة الانتحار، حاشاه صلى الله عليه وسلم. انتهى (صفحة: 68)

قلت: يُنْكِرُ أيلال، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، حاول الانتحار، حسب تعبيره، وإلقاء نفسه من رؤوس الجبال، ويُنْكِرُ على البخاري إيراده لهذا الخبر، الذي يُسيءُ، في نظره، إلى النبي صلى الله عليه وسلم، الذي لا يُمْكِنُ أن يَهُمَّ (بالانتحار) وهو رسول العالمين أجمعين.

قال الزهري: فأخبرني عروة عن عائشة رضي الله عنها، أنها قالت: ثم لم يَنْشَبْ ورقة أن تُوُفِّيَ، وفَتَرَ الوحي فترةً، حتى حَزِنَ النبي صلى الله عليه وسلم، فيما بَلَغَنا، حُزْنًا غَدا منه مرارا كي يَتَرَدَّى من رؤوس شواهق الجبال، فكلما أَوْفى بِذِرْوَةِ جبل لكي يُلْقِيَ منه نفسه، تَبَدَّى له جبريل فقال: يا محمد، إنك رسول الله حقا. فيَسْكُنُ لذلك جَأْشُهُ، وتَقَرُّ نفسه فيَرْجِعُ. فإذا طالت عليه فَتْرَةُ الوحي، غَدَا لِمِثْلِ ذلك، فإذا أَوْفَى بِذِرْوَةِ جَبَلٍ، تَبَدَّى له جبريل، فقال له مِثْلَ ذلك. رواه البخاري

وأقول: لا نسعى إلى تضعيف هذا الخبر، لأننا بذلك، سنكون وافقنا أيلال في إنكاره.

لقد كان لانقطاع الوحي عن النبي صلى الله عليه وسلم، وَطْءٌ شديد على نفسيته صلى الله عليه وسلم، فقد ظَنَّ أن رَبَّهُ سبحانه، هَجَرَهُ وقَلَاهُ. فحَزِنَ حُزْنًا شديدا، حتى أنه هَمَّ أن يُلْقِيَ بنفسه من رؤوس الجبال.

لكن السؤال: هل فعلا ألقى بنفسه من رؤوس الجبال؟

إنها حالة إنسانية، قد تعتري أقوياء النفوس، وشديدي العزم من البشر. ما بالك بالنبي صلى الله عليه وسلم، الذي لم يتجهز بعد للرسالة.

وقد فَتَرَ الوحي (أي انقطع)، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، مرتين: الأولى في أول نزوله، ثم نزلت بعده سورة المدثر، والثانية بعد نزول عدة سُوَرٍ من القرآن، ثم نزلت بعده سورة الضحى.

فلا زال الوحي في بداية نزوله، ولا زال عليه الصلاة والسلام، لم يخضع من ربه سبحانه، لأساليب التهييء والتربية، ولم يتلق التعاليم والتوجيهات الكافية، لكي يضطلع بالتبليغ.

قال تعالى: "يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا نِصْفَهُ أَوُ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا، إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا". المزمل 1-4

وليعلم أيلال، أن الشريعة الإسلامية، لا تحاسب المرء إذا هَمَّ بارتكاب الذنب، بل تحاسبه على فعله.

فقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما، واللفظ لمسلم، عَنِ ابْنِ عَبّاسٍ عَنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، فِيمَا يَرْوِي عَنْ رَبّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، قَالَ: "إِنّ الله كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسّيّئَاتِ. ثُمّ بَيّنَ ذَلِكَ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا، كَتَبَهَا الله عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا، كَتَبَهَا الله عَزّ وَجَلّ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ، إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ، إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ. وَإِنْ هَمّ بِسَيّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا، كَتَبَهَا الله عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإِنْ هَمّ بِهَا فَعَمِلَهَا، كَتَبَهَا الله سَيّئَةً وَاحِدَةً. انتهى الحديث

فما أَرْوَعَ الإسلام، وما أَشْفَقَ الله تعالى على عباده.

يقول أيلال: حديث في صحيح البخاري أتحدى أن يفهمه أَيًّا كان، (الصواب: أَيٌّ كان) أو يستطيع شرحه اعتمادا على نصه فقط، حتى أَبْلَغُ الناس وأَفْقَهُ الناس لن يستطيع فَهْمَهُ، وهو كما أوضحت في صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن. انتهى (صفحة: 69)

قلت: ثم يَلْعَبُ أيلال مع قرائه لعبة الألغاز، ويَسُوقُ لهم قطعة من حديث شريف، ويَتَحَدَّاهُمْ أن يفهمه أي كان، حتى البلغاء والفقهاء. فكيف استهان بقرائه لهذا الحد، وكأنهم أُمِّيُّونَ لا يفقهون شيئا؟ فربما لم يستطع هو فهمه، فأضفى أُمِّيَّتَهُ على سائر الناس، بكل تَجَرُّئٍ وتَبَجُّحٍ.

لقد تكلم العلماء، منذ القديم في هذا الحديث. ولكن فيما انفرد به ابن مسعود وَحْدَهُ، عن سائر الصحابة، حين قال بأن المعوذتين ليستا من القرآن.

عن زر بن حبيش قال: سألت أُبَيَّ بن كَعْبٍ، قلت: يا أبا المنذر، إن أخاك ابن مسعود يقول كذا وكذا، فقال أُبَيٌّ: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال لي: "قيل لي، فقلت". قال: فنحن نقول كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم. رواه البخاري

وحتى نفهم مضمون الحديث، نسوق هذه الرواية:

وأخرج الإمام أحمد، والبخاري، وغيرهما عن زر بن حبيش قال: أتيت المدينة، فلقيت أُبَيَّ بن كَعْبٍ، فقلت له: يا أبا المنذر، إني رأيت ابن مسعود لا يكتب المعوذتين في مصحفه، فقال: أما والذي بعث محمداً بالحق، لقد سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم، عنهما، وما سألني أحد عنهما منذ سألته غيرك، قال: "قيل لي: قل، فقلت: قولوا"، فنحن نقول كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فيا ترى لماذا لم يأت أيلال بهذه الرواية من صحيح البخاري؟ ربما لأنها تفسر ما استعصى عليه فهمه، وأرجو ألا تعمد تجاوزها حتى لا ينفضح أمام قرائه.

وقد روى الإمام أحمد في مسنده، والطبراني في معجمه الكبير عن عبد الله بن مسعود، رضي الله عنه، أنه كان يمحو المعوذتين من مصاحفه، ويقول: إنهما ليستا من كتاب الله عز وجل.

قلت: وإذا انفرد ابن مسعود رضي الله عنه، وحده بهذا القول الشاذ، فالأحاديث تَدُلُّ على خِلَافِهِ:

وقد أخرج مسلم والترمذي والنسائي وغيرهم عن عقبة بن عامر، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم،: "أنزلت علي الليلة آيات لم أَرَ مثلهن قط: قل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس".

وأخرج الحاكم وابن مردويه، وغيرهما عن عقبة بن عامر قال: قلت يا رسول الله، أَقْرِئْنِي سورة يوسف وسورة هود، قال: "يا عقبة: اِقْرَأْ بسورة: قل أعوذ برب الفلق، فإنك لن تقرأ بسورة أَحَبَّ إلى الله وأَبْلَغَ منها، فإذا استطعت أَلَّا تَفُوتَكَ فافعل".

وأخرج الترمذي، وحَسَّنَهُ البيهقي وغيرهما عن أبي سعيد الخدري، رضي الله عنه، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، يَتَعَوَّذُ مِنْ عَيْنِ الْجَانِّ ومِنْ عَيْنِ الإنس، فلما نزلت سورة المعوذتين، أخذ بهما وترك ما سواهما. وتَبَيَّنَ أن قَوْلَ ابن مسعود، رضي الله عنه، على جلالته وعظم منزلته، إذا ثبت عنه، خَطَأٌ منه، رضي الله عنه، وأنه قول شَذَّ به عن بَقِيَّةِ الصحابة. ولو لم تكن المعوذتين من كتاب الله تعالى، لما أُثْبِتَتَا في المصحف، وأجمعت عليهما الأمة، بما في ذلك ابن مسعود، التي لا تجتمع على ضلالة، فإجماع الأمة معصوم كما هو معلوم، ولكن خطأ الأفراد وَارِدٌ، مهما كانت منزلتهم وعُلُوُّ شَأْنِهِمْ، فلا عِصْمَةَ لأحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولعل هذا مِنْ شَوَاذِّ ابن مسعود، رضي الله عنه.

ولعل ابن مسعود، رجع عن هذا القول، فقد ذكر ابن أبي داود في كتاب المصاحف، قال: باب رضا عبد الله بن مسعود بجمع عثمان رضي الله عنه المصاحف، ثم روى عنه حديث نزول القرآن على سبعة أحرف. انتهى

والمهم عندنا، أننا فَهِمْنَا، ما تَحَدَّى به أيلال، بُلَغاءَنا وفُصَحاءَنا أن يَفْهَموهُ، وبهذا نكون قد فُزْنا بِالرِّهَانِ، ولو أن أيلال لم يُخَصِّصْ جائزة للفائزين...

يقول أيلال: كما لا يجب أن ننسى أيضا، أن كُتُبَ الحديث، تخبرنا كما ورد في: سير أعلام النبلاء للذهبي، والمنتظم لابن الجوزي، أن الصحابة أهملوا دفن الرسول ثلاثة أيام، حتى انتفخ بطنه: "كانوا مشغولين بشيء أهم وهو الحصول على كُرْسِيّ الْحُكْمِ". انتهى (صفحة: 69)

قلت: عن عكرمة قال: تُوُفِّيَ رسول الله صلى الله عليه وسلم، يوم الاثنين، فحبس بقية يومه وليلته والغد، حتى دفن ليلة الأربعاء. وقالوا: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم، لم يَمُتْ، ولكن عُرِجَ بِروحِهِ كما عُرِجَ بروح موسى. فقام عمر فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم، لم يَمُتْ ولكن عُرِجَ بروحه كما عُرِجَ بروح موسى، والله لا يَموتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى يَقْطَعَ أَيْدِيَ أقوام وألسنتهم. فلم يَزَلْ عمر يَتَكَلَّمُ حتى أَزْبَدَ شِدْقاهُ، مما يوعِدُ ويقول. فقام العباس، فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قد مات، وإنه لَبَشَرٌ، وإنه يَأْسَنُ كما يَأْسَنُ البشر، أي قوم، فادفنوا صاحبكم الحديث. رواه الدارمي في سننه

قلت: الحديث واضح الدلالة، في أن تأخر دفن النبي صلى الله عليه وسلم، ليس بسبب اشتغال الصحابة باختيار مَنْ يَخْلُفُهُ، كما يَدَّعي أيلال، وإنما لاعتقاد كثير من الصحابة رضي الله عنهم، أنه صلى الله عليه وسلم، عُرِجَ بِروحِهِ، وسَيَعودُ للحياة. ويكون هذا، هو السبب الأول، لتأخرهم في دفنه.

وانظر كيف استعظمت فاطمة رضي الله عنها، دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم:

ثنا ثابت البناني، قال أنس: فلما دُفِنَ النبي صلى الله عليه وسلم، قالت فاطمة: يا أنس، أطابت أنفسكم أَنْ دَفَنْتُمْ رسول الله صلى الله عليه وسلم، في التراب ورَجَعْتُمْ؟ رواه أحمد وغيره

والسبب الثاني: اشتغال الناس بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم، أَعْني صلاة الجنازة.

يقول الأستاذ صلاح المغامسي: والروايات جملة، تدل على أن أول مَنْ صَلَّى عليه، عمه العباس، لكونه كبير بني هاشم وعم النبي صلى الله عليه وسلم، ثم أخذوا يصلون عليه عشرة عشرة، فَصَلَّى عليه أَوَّلَ الأمر، بنو هاشم آله عليه الصلاة والسلام، ثم صَلَّى عليه المهاجرون، ثم صَلَّى عليه الأنصار، ثم صَلَّى عليه باقي الناس، ثم صَلَّى عليه النساء ثم الصبيان، وقيل: الصبيان ثم النساء. والمقصود، أنهم لم يُصَلُّوا عليه خَلْفَ إِمامٍ، وإنما صَلَّوْا عليه أفذاذاً أفراداً، وهذا أمر مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. انتهى من كتاب التعليق على الدرة المضيئة في السيرة النبوية للمقدسي. لصاحبه صالح المغامسي

أما قول العباس: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قد مات، وإنه لَبَشَرٌ، وإنه يَأْسَنُ كما يَأْسَنُ الْبَشَرُ.

فليس دليلا على أن النبي صلى الله عليه وسلم، فسد جسده الشريف فَأَسِنَ، وإنما هو قول من العباس، ربما لِيُسْرِعَ الناسُ في دَفْنِهِ عليه الصلاة والسلام.

فقد روي عن سعيد بن المسيب قال: قال علي: غسلت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فذهبت أنظر ما يكون من الميت، فلم أر شيئا، وكان طَيِّبًا حَيًّا ومَيِّتًا. انتهى من سير أعلام النبلا للذهبي

كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم، أن الله تعالى حرم أجساد الأنبياء على التراب:

عن أوس بن أوس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله حَرَّمَ على الأرض أجساد الأنبياء". رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه والدارمي والبيهقي في: الدعوات الكبير

وَثَمَّةَ حديثان يَتَّخِذُهُمَا بَعْضُ الْمُتَرَبِّصِينَ بسيرة إمام الحق وخير الخلق، عليه الصلاة والسلام، كأمثال أيلال، يتخذونهما مَطِيَّةً لِنَفْثِ سُمُومِهِمْ، وتَلْوِيثِ أفكار الناس. هذان الحديثان، مِنْ أَبْعَدِ ما يكون عن الصحة، وقد تَكَلَّمَ فيهما علماء الأمة منذ القديم، فَأَجَادُوا، رَحِمَهُمُ الله تعالى.

الحديث الأول:

أخرجه ابن سعد في "الطبقات"، من طريق عَبْد الْوَهَّابِ بْن عَطَاءٍ، قال: أَخْبَرَنِي عَوْفٌ عَنِ الْحَسَنِ، قَالَ: "لَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صلّى الله عليه وسلم، اِئْتَمَرَ أَصْحَابُهُ فَقَالُوا: تَرَبَّصُوا بِنَبِيِّكُمْ صلّى الله عليه وسلم، لَعَلَّهُ عُرِجَ بِهِ، قَالَ: فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى رَبَا بَطْنُهُ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: "مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ.

هذا الحديث جاء في كتاب: شرح عِلَلِ الترمذي: وإسناده مرسل ضعيف، فإن الحسن البصري من التابعين، ومراسيل الحسن البصري من أضعف المراسيل عند المحققين من أهل العلم.

قال الإمام أحمد: "وليس في المرسلات أضعف من مراسيل الحسن" انتهى من: "شرح علل الترمذي" لابن رجب

الحديث الثاني:

أخرجه ابن عدي في "الكامل"، وابن عساكر في "تاريخ دمشق"، من طريق وَكِيعٍ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ عَنْ عَبد اللَّهِ الْبَهِيِّ، قال: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَمَّا مَاتَ لَمْ يدفن حتى ربا بطنه وأنثنت خنْصَرَاهُ.

جاء في كتاب العلل: والحديث بهذا الإسناد منقطع منكر.

فإن عبد الله البهي من التابعين، ولم يدرك النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يشهد وفاته، ولم يَذْكُرْ مَنْ حَدَّثَهُ بذلك.

ثم إن أهل العلم مختلفون في توثيقه، حتى قال فيه أبو حاتم: "لا يُحْتَجُّ بحديثه، وهو مُضْطَرِبُ الحديث". انتهى من "العلل" لابن أبي حاتم

وقال الذهبي في سير أعلام النبلاء: خبر منكر، منقطع الإسناد.

والحديث، لما رواه وكيع بن الجراح، كاد أن يُقْتَلَ تبعا له، حيث أنكر كل أهل العلم عليه ذلك.

قال الإمام الذهبي في "سير أعلام النبلاء": فَهَذِهِ زَلَّةُ عَالِمٍ، فَمَا لِوَكِيعٍ وَلِرِوَايَةِ هَذَا الخَبَرِ المُنْكَرِ المُنْقَطِعِ الإِسْنَادِ. كَادَتْ نَفْسُهُ أَنْ تَذْهَبَ غَلَطاً. انتهى

قال علي بن خشرم: حدثنا وكيع عن إسماعيل بن أبي خالد عن عبد الله البهي، أن أبا بكر الصديق، جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم، بعد وفاته، فَأَكَبَّ عليه فَقَبَّلَهُ وقال: بِأَبِي وَأُمِّي، ما أَطْيَبَ حياتك ومَيْتَتَكَ، ثم قال البهي: وكان تُرِكَ يوماً وليلة، حتى رَبَا بطنه وانثنت خنصراه. قال ابن خشرم: فلما حَدَّثَ وَكِيعٌ بهذا بمكة، اجتمعت قريش وأرادوا صَلْبَ وكيع، ونَصَبُوا خشبة لِصَلْبِهِ. انتهى من سير أعلام النبلا للذهبي

وقد أرادوا صلبه، لأنه حدث بشيء لا يجوز في حق النبي صلى الله عليه وسلم، سِيَمَا أن موت النبي صلى الله عليه وسلم شَهِدَهُ جُمُوعٌ من المسلمين، ولو كان الأمر كما يَدَّعِيهِ وَكِيعٌ، لَاشْتَهَرَ عند الجميع، فَتَدَبَّرْ رَحِمَكَ الله.

وقد نسب أيلال، القول بأن الصحابة تركوا النبي صلى الله عليه وسلم، دون دفن ثلاثة أيام، نسبه للذهبي في كتابه: سير أعمال النبلا.

وبعد رجوعنا للكتاب للتحقق مما ادعاه أيلال، لم نجد في كتاب الذهبي شيئا من ذلك.

وهذا ما وجدناه في "سير أعلام النبلا" للذهبي: وعن عثمان بن محمد الأخنسي قال: تُوُفِّيَ رسول الله صلى الله عليه وسلم، يوم الاثنين حين زاغت الشمس، ودُفِنَ يَوْمَ الأربعاء. انتهى من سير أعلام النبلا للذهبي

وعن عروة، أنه تُوُفِّيَ يَوْمَ الاثنين، ودُفِنَ من آخر ليلة الأربعاء. انتهى من سير أعلام النبلا للذهبي

وعن مالك قال: بَلَغَنِي أنه تُوُفِّيَ يَوْمَ الاثنين، ودُفِنَ يَوْمَ الثلاثاء. انتهى من سير أعلام النبلا للذهبي

وليس في كتاب: سير أعلام النبلا، خَبَرٌ يَدُلُّ على أن النبي صلى الله عليه وسلم، دُفِنَ بَعْدَ ثلاثة أيام من موته.

فربما فهم أيلال، من الخبر الثاني، الذي فيه: تُوُفِّيَ يَوْمَ الاثنين، ودُفِنَ مِنْ آخر ليلة الأربعاء. انتهى

ربما فهم منه، أن المدة التي بين يوم الاثنين وآخر ليلة الأربعاء، هي: ثلاثة أيام.

فليلة الأربعاء، تعني الثلاثاء مساء عندنا، وتكون المدة بذلك، لا تتجاوز يومين على أكبر تقدير.

لأن الليلة عند العرب تسبق اليوم، فليلة الأربعاء، هي يوم الثلاثاء بعد المغرب.

ثم رجعنا إلى كتاب المنتظم: فوجدنا فيه ما يلي:

عن عبد الله، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، لما مات لم يُدْفَنْ حتى ربا بطنه، وانتشرت خنصراه. قال قتيبة: حَدَّثَ بهذا الحديث وكيع وهو بمكة، وكانت سَنَةً حَجَّ فيها الرَّشِيدُ، فَقَدَّمُوهُ إليه، فدعا الرشيد سفيان ابن عيينة، وعبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد، فأما عبد المجيد فقال: يَجِبُ أن يُقْتَلَ هذا، فإنه لم يَرْوِ هذا إلا وفي قَلْبِهِ غِشٌّ للنبي صلى الله عليه وسلم. انتهى من المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزي

قلت: وقد سبق لنا الكلام على هذا الحديث الذي أنكره الأكابر.

بعد إيراد ما وَرَدَ في سير أعلام النبلا، وفي المنتظم، وما أَثْبَتْنا بما لا يَدَعُ مجال لِلشَّكِّ، أنه خلاف ما ادعاه أيلال. ندعو أيلال، إلى التريث والتحقق، قبل أن يقول ما ليس هو كما قال، فيبوء بالملامة والخذلان.

الفصل الثالث: أسطورة البخاري

أولا- لماذا البخاري؟

ثانيا- سِيرَةُ الأحلام

ثالثا- الأسطورة

رابعا- أسطورة الحفظ الأسطوري

خامسا- أسطورة صحيح البخاري

أولا- لماذا البخاري:

وَنَبَّهْنَا إلى الآفة التي تسبب فيها تدوين الحديث، لِنَخْلُصَ بعد ذلك إلى مناقشة ما يُسَمَّى بعلم الحديث، وما جناه على الإسلام وأمة الإسلام، وكيف تَمَّ سَحْبُ القرآن مِنْ مُعْتَرَكِ الحياة لِتَحُلَّ مَحَلَّهُ الْمَرْوِيَّاتُ. (صفحة 73)

لِتَنْتَصِبَ مَحَاكِمُ التفتيش لِتُفَتِّشَ وتُحَاكِمَ النَّوايا، كما جرت العادة بذلك، وهي الطريقة التي يُجَابِهُ بها دعاة تقديس الشيوخ، كُلَّ مَنْ يحاول استعمال فكره وعقله، ويُسَائِلُ النصوص الْمَوْرُوثَةَ مُحَاوِلًا تمحيصها. (صفحة 73)

ولعل الشخصية الدينية الأكثر تأثيرا في التاريخ الإسلامي، هي شخصية "محمد بن إسماعيل البخاري" لِمَا حَمَلَتْهُ مِنْ مَلَامِحَ جعلت البعض يُغَالِي فيها ليرفعها إلى مقام الأنبياء أو أكثر، وكذا الكتاب المنسوب إليه "صحيح البخاري" الذي تَمَّ رَفْعُهُ إلى مستوى أن يُقَارَنَ بكتاب الله. (صفحة 74)

وما دام الإغراق في المديح صفة عربية بامتياز. (صفحة 74)

ثانيا- سيرة الأحلام:

والطريف في القصة، أن الذباب هو رمز الكذب على رسول الله، وقد نسي "علماء" الجرح والتعديل، أن يضيفوا اسم الذباب إلى مصطلح الحديث ومصطلح تجريح الرجال، فَبَدَلَ أن يقال: هذا رجل كذاب، كان عليهم أن يقولوا: هذا رجل ذباب، تطبيقا لحلم البخاري، وتعبير معبر الرؤى بأنه يذب عن رسول الله الكذب "الذباب". (صفحة 80)

ثالثا- الأسطورة:

كانت بداية الأسطورة مع سلسلة من الأحلام والرؤى والمنامات التي طبعت سيرة البخاري، مما جعل هاته السيرة تعتمد على الخرافة وتصبح بذلك أسطورة من الأساطير التي تكون أَلْيَقَ بحكايات الجدات للأطفال،

بَدَلَ أَنْ تُدَرَّسَ في المعاهد والجامعات، على أساس أنها جزء من تاريخ أعلامنا وشيوخنا، وبالتالي تاريخنا. (صفحة 84)

إذن، فكتاب صحيح البخاري كامل لا خطأ فيه ولو بالظن أو الوهم أو النسيان أو السهو، والكامل لا يصدر إلا عن الكامل، وبالتالي فالشيخ البخاري هو إنسان كامل، ولا يجري عليه الخطأ الذي جرى على آدم وعلى أنبياء الله، ومنهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، فالبخاري أكمل مِنَ الجميع ويُنَازِعُ اللهَ صِفَةَ الْكَمَالِ، حتى قورن الجامع الصحيح المنسوب إليه بكتاب الله القرآن! (صفحة 88-89)

وليس كتاب "فتح الباري" وحده من يمتلئ بمثل هذا التقديس، بل هناك كتب كثيرة سارت على نفس المنهج والنهج في تقديس هذا الرجل، ورفع الصحيح المنسوب إليه إلى مستوى التقديس. (صفحة 97-98)

رابعا- أسطورة الحفظ الأسطوري:

بل إن الرواة تَفَنَّنُوا أَيَّمَا تَفَنُّنٍ في احتقار الشيوخ والْحُفَّاظِ أمامه، وتَفَنَّنُوا في إبراز تَفَوُّقِهِ عليهم. (صفحة 101)

النبي محمد ينسى والبخاري لا ينسى:

لكن ما يجعلني أُصْدَمُ مِنْ هؤلاء أيضا، أنهم يعتقدون أن أكمل البشر، النبي الكريم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، كان ينسى. (صفحة 106)

إن شيوخنا وفقهاءنا، مع كامل الأسف، يعتبرون البخاري أقوى من رسولنا في الحفظ بأشواط. (صفحة 106)

خامسا- أسطورة صحيح البخاري:

بعد جولتنا في الأساطير المؤسسة لشخصية البخاري وما رافقها مِنْ غُلُوٍّ، جعلها في النهاية تتفوق على كل الشخصيات التاريخية، بل وحتى الدينية، بما فيها رسولنا الكريم، وإني أكاد أجزم أن شخصية البخاري لدينا نحن معظم المسلمين، توازي شخصية "بولس" الرسول لدى المسيحيين، حيث يَعْتَبِرُ المسيحيون أن المؤلف الحقيقي للمسيحية بشكلها اليوم، هو "بولس" الذي كان اسمه "شاول" قبل أن يعتنق المسيحية. (صفحة 108)

بل وصل الأمر بمقدسي صحيح البخاري من الشيوخ والفقهاء والمحدثين، أن تجرؤوا على مقارنة هذا الكتاب بكتاب الله المنزل من لدنه على نبيه إلينا، هُدًى وَرَحْمَةً للمتقين. (صفحة 110)

فحتى مجرد الشك في أحد أحاديث صحيحي البخاري ومسلم، يُوجِبُ الخروج من الملة، فهل رأيتم تقديسا لكتاب أكثر من هذا التقديس؟ وهل رأيتم صناعة أسطورة أكثر من هاته؟ (صفحة 115)

هاته هي الحقيقة التي أنتجت في النهاية قداسة أشخاص، حيث تَمَّ رَفْعُهُمْ إلى مقامات هي أعلى من مقامات النبوة والرسالة، وحق فينا ما حق في الأمم السابقة التي أَلَّهَتِ البشر مِنْ دون الله، واتخذتهم أربابا، فكانت صناعة الكهنوت الديني لدينا كما كانت لديهم. (صفحة 115)

المبحث الأول: لماذا البخاري؟

بعد أن بَيَّنَّا، في عجالة، خلال الفصلين السابقين، ما أثاره أيلال حول مسألة تدوين الحديث، وكيف أن معظم الآثار، تَدُلُّ على كتابة الحديث، على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، رغم نهيه صلى الله عليه وسلم، عن كتابته. حتى وَلِيَ خلافة المسلمين، عمر بن عبد العزيز، خامس الخلفاء الراشدين، رحمه الله تعالى، وأمر بجمع السنة النبوية، حتى لا تضيع، فَجُمِعَتْ في كتاب ونُسِخَتْ منه نُسَخٌ، ووُزِّعَتْ على جميع أقطار المسلمين.

وبذلك أَمِنَتِ السنة مِنَ التَّلَفِ والضياع.

ثم رَدَدْنَا على أيلال، الذي حاول أن يَسْحَبَ تسمية "الحديث" عن أقوال النبي صلى الله عليه وسلم، وأفعاله وتقريراته، بحيث أَوْهَمَ الناس، أن لفظ "الحديث"، أطلق في القرآن الكريم، على كلام الله تعالى، ولم يطلق على كلام غيره من البشر. بل إن أيلال، اِتَّهَمَ علماء الحديث، بأنهم تَصَرَّفُوا في لفظ "الحديث"، بخلاف، ما أراده الله به، واستعملوه فيما لم يستعمله سبحانه.

فَنَسَفْنَا هذا الاِدِّعَاءَ الباطل، وسُقْنَا آيات من كتاب الله تعالى، تَدُلُّ بوضوح لا التباس فيه، على أن الله تعالى، أطلق لفظ "الحديث"، حتى على كلام البشر، وليس على كلامه تعالى وحسب.

كما نَبَّهْنَا القراء الكرام، إلى أن أيلال، يَدّعِي أنه تَمَّ سَحْبُ القرآن مِنْ مُعْتَرَكِ الحياة، لِتَحُلَّ مَحَلَّهُ الْمَرْوِيَّاتُ. مع العلم أنه لا أحد من المسلمين، يقول بهذا، وأَتَحَدَّى أيلال، أن يأتي بدليل، على ما ادعاه من المراجع المعتمدة.

ولنشرع في هذا الفصل، الذي سنتطرق فيه إلى فَضْحِ، محاولة أيلال إيهام قرائه بأن المسلمين ما رفعوا من شأن الإمام البخاري، إلا اعتمادا على الخرافات والأحلام. وأن هذه الأحلام، لم تكن بمثابة سياج كهربائي، على حسب تعبير أيلال، وُضِعَ حول شخصية البخاري. وإنما ما يحفظ شخصية البخاري ويحميها، هو أَهْلِيَّتُهُ لِتَحَمُّلِ الحديث وأَدَائِهِ، بما يقتضيه حفظه وضبطه وتقواه.

يقول أيلال: لذلك نرى أنه مِنْ حَقِّنَا أن نَسْتَدْعِيَ هاته الشخصية إلى عصرنا، ليس لأننا نريد ذلك، بل لأنها تَمَّ فَرْضُهَا علينا فَرْضًا من الشيوخ عَبْرَ العصور، حتى حَمَلَتْ لقب "أمير المؤمنين في الحديث"، وأنا أَتَعَجَّبُ من هاته الألقاب، لأتساءل: ومتى كانت للحديث إمارة ليكون عليها أمير؟ انتهى (صفحة: 74)

قلت: إن أيلال باستنكاره لهذه التَّسْمِيَةِ (أمير المؤمنين في الحديث)، لَيُبَرْهِنُ مرة أخرى، على أنه لا يفقه شيئا، فمعروف، أن الألقاب، تُطْلَقُ على أناس اشتهروا في علم من العلوم أو فَنٍّ من الفنون، عند جميع الأمم منذ غابر الأزمان. وإذا فَتَحْنَا باب التساؤل الساذج الذي تساءله أيلال، وسِرْنَا على مِنْوَالِهِ، فسنقول:

لُقِّبَ خالد بن الوليد بِسَيْفِ الله المسلول، وما هو بِسَيْفٍ.

لُقِّبَ عبد الله بن عباس بِحِبْرِ الأمة، وما هو بحبر مِنْ أحبار اليهود.

ولُقِّبَ أحمد شوقي بأمير الشعراء، ومتى كان للشعراء أَمِيرٌ؟

ولُقِّبَ الفنان كاظم الساهر بِالْقَيْصَرِ، ومتى كان لِلْمُغَنِّينَ قَيْصَرٌ؟

قلت لأيلال، أرى أنك تظن أن لقب أمير المؤمنين في الحديث، أطلق على الإمام البخاري وحده، لكن الذي ليس في علمك أن هذا اللقب، أطلق على كثيرين غيره:

قال العلاَّمة أحمد محمد شاكر رحمه الله تعالى: أطلق المحدثون ألقابًا على العلماء بالحديث.

فأعلاها: أمير المؤمنين في الحديث، وهذا اللقب لم يظفر به إلا الأفذاذ النوادر، الذين هم أئمة هذا الشأن والمرجع إليهم فيه، كشعبة بن الحجاج وسفيان الثوري وإسحاق بن راهويه وأحمد بن حنبل والبخاري والدارقطني، وفي المتأخرين ابن حجر العسقلاني، رحمهم الله جميعًا. انتهى من تعليقه على ألفية السيوطي

قلت: وقد جمع الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، رحمه الله، في رسالته: (أمراء المؤمنين في الحديث) الملقبين بلقب أمير المؤمنين في الحديث، فأوصلهم إلى ستة وعشرين أميرا، أذكر منهم سبعة فقط على سبيل الاقتصار، مرتبين على سِنِي وفاتهم، كما هو في الأصل:

1- أبو الزناد عبد الله بن ذكوان المدني التابعي.

2- أبو بكر محمد بن إسحاق المطلبي المدني، صاحب المغازي.

3- أبو بكر هشام بن أبي عبد الله الدَّستُوائي البصري.

4- أبو بسطام شعبة بن الحجاج الواسطي البصري.

5- أبو عبد الله سفيان بن سعيد الثوري الكوفي.

6- أبو سلمة حماد بن دينار البصري.

7- أبو عبد الله مالك بن أنس الأصبحي المدني، الإمام المتبوع. انتهى

وقد أُفْرِدَ الْعُلَمَاءُ الْمُلَقَّبُونَ بأمير المؤمنين في الحديث في كُتُبٍ خاصة، منها:

1- هدية المغيث في أمراء المؤمنين في الحديث. لمحمد حبيب الشنقيطي.

2- سِيَرُ أمراء المؤمنين في الحديث. لأحمد محمد علي بيومي.

3- جواب الحافظ المنذري عن أسئلة في الجرح والتعديل. ويليه: أمراء المؤمنين في الحديث. لعبد الفتاح أبو غدة.

بعد كل هذا، نَخْلُصُ إلى أن علماء الأمة لم يُقَدِّسُوا الإمام البخاري، بِتَسْمِيَّتِهِ بهذا اللقب السَّنِيّ، بل سَمَّوْا به غيره من العلماء. وكان يأتي بعد لقب أمير المؤمنين في الحديث ألقاب أخرى: الحافظ ثم المحدث، وأدناها الْمُسْنِدُ.

المبحث الثاني: سيرة الأحلام

هذا المبحث من الفصل الثاني، سماه أيلال: سيرة الأحلام. وقد حاول فيه جاهدا، أن يُوهِمَ الْقُرَّاءَ بأن الناس قد رفعوا مِنْ شأن الإمام البخاري، بسبب الأحلام، وليس بسبب علمه وضبطه وتقواه.

بل أكثر من هذا، حكى أيلال هذه الأحلام، وأُفَضِّلُ تَسْمِيَّتَهَا بِالرُّؤى، لأنني أظن أن أيلال، لا يُفَرِّقُ بين الرؤى والأحلام، حكاها وعلق عليها بأسلوب ساخر، لا يليق برجل يَدَّعِي الكتابة والبحث والتحقيق.

وحتى نستدل على ما قلناه.

نقول: سَاقَ أيلال أربعة أحلام على حَسَبِ تعبيره، تَتَعَلَّقُ بشخص البخاري، نَسْرُدُهَا على الْقُرَّاءِ الكرام حُلُمًا حُلُمًا، ونَعُدُّ انزلاقات أيلال واحدا تِلْوَ الآخر، في تعليقاته وسخرياته.

الحلم الأول: فَقَدَ الإمام البخاري بَصَرَهُ، وهو صغير، فَرَأَتْ أُمُّهُ في المنام، سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام، فقال لها: يا هذه، رَدَّ الله على ابْنِكِ بَصَرَهُ، لكثرة بكائك، أو لكثرة دعائك. فأصبح، يعني البخاري، وقد رَدَّ الله بَصَرَهُ.

أولا- يقول أيلال: إن أول ما يلاحظ في هاته القصة، هو أن الإمام البخاري، بلغت أهميته الكبرى، أن أوحى الله إلى أمه، عَبْرَ نبي الله إبراهيم في المنام، بأن ابنها قد رُدَّ إليه بَصَرُهُ، في رواية بسبب بكائها، وفي رواية أخرى بسبب دعائها، وَكَأَنَّ أُمَّ البخاري كانت نَبِيَّةً يُوحَى إليها!! انتهى (صفحة: 77)

الانزلاق الأول: الرواية لا تقول، أن الله أوحى إلى أُمِّ البخاري، ولكن رَأَتْ في منامها.

فلماذا يَفْتَرِي أيلال عليها، ويقول: أوحى الله إلى أم البخاري؟

الانزلاق الثاني: قول أيلال: وَكَأَنَّ أُمَّ البخاري، كانت نَبِيَّةً يُوحَى إليها. انتهى

قلت: إذا كان كُلُّ مَنْ رأى سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام، في المنام نَبِيًّا، في نَظَرِ أيلال، فما أكثر الأنبياء، بعد نبينا صلى الله عليه وسلم، الذي قال: "لا نبي بعدي".

الانزلاق الثالث: يقول أيلال: ثم لماذا أَوْحَى الله إلى أُمِّ البخاري، أَنَّ ابْنَهَا رَجَعَ إليه بَصَرُهُ، عن طريق الحُلُمِ، أَلَمْ يَكُنْ بإمكانها معرفة أن ابنها محمد (الصواب: أن ابنها محمدا)، رَجَعَ إليه بَصَرُهُ، بِمُجَرَّدِ أن يَفْتَحَ هو عينيه، فيلاحظ ذلك ويخبر أمه؟ لماذا هاته المسرحية بِرُمَّتِهَا؟ انتهى (صفحة: 77)

قلت: هذا تساؤل سخيف، لا يتساءله إلا الأطفال.

إنه تَجَرُّؤٌ على مشيئة الله تعالى وتدابيره. فلماذا يا أيلال لا تقول مثل هذا الكلام في رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم، يُبَشِّرُهُ سبحانه، فيها بدخول مكة:

قال سبحانه: "لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ". الفتح 27

فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، قد رأى في المنام أنه دخل مكة، وطاف بالبيت، فأخبر أصحابه بذلك وهو بالمدينة.

فلماذا لا تقول يا أيلال: لماذا أَرَى اللهُ تعالى رَسُولَهُ صلى الله عليه وسلم، رؤيا دخول مكة، فقد كان سيدخلها وأصحابه، ولا داعي لهذه الرؤيا؟

الانزلاق الرابع: قول أيلال: ثم لماذا إبراهيم عليه السلام، بالضبط، هو من حَمَلَ رسالة الإخبار لِأُمِّ البخاري؟ أَلِأَنه أبو الأنبياء؟ لِيَتِمَّ إِيهَامُ الناس بأن البخاري كان له اتِّصَّالٌ بِالنُّبُوَّةِ؟ فقد كان بإمكان الراوي، أن يقول: إنها رأت النبي. انتهى (صفحة: 77-78)

والْمُتَأَمِّلُ في قول أيلال هذا، يظهر له جَلِيًّا أسلوبه الرديء في النقد، فهو يتساءل، وفي الوقت نفسه يفتري على الراوي ما لم يقصده، وكأنه اطلع على سريرته. فقوله: لِيَتِمَّ إيهام الناس بأن البخاري كان له اتصال بالنبوة؟ انتهى.

قلت: هو افْتِرَاءٌ وَاتِّهَامٌ، لا دليل عليه. وقوله: فقد كان بإمكان الراوي أن يقول إنها رأت النبي. انتهى فهو مرة أخرى يَتَّهِمُ الراوي بأن هذه الرؤيا مِنْ نَسْجِ خياله، وبإمكانه أَنْ يُغَيِّرَ فيها ما يشاء.

وَقَدْ حَسِبَ أيلال ما وقع في هذه الرؤيا مَسْرَحِيَّةً، وأعاد إخراجها بطريقته، ولم أكن أظن، أن أيلال يتمتع بموهبة خارقة في إخراج الرؤى والأحلام.

فإذا كانت هذه الرؤيا ربانية، قضاها الباري عز وجل، فأيلال يَتَأَلَّى على الله، وَيَحْتَجُّ عليه، لأنه سبحانه، أَرَى أُمَّ البخاري، سيدنا إبراهيم عليه السلام، ولم يُرِهَا النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم.

وأقول لأيلال: لماذا لا تَحْتَجْ على الله تعالى، في الرُّؤَى الواردة في القرآن الكريم؟

فقد رأى يُوسُفُ في رؤياه، أحد عشر كوكبا والشمس والقمر، رآهم له ساجدين.

لماذا لا تحتج يا أيلال، وتقول: لماذا الكواكب والشمس والقمر؟ لماذا لا يكون إخوته وأبواه، هم الساجدين؟

الانزلاق الخامس: قول أيلال: ثم مَنْ أَخْبَرَهَا، أَنَّ مَنْ رَأَتْهُ في المنام، إذا كانت فعلا قد رأت، هو سيدنا إبراهيم الخليل؟

قلت: الآن يعترف أيلال بأن أم البخاري رأت، وليس: أوحى الله إليها، كما قال سالفا.

أَمَّا مَنْ أَخْبَرَهَا أَنَّ مَنْ رَأَتْهُ هو سيدنا إبراهيم عليه السلام.

فأقول: لا أحد في العالمين يُخْبِرُهُ أَحَدٌ أَنَّ ما رآه في المنام، هو كما رآه. وإنما هي رؤيا صادقة وحسب، رأتها كسائر العالمين.

الانزلاق السادس: قول أيلال: ثم ما هذا الاضطراب في الروايات؟ مرة يقول لها من رأته في المنام، على أساس أنه نبي الله إبراهيم عليه السلام، أن ابنها رُدَّ إليه بَصَرُهُ بسبب بكائها، ومرة أنه بسبب دعائها، وشَتَّانَ بَيْنَ السببين. انتهى (صفحة: 78)

قلت: لا يُفَرِّقُ عَاقِلٌ بَيْنَ الدعاء والبكاء، فَهُمَا في الغالب يكونان مُقْتَرِنَيْنِ، خاصة مِنْ أُمٍّ تبكي على الله لكي يشفي ابنها، فهذا سيدنا يعقوب عليه السلام بكى على ابنه حتى ابْيَضَّتْ عيناه.

قال الباري عز وجل، على لسانه عليه السلام: "وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ". يوسف 84

ولَعَلَّ البكاء على الله، هو دُعَاءٌ دون أن يَنْبِسَ الباكي بِبِنْتِ شَفَةٍ، لأن الله يعلم بما يُضْمِرُ في نفسه دون أن يُبْدِيَ به.

الحلم الثاني: رُوِيَ أن إسحاق بن راهويه قال: لو جمعتم كتابا مختصرا لصحيح سنة النبي صلى الله عليه وسلم. فقال البخاري: فوقع ذلك في قلبي، فأخذت في جمع الجامع الصحيح. انتهى من تدريب الراوي للسيوطي

وروي عن البخاري أيضا، أنه قال: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَأَنَّنِي وَاقِفٌ بَيْنَ يَدَيْهِ وَبِيَدِي مِرْوَحَةٌ أَذُبُّ عَنْهُ، فَسَأَلْتُ بَعْضَ الْمُعَبِّرِينَ فَقَالَ لِي: أَنْتَ تَذُبُّ عَنْهُ الْكَذِبَ، فَهُوَ الَّذِي حَمَلَنِي عَلَى إِخْرَاجِ الْجَامِعِ الصَّحِيحِ. قَالَ: وَأَلَّفْتُهُ فِي بِضْعَ عَشْرَةَ سَنَةً. انتهى من تدريب الراوي للسيوطي

أولا: يقول أيلال: فكانت هاته القصة، المتعلقة بِحُلُمٍ أيضا، هي السبب في تأليف البخاري للجامع الصحيح. فلو لم يَحْلُمِ البخاري بنفسه يَذِبُّ "الذباب"، لأنه لا يُذَبُّ عَنِ الوجه إلا الذباب والحشرات الطائرة، مثل البعوض، عن وجه الرسول، حسب هاته الرواية، لَمَا كُنَّا الآن "نَنْعَمُ" بالإسلام، ولَضَاعَ الإسلام. لأنه في نظرهم، لا إسلام بدون صحيح البخاري. انتهى (صفحة: 69)

الانزلاق الأول: قول أيلال: فَلَوْ لم يَحْلُمِ البخاري بنفسه يَذِبُّ الذباب، لأنه لا يُذَبُّ عن الوجه إلا الذباب والحشرات الطائرة، مثل البعوض. انتهى (صفحة: 78)

قلت: ليس في رواية رُؤْيَا الذَّبِّ عن وَجْهِ رسول الله صلى الله عليه وسلم، ذِكْرُ لفظة: ذباب.

ولا أدرى ما علاقة أيلال بالحشرات الطائرة وغير الطائرة، فقد سَبَقَ وأَخْبَرَ أَنَّ الصحابية الجليلة، أُمَّ حَرَامٍ كانت تفْلِي الْقُمَّلَ، في رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم. رَغْمَ أن ذلك لم يُذْكَرْ في الحديث. (أُنْظُرْ صفحة: 66 مِنْ أسطورة أيلال)

الانزلاق الثاني: قوله: لَمَا كُنَّا الآن نَنْعَمُ بالإسلام. لأنه في نظرهم، لا إسلام بدون صحيح البخاري. انتهى

هذا افْتِرَاءٌ على علماء الأمة ما بَعْدَهُ افْتِرَاءٌ، فما ثَبَتَ عنهم قولهم: لا إسلام بدون صحيح البخاري.

الانزلاق الثالث: قوله: فكانت هاته القصة، المتعلقة بِحُلُمٍ أيضا، هي السبب في تأليف البخاري للجامع الصحيح. انتهى

قلت: البخاري لم يؤلف الجامع الصحيح، فقد التبس الأمر على أيلال، فَخَلَطَ بَيْنَ مصطفى لطفي المنفلوطي، الذي ألف: النظرات والعبرات، وبَيْنَ الإمام البخاري، الذي لم يُؤَلِّفْ شيئا مِنْ عِنْدِهِ، وإنما جَمَعَ ما صَحَّ عنده مِنْ سُنَّةِ رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولو التفت أيلال إلى عنوان كتاب صحيح البخاري، لكفاه عن التعبير بلفظ التأليف. وتسميته: الجامع الصحيح، وليس المؤلف الصحيح.

الانزلاق الرابع: ثم يتساءل أيلال عن الدَّاعِي الذي دَفَعَ الإمام البخاري لتأليف، حَسَبَ تعبيره، الجامع الصحيح. هل هو قول إسحاق بن راهويه: لو جمعتم كتابا مختصرا. أم رؤيا البخاري وهو يَذِبُّ عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قلت مرة أخرى، لا يستطيع أيلال الجمع بين الأمرين. فإنهما لا يخالف أحدهما الآخر، فالرؤيا تبشير وإعلام. وقول ابن راهويه: سَبَبٌ وَدَاعٍ لِجَمْعِ الصحيح.

الحلم الثالث: ما روي عن الْمَرْوَزِيِّ، أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم، يُنْكِرُ عليه دراسة كتاب الشافعي، ويَطْلُبُ منه أن يَعْمَدَ إلى دراسة كتاب الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو كتاب البخاري.

يقول أيلال: وفي الوقت الذي كان الْكُلُّ ينتظر أن يتحدث الرسول في الحلم عن القرآن، لأنه الكتاب الذي جاء به الرسول من لدن الله، وحيا منزلا عليه من العلي القدير، لكننا نجد الرسول، في الحلم طبعا، يخبرنا عن المفاجأة الكبرى، وهي أن كتاب الرسول هو الجامع الصحيح لمحمد بن إسماعيل البخاري. انتهى (صفحة: 80)

قلت: لماذا يا أيلال تُحَمِّل اللَّفْظَ ما لا يَحْتَمِلُ؟ إِنَّهَا رُؤْيَا، فلا تُؤَوِّلْهَا حَسَبَ هَوَاكَ بِمَا يُسِيءُ لِلْأَشْرَافِ.

فَبِكُلِّ بساطة، أَحَالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم، الْمَرْوَزِيَّ على جامع البخاري، ونَسَبَ الكتاب إليه.

لأن الْمَرْوَزِيَّ كان يَدْرُسُ كتاب الشافعي، فَأَحَالَهُ على الأحسن، ونَسَبَهُ إليه صلى الله عليه وسلم، لِبَيَانِ المزيد من فضله.

ولو وَجَدَ الْمَرْوَزِيَّ يَدْرُسُ الانجيل، لدعاه لدراسة القرآن.

لأن الرسول صلى الله عليه وسلم، يَعْلَمُ، أَنْ لا أحد من المسلمين، يُفَضِّلُ على كتاب الله كتابا غيره.

الحلم الرابع: ما روي عن أبي حاتم البخاري الوراق، أنه رأى في منامه: كأن النبي صلى الله عليه وسلم، يمشي، ومحمد بن إسماعيل يمشي خلفه. انتهى

يقول أيلال: حُلُمٌ آخَرُ يزيد "الفولتات" الكهربائية في هذا السياج، الذي يحيط بالبخاري وبالكتاب المنسوب إليه، وكلها أحلام تُبْرِزُ أن البخاري كان على خُطَى الرسول، لِتُؤَكِّدَ أَنَّ كُلَّ مَا تَمَّ تدوينه في كتاب "الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه". وهو الاسم الحقيقي لصحيح البخاري، صحيح لا يَتَسَرَّبُ إليه الشك. انتهى (صفحة: 81)

الانزلاق الأول: لقد أَوَّلَ أيلال، هذه الأحلام، حَسَبَ قوله، أَوَّلَهَا تأويلا صحيحا، حين قال: وكلها أحلام تبرز أن البخاري كان على خطى الرسول.

تأويله صحيح، لكن ما اسْتَنْتَجَهُ خاطئ، كما هي عادته في استنتاجاته الخاطئة.

فقد قال بعد تأويله الصحيح: لتُؤكد أن كل ما تَمَّ تدوينه في كتاب الجامع المسند الصحيح، صحيح لا يَتَسَرَّبُ إليه الشك. انتهى

قلت: لم تُجْمِعِ الْأُمَّةُ على أن كل ما في جامع البخاري صحيح، بل أُنْتُقِدَ الإمام البخاري في شَخْصِهِ، وفي كتابه الجامع الصحيح. منذ القديم:

ومِمَّنْ انتقد الجامع الصحيح للبخارى من القدماء:

الأول- أبو الحسن الدارقطني توفي سنة 385 هجرية، انتقد بعض أحاديث البخاري.

وصنف في ذلك كتاب: (الإلزامات والتتبع).

ورَدَّ عليه الحافظ ابن حجر في (هدي الساري). حيث رَدَّ انتقاداته في جميع الأحاديث التي انتقدها؛ فراجع: (هدي الساري).

الثاني- أبو مسعود الدمشقي توفي سنة 401 هجرية، له اسْتِدْرَاكٌ على الصحيحين، وقد يكون المقصود بذلك: كتاب (أطراف الصحيحين).

الثالث- الحافظ أبو علي الغساني توفي سنة 498 هجرية، له كتاب (التنبيه على الأوهام الواقعة في الصحيحين من قِبَل الرواه).

ولولا مخافة التطويل، لأتيت بالعشرات من القدامى، ولا تَسَلْ عن عَدَدِ الْمُحْدَثِينَ الذي فاق كُلَّ تَوَقُّعٍ كالشيخ محمد رضا، والدكتور مصطفى محمود وغيرهم.

قلت: بعد هذا العرض اللطيف، بَطُلَ ما قاله أيلال وافتراه على المسلمين، بأنهم يقدسون الإمام البخاري، ويعتقدون في صحة جميع أحاديث كتابه الجامع الصحيح.

إلا أن انتقاد العلماء لأحاديث البخاري، لم يَنَلْ إلا النَّزْرَ القليل منها، ومنها مارَدَّهُ علماء آخرون. وما هذا إلا دليل واضح، على أن علماء الحديث لا يُقَدِّسُونَ أَحَدًا، بل يَنْتَقِدُ بعضهم بعضا، ويُجَادِلُ بعضهم بعضا، بكل صِدْقٍ وشَفَافِيَّةٍ.

قَبْلَ أن نُنْهِيَ الرَّدَّ على: سيرة الأحلام، التي عَوَّلَ عَلَيْهَا أيلال كثيرا، لِيُوهِمَ قُرَّاءَهُ أن منزلة الإمام البخاري العظمى في أفئدة المسلمين، لا تَسْتَنِدُ إلا على الأحلام والخرافة. وقبل أن يستيقظ أيلال مِنْ نَوْمِهِ ويُغَادِرَ أحلامه.

أقول: أَجْمَعَ علماء الْأُمَّةِ على عَدَمِ الاحتجاج بالرؤى في أمور الدين، ولا أمور الدنيا، وإنما يَسُوقُونَهَا لِلْإِسْتِئْنَاسِ بها لا غير.

الانزلاق الثاني: روى الْفَرَبْرِيُّ، أن نجم الدين أربكان، رأى الرؤيا نفسها التي رآها الوراق.

لكن أيلال لم يَتَقَبَّلْ عَقْلُهُ، أن يرى اثنان الرؤيا نفسها.

قلت: ربما أيلال، يُقَلِّلُ مِنْ مقدرة رَبِّهِ، فلو شاء سبحانه، لَأَرَى الرؤيا نَفْسَهَا كُلَّ عُمَّارِ البسيطة.

ولا شك أن الرُّؤَى أَقَرَّهَا الباري عز وجل في كتابه العزيز:

قال سبحانه: "فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيِّ إِنِّيَ أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى". الصافات 102

وقال كذلك: "لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ". الفتح 27

وقال كذلك: "إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا، وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ". الأنفال 44

وقال كذلك: "إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ، رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ". يوسف 4

وقال كذلك: "وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا". يوسف 100

قلت: بل إن الانجيل، هو الآخر لم يَخْلُ من الكلام عن الرؤى: ففي سفر دانيال: هَذَا الرَّجُلُ هُوَ دَانِيَالُ الَّذِي سَمَّاهُ الْمَلِكُ بَلْطَشَصَّرَ. فَهُوَ يَتَمَيَّزُ بِمَقْدِرَةٍ غَيْرِ عَادِيَّةٍ وَمَعْرِفَةٍ وَفَهْمٍ، وَيُفَسِّرُ الْأَحْلَامَ وَيَفُكُّ الْأَلْغَازَ وَيَحُلُّ الْعُقَدَ. فَلَيْتَكَ تَسْتَدْعِي دَانِيَالَ الْآنَ لِيُفَسِّرَ لَكَ الْكِتَابَةَ. انتهى

فبأي حديث بعده يومنون.

وخَيْرُ ما فَعَلَ أيلال، في خِتَامِ هذا المبحث، هو إتيانه من صحيح البخاري، بثلاثة أحاديث، منها حديث: "أَصْدَقُكُمْ رؤيا، أَصْدَقُكُمْ حديثا". فَلْيُرْجَعْ إليه في كتاب أسطورة أيلال: صفحة 83. والله الموفق للصواب، وعليه التِّكْلَانُ.

المبحث الثالث: الأسطورة

يقول أيلال: فانظروا إلى قول هذا الدكتور المتخصص في "علم" الحديث، فقد قال: لا يَصِحُّ لمن يحاول النَّيْلَ مِنَ الإمام البخاري، أن يَقِيسهُ بالمقياس البشري، لأن لله أنبياء لهم معجزات، وأولياء لهم كرامات، وصفوة لله. انتهى (صفحة: 84)

قلت: تَحَامَلَ أيلال على الدكتور أحمد هاشم، رئيس سابق لجامعة الأزهر بالقاهرة، تَحَامَلَ عليه، وَأَوَّلَ كلامه حَسَبَ ما بَدَا له، واحْتَجَّ عليه، ولو أن الدكتور أحمد هاشم، لا يَدُلُّ ظاهر كلامه، على ما تَوَهَّمَهُ أيلال كعادته.

يقول الدكتور أحمد عمر هاشم: لا يصح لمن يحاول النيل من الإمام البخاري أن يقيسه بالمقياس البشرية لِأَنَّ لله أنبياء لهم معجزات، وأولياء لهم كرامات، وصفوة لله. انتهى

فَعَقَّبَ عليه أيلال قائلا: إن الدكتور، من خلال كلامه، يدعونا إلى إيقاف عقولنا البشرية طبعا، بدعوته أن لا نستعمل القياس البشري، إذا أردنا الحديث عن البخاري ومناقشته، لأن البخاري هو مِنْ أولياء الله وصفوة الله. انتهى (صفحة: 85)

يقول أيلال: بمعنى أن الأولياء والصفوة، لا يخضعون في سيرتهم للمنطق البشري كالأنبياء. انتهى (صفحة: 85)

قلت: رغم أن ما عَبَّرَ به الدكتور أحمد هاشم، واضح كل الوضوح، فهو لم يحسب البخاري وَلِيًّا، وإنما يَدُلُّ تعبيره على أن البخاري، قد يكون من الأولياء.

وبهذا يبقى كُلُّ تَحَامُلٍ عليه من طرف أيلال، الذي لم يفهم ما قاله، كما قصد منه صاحبه، يبقى زوبعة في فنجان، وتمويها نَقْدِيًّا سافرا.

ويَعِيبُ أيلال، على الدكتور أحمد هاشم، ما اسْتَدَلَّ به ليؤكد على قوة ذاكرة الإمام البخاري، مِنْ أَنَّهُ كان يحفظ آلاف الأحاديث، وامتحان أهل بغداد له في ذلك. وسَمَّى ذلك هِبَةً وَهَبَهَا اللهُ تعالى للبخاري، لِيَصُونَ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فيقول أيلال: لأتساءل، ومعي عديد من الناس، عَمَّنْ أَخْبَرَ الدكتور أن الله وهب هاته الهبات غير المعقولة للبخاري، لِيَصُونَ كلام رسوله؟ مَنْ أخبر الدكتور بذلك، ليكون مقتنعا بهذا الأمر، كي يقنعنا معه؟ انتهى (صفحة: 86)

والظاهر، أن أيلال، تتملكه حساسية شديدة، كلما تحدث متحدث، عن قوة ذاكرة الإمام البخاري، في حفظ أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فقوله: لأتساءل، ومعي كثير من الناس. انتهى

فلا أدري مَنْ هم هؤلاء الناس، اللهم إلا من أصابتهم العدوى من حساسية أيلال من الذاكرة والحفظ.

فالدكتور، لا يحتاج لأن يخبره أحد، بما استنتجه، مِنْ أن الله وهب البخاري هذه الموهبة، ليصون حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم. فهو استنتاج سليم، ورأي مِنْ آرائه، ليس فيه ما يدعونا إلى التَّحَامُلِ عليه.

ثم يُعَمِّمُ أيلال اتهاماته الباطلة، على جميع الشيوخ ويقول: لكن هؤلاء الشيوخ، لا يَتَوَرَّعُونَ عن أن ينسبوا لله ما لم يقله، ويقولون على الله ما لا يعلمون، ما دام الهدف رفع الشيخ البخاري إلى أعلى عِلِّيِينَ. انتهى (صفحة: 86)

وهذا التعميم، هو اتهام باطل، لهؤلاء الشيوخ، رغم أن الأمر لا يتعلق سوى بشخص واحد، حسب نظره، وهو الدكتور أحمد عمر هاشم.

ولعلنا إذا قلنا أن فلانا وهبه الله تعالى موهبة الخط أو الرَّسْمِ أو الموسيقى، فَسَيَتَّهِمُنَا أيلال بما اتَّهَمَ به الشيخ، ويقول لنا: مَنْ أخبركم أن الله تعالى هو الذي وهبهم تلك المواهب؟

ثم استدل أيلال، ببعض النصوص التي استدل بها أستاذه محمد صادق النجمي، وياليته أتى بها من أصولها، ولكنه نَقَلَ ما قاله النجمي، ونَقَلَ عنه حتى مراجعه، دون أن يرجع إليها، كما عهدناه منه في مَوَاطِنَ أخرى.

هذه النصوص تتضمن ما قيل في صحيح البخاري وفي صحيح مسلم، من إطراء ومغالاة، حسب تعبير محمد صادق النجمي.

وساق النجمي، بعض الرؤى التي يَدَّعِي أصحابها، أن النبي صلى الله عليه وسلم، أَكَّدَ لهم فيها صحة كتابي البخاري ومسلم.

ثم أورد أيلال، قول فريد وجدي، عندما تحدث عن التَّبَرُّكِ بصحيح البخاري.

وأَتْبَعَهُ قول ابن حجر المكي: الصحيحان هما أصح الكتب بعد القرآن، بإجماع مَنْ يُعْتَدُّ به. انتهى

وقد سبق لنا في الفصل السابق، أن بَيَّنَّا مفهوم إجماع الأمة على صحة البخاري.

وها هو أيلال، يُرِيحُنَا مِنَ الاستدلال على أن العلماء رغم إجماعهم، قد انْتَقَدُوا صحيح البخاري منذ القديم.

قول علي بن المديني في البخاري: دعوا قوله، فإنه ما رأى مثل نفسه. انتهى

قول مسلم بن الحجاج: عَرَضْتُ كتابي هذا، على أبي زرعة الرازي، فكل ما أشار أَنَّ له علة تَرَكْتُهُ. انتهى
ثم ينطلق أيلال، على حسب فهمه الضيق، ليستنتج كما سبق ووقع في هذه الهفوة، ما لا تَدُلُّ عليه النصوص، وكأنه يستهين بالقراء، حين يُقَوِّلُ النصوص ما لا تقول.

ويقول: إذن فكتاب صحيح البخاري كامل لا خطأ فيه، ولو بالظن أو الوهم أو النسيان أو السهو. انتهى
ثم قال: فالبخاري، أَكْمَلُ من الجميع، ويُنَازِعُ الله صفة الكمال، حتى قُورِنَ الجامع الصحيح المنسوب إليه، بكتاب الله القرآن. انتهى (صفحة: 88)

قلت: لم يَثْبُتْ أن أحدا قارن صحيح البخاري بكلام الله تعالى.

بل أجمع علماء المسلمين، أنه أصح كتاب بعد كتاب الله. وهذا لا يُعَدُّ مقارنة.

فالمقارنة، تجعل الْمُقَارَنَ في درجة المقَارَنِ به.

وإنما جعلوه بعد كتاب الله، في الطريقة التي وصل إلينا بها، وليس بالإعجاز والتَّعَبُّدِ به.

فالقرآن الكريم، وصل إلينا عن طريق التَّوَاتُرِ، والأحاديث التي في صحيح البخاري وغيره من الكتب الست وما يليها، وصلت إلينا، في أغلبها، عن طريق خبر الآحاد.

فيكون أيلال، قد افترى على علماء الأمة، واتَّهَمَهُمْ بِأَنَّهُمْ يُقَارِنُونَ بَيْنَ صحيح البخاري وكتاب الله تعالى.

ومثل هذا الافتراء، يَتَنَزَّهُ عنه كل باحث أريب.

ثم يقول أيلال بعد كل هذا: وسَأُورِدُ هنا، حُزْمَةً مِنَ الشهادات التي رفعت البخاري والصحيح المنسوب إليه إلى عنان السماء. انتهى (صفحة: 90)

فَمَالَ أيلال على مقدمة فتح الباري، لابن حجر العسقلاني، ونقل منها أكثر من سبع صفحات.

مع العلم أنه سبق أن ساق أحاديث في الموضوع نفسه، من قبل.

ولعل ما فعله، يدخل في باب الاطناب، والنسخ واللصق، الذي جناه في كتابه.

ثم خَتَمَ أيلال هذا المبحث، مستشهدا بأبيات شعرية، وردت في البداية والنهاية لابن كثير، في فضل صحيح البخاري، في أحد عشر بيتا، مطلعها: (صفحة: 98)

صحيحُ البخاري لَوْ أَنْصَفُوهُ لَمَا خُطَّ إلا بِمَاءِ الذَّهَبِ
هُوَ الْفَرْقُ بَيْنَ الهُدى والعَمى هُوَ السَّدُّ بَيْنَ الفَتى والْعَطَبِ

وأخذنا على أيلال خطأين، في نقله لهذه الأبيات:

الأول: كتب في الشطر الثاني من البيت الخامس: تُمَيِّزُ بين الرضا والغضب. والصحيح: يُمَيِّزُ بين الرضا والغضب.

الثاني: كتب في الشطر الثاني من البيت الثامن: وفزت على زَعْمِهِمْ بالقصب. والصحيح: وفزت على رَغْمِهِمْ بالقصب.

قلت هذه الأبيات، قالها الفضل بن إسماعيل الجرجاني، بعد وفاة البخاري، رحمهما الله. (انظر البداية والنهاية لابن كثير ومقدمة إرشاد الساري للقسطلاني وتاريخ دمشق لابن عساكر).

المبحث الرابع: أسطورة الحفظ الأسطوري

اِسْتَفْتَحَ أيلال مَبْحَثَهُ الرابع بالاستشهاد بما وَرَدَ في مقالة في مجلة العرب الجزائرية، تحت عنوان: "البخاري بَطَلُ العالم في الذاكرة".

وبما ذكره الحافظ ابن كثير، في كتاب البداية والنهاية، عن الإمام البخاري: مِنْ أنه كان يحفظ وهو صبي، سبعين ألف حديث سَرْدًا.

ثم استغرب أيلال، مِنْ أَنْ يحفظ البخاري في هذه السِّنِّ المبكرة، سبعين ألف حديث.

ويقول أيلال: فعلى هذا، يجب أن يكون البخاري، قد بدأ حفظ الأحاديث قبل أن يولد، حتى لو لم نأخذ بعين الاعتبار، سنوات تعلمه اللغة وعلومها، والفقه و"علومه"، والحديث و"علومه"، ولم نأخذ بالاعتبار سنوات رضاعه، ثم تعلمه الْحَبْوَ فالمشي فالهرولة، ثم سنوات تعلمه النطق فالكلام، ثم سنوات لَعِبِهِ مع الأطفال. انتهى (صفحة: 99-100)

قلت: قد تعمدت أن آتي بما قاله أيلال، في هذا النص، كاملا، حتى أقرب القارئ الكريم من أسلوب أيلال، الذي لا يُخْفِي سخريته وتَهَكُّمَهُ، مِنْ كُلِّ ما لا يَسَعُهُ فَهْمُهُ الضيق.

وقد أشرنا فيما تَقَدَّمَ، إلى حساسيته الزائدة، من وصف الإمام البخاري بالحفظ.

فإن الأمر، لا يحتاج منه إلى كل هذا الاستغراب، الذي يفوح بروائح السخرية والتهكم الكريهة.

أليس أيلال نفسه، هو مَنْ ذَكَرَ ما قاله ابن كثير، في البداية والنهاية؟ فقد نقل عنه أيلال، ما يأتي: فألهمه الله حفظ الحديث وهو في المكتب، وقرأ الكتب المشهورة، وهو ابن ست عشرة سنة. انتهى (صفحة: 99)

وهذه شهادة، تَدُلُّ على أنه بدأ حفظ الحديث مبكرا، منذ المكتب، وقرأ الكتب المشهورة، وهو ابن ست عشرة سنة.

فقول أيلال: ثم سنوات لَعِبِهِ مع الأطفال. انتهى

يقصد به أن البخاري، لم يبدأ في حفظ الحديث، حتى أَتَمَّ لَعِبَهُ مع الأطفال. ولعله لا يتصور أن البخاري، يحفظ الحديث، وعندما يفرغ من الحفظ يخرج لِلَّعِبِ كسائر الأطفال.

ولو خَصَّصَ أيلال ساعة واحدة مِنَ السنوات الستة عشر، التي استغرقها في تأليف كتابه الأسطورة، لاكتشف عشرات بل مئات الأطفال في العالم، حَطَّمُوا أرقاما قياسية في قوة الذكاء والذاكرة والحفظ، ومنهم من دخل موسوعة جينيس العالمية:

تحدثت صحيفة "بولس" النيجيرية 07 أغسطس 2016: عن المعجزة القرآنية، طفل يبلغ من العمر ثلاث سنوات، مِنْ سكان مدينة: "زاريا" النيجيرية، هذا الطفل، يحفظ القرآن الكريم كاملاً، وشارك في العديد من المنافسات الدولية ومنها ما هو في السعودية.

اِلْتَحَقَ بمدرسة الشيخ "أنجو عبد الله" الدولية في "زاريا"، وعمره عام ونصف العام فقط، وأَتَمَّ حِفْظَ القرآن كاملاً، قبل بُلُوغِهِ ثلاثة أعوام.

وأصدرت وكالة أنباء "براثا"، في 2014/02/17

ما يلي:

الكوري الجنوبي "كيم أونغ-يونغ": أذكى طفل في العالم.

أظهر مواهب خارقة بعد ثلاثة أشهر فقط حين استطاع التكلم، ولم يحتج إلا إلى ثلاثة أشهر أخرى بعد ذلك ليتكلم بطلاقة.

في سن الثالثة استطاع "كيم" أن يقرأ الكورية واليابانية والألمانية والإنجليزية. وما كان يحتاج إلا إلى شهر واحد ليتكلم أي لغة بطلاقة.

في سن الخامسة، كان بإمكانه حَلُّ المعادلات الرياضية المعقدة والتفاضلية.

وقد أثبت مهارته على الهواء، في أحد حلقات التلفيزيون الياباني.

بدأ دراسته الجامعية ابتداء من الرابعة إلى السابعة، في جامعة "هان يانغ"، بعدها بسنة، قَبِلَ دعوة "الناسا" للعمل وإكمال دراسته الجامعية.

بعد ذلك، قرر الانتقال من الفيزياء إلى الهندسة المدنية، وحصل على الدكتوراه من جامعة "كولورادو".

نشر أكثر من تسعين مقالا علميا، عن "الهيدروليكا" في العديد من الصحف العلمية. ثم التحق بالتدريس في الجامعة الوطنية "شانغبوك"، والأزيد من هذا، فإن"كيم"، دخل موسوعة "غينيس" القياسية، لأكبر معدل ذكاء في العالم.

وجاء في: أخبار الآن | دبي – الإمارات العربية المتحدة 2016/09/11

شَغَلَ الطفل "عثمان" المغربي، بال الناس في مكناس (وسط جنوب المملكة)، فَالْكُلُّ يريد أن يَتَعَرَّفَ عليه ويَسْمَعَهُ يَتَكَلَّمُ اللغة الألمانية، التي بَدَأَ نُطْقَهَا مُنْذُ سِنِّ الثالثة من عمره، حينها كان يَتَفَوَّهُ بحروف وهَمْهَمَاتٍ، لم يَفْهَمْهَا أَحَدٌ مِنْ أسرته.

زار الطِّفْلَ المعجزة "عُثْمَانَ"، السَّفِيرُ الألماني في العاصمة الرباط، فَاعْتَبَرَ أن أَمْرَ تَحَدُّثِ عثمان بالألمانية، من دون دراسة، شيء شبيه بالخيال، كما أوضح أن الطفل يَتَكَلَّمُ الألمانية كما لو كان مُنْحَدِرًا من أصول ألمانية، حينها سأل الطفل: "مَنْ عَلَّمَكَ اللغة الألمانية، وما تَوَدُّ مزاولته في المستقبل"؟ فَرَدَّ عليه الطفل "عثمان": "تَعَلَّمْتُ اللغة من الله، وأَحْلُمُ أن أكون رئيسا للجمهورية الألمانية".

قلت: ولعل أيلال، يتساءل، تساؤله عن البخاري، يتساءل عن هؤلاء الأطفال النوابغ، الذين ذَكَرْتُهُمْ، ولو اتسع المجال، لسردت العشرات والعشرات.

فليتساءل أيلال، وليقل: وَلِمْ نَأْخُذْ بالاعتبار سنوات رضاعه، ثم تَعَلُّمِهِ الْحَبْوَ فَالْمَشْيَ فَالْهَرْوَلَةَ، ثم سنوات تَعَلُّمِهِ النُّطْقَ فالكلام، ثم سنوات لَعِبِهِ مع الأطفال. انتهى

قلت: وقد آن لي، أن أسأل أيلال، سؤالا، أرجو أن يكتسب الجرأة لِيَرُدَّ عليه بنزاهة:

إن بديهة الذاكرة والحفظ، لم تثبت للبخاري وحده، بل ثبتت للكثير من أئمة الحديث، فلماذا تَكَالَبْتُمْ على البخاري وحده؟

وأَجِدُنِي مُضْطَرًّا لِأَعْرِضَ على القراء الأعزاء، نُتَفًا قليلة، مِمَّا رُوِيَ من أخبار الحفظ وقوة الذاكرة، عند هؤلاء الأئمة الأبرار.

ولم يَحْتَجِّ أَحَدٌ عليهم آنذاك. لأن العرب منذ الجاهلية، لم يكونوا يكتبون إلا قليلا. ولو سُقْتُ أخبار الْقَصَّاصِينَ وَرُوَّاةِ السِّيَرِ والنَّسَّابَةِ ورُوَّاةِ قصائد الشعراء، لما اتَّسَعَ المجال لِعُشُرِ مِعْشَارِ ذلك.

وإنما سأسوق هاته النُّتَفَ اليسيرة مِنْ مراجعها، خاصة، وأنه مِنْ شَدِّ ما تَحَامَلَ أيلال وأصحابه على البخاري، أصبح قراؤنا يَظُنُّونَ، أن البخاري وحده هو مَنْ رُوِيَ عنه شدة الحفظ وقوة الذاكرة:

ذَكَر الإمام الذهبي في "تاريخ الإسلام"، والصفدي في "الوافي بالوفيات": قال الصولي: حدَّثَني الحسينُ بن علي الباقطائي قال: قال لنا أحمد بن إسرائيل: كنتُ في الديوان، أيَّام "محمَّد الأمين"، فما كان أحدٌ مِن أهل الديوان أصغرَ مني، ولقد كنتُ أنسخ الكتاب، فلا أفرغه حتى أحفظَ ما فيه حرفًا حرفًا، وكنت ربما امتُحنتُ إذا فرغتُ من الكتاب، بأن يُؤخَذ مِن يدي، فيُقال: هاتِ ما فيه، واسْرُدْهُ مِن أوَّله إلى آخرِه، فلا أُسْقِطُ مِمَّا فيه حرفًا واحدًا، فَعَلْتُ هذا مرَّات كثيرة لا أُحصيها. انتهى

وقال صاحب "سير أعلام النبلاء"، وياقوت في "معجم الأدباء": إنَّ أبا القاسم إبراهيم بن عثمان بن الوزان، وكان يحفَظ كتابَ "العين" للخليل بن أحمد، و"غريب المصنَّف" لأبي عُبيد، و"إصلاح المنطق" لابن السِّكِّيت، وغيرها مِن كتب اللُّغة، وحَفِظ قبلَ ذلك كتاب سيبويه، ثم كُتب الفرَّاء. انتهى

قال البخاري: وقال محمد بن كثير عن معمر، قال: سمعت من قتادة وأنا ابن أربع عشرة سنة، فما شيء سمعت في تلك السنين إلا وكأنه مكتوب في صدري. انتهى من سير أعلام النبلا للذهبي

وأسند ابن عدي عن ابن شبرمة عن الشعبي قال: ما كتبت سوداء في بيضاء إلى يومي هذا، ولا حدثني رجل بحديث قط إلا حفظته. فحدثت بهذا الحديث إسحاق بن راهويه، فقال: تَعْجَبُ مِنْ هذا؟ قلت: نعم،

قال: ما كنت لأسمع شيئا إلا حفظته، وكأني أنظر إلى سبعين ألف حديث، أو قال: أكثر من سبعين ألف حديث في كتبي. انتهى من تدريب الراوي لجلال الدين السيوطي

قال الحاكم: وسمعت أبا بكر بن أبي دارم، الحافظ بالكوفة يقول: سمعت أبا العباس أحمد بن محمد بن سعيد يقول: أَحْفَظُ لأهل البيت ثلاثمائة ألف حديث، قال: وسمعت أبا بكر يقول: كتبت بأصابعي عن مطين مائة ألف حديث. انتهى من تدريب الراوي لجلال الدين السيوطي

وقال الحاكم في المدخل: كان الواحد من الحفاظ يحفظ خمسمائة ألف حديث، سمعت أبا جعفر الرازي يقول: سمعت أبا عبد الله بن وارة يقول: كنت عند إسحاق بن إبراهيم بنيسابور، فقال رجل من أهل العراق: سمعت أحمد بن حنبل يقول: صح من الحديث سبعمائة ألف وكسر، وهذا الفتى، يعني أبا زرعة، قد حفظ سبعمائة ألف. قال البيهقي: أراد ما صح من الأحاديث، وأقاويل الصحابة والتابعين. انتهى من تدريب الراوي لجلال الدين السيوطي

وقال أبو بكر محمد بن عمر الرازي الحافظ: كان أبو زرعة يحفظ سبعمائة ألف حديث، وكان يحفظ مائة وأربعين ألفا في التفسير والقراءات. انتهى من تدريب الراوي لجلال الدين السيوطي

وقال أبو زرعة الرازي: كان أحمد بن حنبل يحفظ ألف ألف حديث، قيل له: وما يدريك؟ قال: ذَاكَرْتُهُ فَأَخَذْتُ عَلَيْهِ الْأَبْوَاَب. انتهى من تدريب الراوي لجلال الدين السيوطي

يقول أيلال: قَصَصُ قوة الحفظ عند البخاري، تناسلت كَتَنَاسُلِ الْفِطْرِ بشكل غريب. انتهى (صفحة: 102)

قلت: أَطْنَبَ أيلال، بإيراد، ما أسماه بقصص قوة الحفظ عند البخاري، وهذا الاطناب الزائد، من باب السعي إلى تضخيم كتابه، كما فعل في كثير من مواطن الكتاب.

وحَسْبُنَا ما قُلْنَا فيما يَتَعَلَّقُ بذاكرة البخاري وقوة حفظه.

ولكن نقف، كما وقف أيلال على رواية، سَاقَهَا مِنْ "شذرات الذهب"، لابن العماد الحنبلي. تتعلق باختبار حفظ البخاري مِنْ قِبَلِ أصحاب الحديث، ببغداد.

ثم أورد أيلال، انتقاد هذه الرواية، من موقع "الألوكة".

ولعله تَمَسُّكُ غَرِيقٍ بِخَشَبِ نَجَاةٍ، بعد أن قَهَرَ أَيْلَالَ تَوَارُدُ الرِّوَايَاتِ، التي تُؤَكِّدُ في كثير مِنَ المواطن قوة حفظ البخاري.

فحتى إذا سَلَّمْنَا، دون أن نُحَقِّقَ في الأمر، بضعف الرواية التي تناولها موقع "الألوكة"، فذلك لا يَنْقُصُ مما جاء في عشرات الروايات.

ثم ساق أيلال، رواية من "تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام"، لابن قايماز الذهبي. وتتعلق بالسبع مائة محدث بسمرقند، قاموا هم الآخرون باختبار البخاري، فتفوق عليهم جميعا.

ولا أُحِبُّ الرَّدَّ عليه فيما يخص هذه الرواية، لأنني لا أحب التكرار الْمُمِلَّ، الذي لا فائدة مِنْ ورائه، سوى إرهاق الْقُرَّاءِ، حتى لا يُتِمُّوا الكتاب.

ثم يضع أيلال عنوانا مُثِيرًا، وهو: النبي محمد يَنْسَى والبخاري لا يَنْسَى. انتهى (صفحة: 106)

قلت، بالنظر إلى صيغة هذا العنوان، يَتَبَيَّنُ لنا، أن أيلال، يَنْقُلُ عن أساتذته من الْمُرْجِفِينَ، ما قالوه بالحرف، فَهُمْ في الغالب، لا يُصَلُّونَ على النبي صلى الله عليه وسلم، ويَطِيبُ لَهُمْ تَسْمِيَتُهُ بمحمد، كما يفعل عامة المستشرقين.

ثم يقول أيلال: إن شيوخنا وفقهاءنا، مع كامل الأسف، يَعْتَبِرُونَ البخاري، أقوى مِنْ رسولنا في الحفظ بأشواط. انتهى (صفحة: 106)

قلت: هذا تَجَنٍّ وافتراء على الشيوخ والفقهاء، فإن ما رَمَاهُمْ بِهِ أيلال، لا يَجْرُؤُ عليه أَحَدٌ مِنَ المسلمين. وإلا فَلْيَسْتَشْهِدْ على ما نَسَبَهُ إليهم مِنْ مَرْجِعِهِ، إن كان له مَرْجِعٌ.

وقد لاحظت في هذا الكتاب الأسطورة، الذي أنا بِصَدَدِ نَقْدِهِ، لاحظت كثيرا من التُّرَّهَاتِ والْمُجَازَفَاتِ، التي يرتكبها أيلال. ويَسْتَخِفُّ بعقول قرائه، وكأنه يخاطب أُنَاسًا أُمِّيِّينَ لا يقرؤون الْكُتُبَ، ويُصَدِّقُونَ كُلَّ ما يقوله، وكأنه نَبِيٌّ مُرْسَلٌ.

ثم سَاقَ أيلال هذا الحديث، لِيَسْتَدِلَّ على عنوانه الجريء:

عن عائشة قالت: سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم، رجلا يقرأ في سورة بالليل، فقال: "يرحمه الله، لقد أَذْكَرَنِي، كذا وكذا آية، كنت أُنْسِيتُهَا مِنْ سورة كذا وكذا". رواه البخاري

وهذا اجْتِرَارٌ مما عَوَّدَنَا أيلال مِنِ اجْتِرَارَاتٍ في كتابه الأسطورة. (انظر المبحث الخامس: جناية الحديث. من الفصل الثاني: آفة علم الحديث. صفحة: 96 من هذا الكتاب)

واستدل أيلال، بقوله تعالى: "لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ، إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ، فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ". القيامة 16-18

قلت: مرة أخرى، يُخْفِي أيلال عَنْ قُرَّائِهِ الآية التي تَرُدُّ عليه وتُفَنِّدُ ما ادَّعَاهُ، ويأتي بآية أخرى لا تتحدث عن النسيان.

وسأكشف للقراء، الآية التي لم تَرُقْ لأيلال، وأخفاها حتى يَكْذِبَ على قُرَّائِهِ. وهي كالتالي:

يقول الله تعالى: "سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ". الأعلى 6-7

وسَبَبُ طَمْسِ أيلال، لهذه الآية، هو قوله تعالى: "إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ". فذلك يؤكد بما لا يَدَعُ مجالا لِلشَّكِّ، أن النبي صلى الله عليه وسلم، يُمْكِنُ أن يَنْسَى ما شاء له ربه أن ينساه.

وأخيرا، لم يجعل أيلال مبحثه هذا خِتَامُهُ مِسْكٌ، كما يقال، بَلْ إِنَّ حَسَاسِيَّتَهُ الزَّائِدَةُ مِنْ شِدَّةِ حفظ البخاري، دفعته ليأتي بما وَرَدَ في: "سير أعلام النبلا" للذهبي: وفيه أن البخاري، نَسِيَ أَسَامِيَ قريباته. وقال، أعني البخاري: "وما أَقَلَّ ما يَذْهَبُ عَنِّي مِنَ العلم".

قلت: إذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، يَنْسَى ما شاء له ربه أن يَنْسَى، بشهادة القرآن الكريم، الذي لا يؤمن أيلال وأصحابه مِنَ المرجفين، إلا بِهِ. فكيف يريد أيلال للبخاري، أن لا يَنْسَى شيئا؟ فإن قول البخاري: "وما أَقَلَّ ما يَذْهَبُ عَنِّي مِنَ العلم". لهو دليل على نزاهته، وعدم ادِّعَائِهِ شيئا يَفُوقُ طاقة الْبَشَرِ. إلا أنه كان لا يَنْسَى مِنَ العلم، إلا قليلا، على حسب ما ورد في قوله.

المبحث الخامس: أسطورة صحيح البخاري

بعد إحباط محاولات رشيد أيلال إِيهَامَ الْقُرَّاءِ بِأَنَّ شخصية الإمام البخاري، قائمة على الخرافات والأساطير، وبعد فضح طرقه الملتوية لقلب الحقائق وتقويل النصوص ما لا تقول. ها هو أيلال في

هذا المبحث: "أسطورة صحيح البخاري"، يحاول أن يَطْعَنَ في الجامع الصحيح بالطرق الهجينة نفسها، التي استعملها في الطعن في صاحب الجامع الصحيح رحمه الله تعالى.

يقول أيلال: وإني أكاد أَجْزِمُ، أن شخصية البخاري لَدَيْنَا نحن معظم المسلمين، توازي شخصية "بولس" الرسول، لدى المسيحيين، حيث يَعْتَبِرُ المسيحيون، أن المؤلف الحقيقي للمسيحية بشكلها اليوم، هو "بولس"، الذي كان اسمه "شاول"، قبل أن يَعْتَنِقَ المسيحية. انتهى (صفحة: 108)

قلت: تَحَدَّثَ أيلال، بلسان مُعْظَمِ المسلمين، وقال بأنهم جميعا يعتقدون أن شخصية الإمام البخاري، توازي شخصية "بولس" الرسول، لدى المسيحيين.

وحتى أُقَرِّبَ ما قَصَدَهُ أيلال للقراء الكرام، أقول: حَكَمَ أيلال على المسيحيين جميعا، بأنهم يعتقدون أن بولس هو المؤسس الحقيقي للمسيحية.

ويريد أن يقول، أن اعتقاد مُعْظَمِ المسلمين، بأن شخصية البخاري، توازي شخصية "بولس"، حَسَبَ ظَنِّه الخاطئ، يقتضي ذلك أن المسلمين يعتقدون أن البخاري هو المؤسس لدين الإسلام.

وهنا يَحِقُّ لي أَنْ أقول أَنَّ أيلال في حالة شُرُودٍ.

فهو بكل تَجَرُّئٍ وصَفَاقَةٍ، يتكلم بلسان المسلمين والمسيحيين جميعا على السواء.

وَأُسَائِلُ أيلال مرة أخرى، لقد لجَأْتَ إلى قَصَصِ الانجيل، لِتَتَحَامَلَ على الإمام البخاري، صاحب الرواية والسند الصحيح، في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم. فماذا تقول في الكتاب المقدس، أعني الانجيل؟ فكما هو معلوم، اشتهرت عند المسيحيين أربعة أناجيل، أما عدد الأناجيل الحقيقي، فلا يحصى، ناهيك عن الأناجيل الْمُحَرَّمَةِ. لَكِنْ دَعْنَا مع هذه الأربعة، فقد كُتِبَتْ بَعْدَ مَوْتِ المسيح عليه السلام، بعشرات السنين.

فهناك إجماع اليوم، بَيْنَ الباحثين فى كتاب العهد الجديد، على أن يكون إنجيل "مرقس" هو أقدم الأناجيل، وأنه دون نحو عام 70 م، أي بعد وفاة يسوع بنحو أربعين سنة، يليه إنجيلا "متى" و"لوقا"

اللذين دونا بين عامي 80م وعام 90 م، وأخيرا إنجيل "يوحنا"، الذي دون فيما بين عام 100 و110.

ألم تتساءل يا أيلال، هل تَلَقَّى المسيحيون هذه الأناجيل، بعد موت المسيح بعشرات السنين؟ هل تلقوها عن طريق الرواية والسند، أم أخذوها وسموها كتب الرب، والكتب المقدسة، دُونَ أَنْ يَسْأَلُوا، عن طريق وُصُولِهَا إليهم؟

يا مَنْ تُجَادِلُ البخاري، وتَسْخَرُ مِنْ علم الحديث، وتُنْكِرُ صِحَّةَ الجامع الصحيح لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم، ما رأيك فيمن تَلَقَّوْا كتابهم المقدس بغير رواية ولا سند، وسموه قصة المسيح؟

يقول أيلال: إذن فصحيح البخاري استغرق تأليفه ست عشرة سنة، وكأن صحيح البخاري هذا بحث في علم البيولوجيا، أو في علم الأنثربولوجيا، أو غيره من العلوم الحقة التي جاءت بنظريات قلبت مفهوم الكون، وأفادت البشرية بطريقة أنقذتها من الضلال إلى الهداية. انتهى (صفحة: 109)

قلت: يَسْتَغْرِبُ أيلال، مِنْ تأليف البخاري، كِتَابَةُ في ستة عشر سنة، ويخطئ مرة أخرى، إذ يلتبس عليه كتاب البخاري الجامع الصحيح، بقصص: محمد عطية الإبراشي، التي قرأها في صباه، فالبخاري، لم يُؤَلِّفْ كتابا، وإِنَّمَا جَمَعَ أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم.

في حين يَدَّعِي أيلال أنه أَلَّفَ كتابه الأسطورة، في ستة عشرة سنة، مع العلم أن ما حشره في كتابه مِنْ رُكَامٍ، لا يَتَطَلَّبُ مِنَ الوقت إلا أَرْذَلَهُ، والغريب في الأمر، يَدَّعِي أن تأليف كتابه استغرق المدة الزمنية نفسها التي استغرقها الإمام البخاري في جمع الجامع المختصر الصحيح، رغم أن كتابه الأسطورة أبعد ما يكون عن البيولوجيا والأنثربولوجيا، إلا أن أيلال يرضى لنفسه ما لا يرضاه للإمام.

وهذا الاستغراب مِنْ أيلال، مَرَدُّهُ في نظري، إلى قُصُورِهِ الدّراسي، فَلَوْ زاد تعليمه على الإعدادي إلى الثانوي، لما وقع في هذا الاستغراب، لأنه لو تَابَعَ على الأقل، إلى هذا المستوى، فسيقرأ عن شخصيات في التاريخ والآدب، لها مؤلفات، استغرقت عشرات السنين. وَأَجِدُنِي مضطرا لِأُعْطِيَهُ بَعْضَ الأمثلة على ذلك:

1- الشاعر والكاتب الفرنسي فيكتور هوغو: استغرق في كتابة رائعته: "البؤساء" 17 سنة، بدءًا من 1845 م، حتى صدورها سنة 1862 م

2- استغرق تأليف كتاب "الفتوحات المكية" لابن العربي 40 عاماً

3- كتاب "الأغاني" لأبي الفرج الأصفهاني هو حصيلة 50 عاماً من التحقيق

4- كتاب "تاريخ الحضارة" هو حصيلة جهود "ويل ديورانت"، في 50 عاماً

قلت: إن أيلال، يَمْتَهِنُ عِلْمَ الحديث، ويَحْتَقِرُ كُتُبَهُ التي تستغرق مدة طويلة في جَمْعِهَا، في حين يُصَفِّقُ للعلوم الموضوعية والتجريبية، وهذا الامتهان، وذاك الاحتقار، مَرَدُّهُمَا، حَسَبَ رأيي، إلى تعليمه المتواضع.

ثم يسوق أيلال، ما رُوِيَ عَنِ الإمام البخاري، في مقدمة فتح الباري لابن حجر العسقلاني:

سمعت محمد بن إسماعيل، يقول: ما وضعت في كتاب الصحيح حديثا، إلا اغتسلت قبل ذلك، وصَلَّيْتُ ركعتين.

وعن البخاري قال: صَنَّفْتُ الجامع مِنْ ستمائة ألف حديث، في سِتِّ عشرة سنة، وجَعَلْتُهُ حُجَّةً فيما بَيْنِي وبَيْنَ الله. انتهى

كما أن البخاري في رواية أخرى يقول: صَنَّفْتُ كتابي الجامع في المسجد الحرام. انتهى

قلت: ثُمَّ يَسْتَجْمِعُ أيلال شَتَاتَ هِمَّتِهِ، ويَنْتَفِضُ انْتِفَاضَتَهُ المعهودة، نافشا ريشه. لِيُشْهِرَ ما تَوَهَّمَهُ، مِنْ تناقضات في ما رُوِيَ عن البخاري، هذه التناقضات، في نَظَرِهِ، هي كالتالي:

أولا: يقول أيلال: فالرواية التي تقول أَنَّهُ اسْتَغْرَقَ في تأليف الصحيح وجَمْعِهِ سِتَّ عشرة سنة، تَتَنَاقَضُ شكلا ومضمونا، مع الرِّوَايَةِ التي تُؤَكِّدُ أنه أَلَّفَهُ وهو مُجَاوِرٌ لِمَكَّةَ، حيث لم يَثْبُتْ تاريخيًّا عنه، أنه مَكَثَ كل هاته المدة بمكة. انتهى (صفحة: 110)

ثانيا: يقول أيلال: وَلَكُمْ أن تَتَخَيَّلُوا كَمْ مِنْ مَرَّةٍ قام البخاري بصلاة الاستخارة، ليكون الجواب هو: 600 ألف مرة، أي مليون ومائتي ألف ركعة، خلال سِتِّ عشرة سنة. انتهى (صفحة: 110)

قلت: هِيَ مُحَاوَلَةٌ بَهْلَوَانِيَةٌ مِنْ أيلال، لِلتَّمْوِيهِ على أفكار القراء. هذه المحاولة الماكرة، سَنَفْضَحُهَا في التالي:

أولا: لَمْ يَقُلِ البخاري أن كتابه الجامع، تَضَمَّنَ ستمائة ألف حديث، وإنما صَنَّفَهُ مِنْ ستمائة ألف حديث. وعليه. فاستخارته لا تَخُصُّ كل هذا العدد الهائل، كما يُحَاوِلُ أيلال إيهامنا، وإنما تَخُصُّ عَدَدَ الأحاديث التي تَضَمَّنَهَا جَامِعُهُ الصحيح، وهي: (7397) حديثا. وهذا عدد الاستخارات التي قام بها البخاري.

ثانيا: يقول البخاري، أنه صَنَّفَ حديثه، مِنْ هذا الْكَمِّ الهائل مِنَ الأحاديث، في سِتِّ عشرة سنة، وهذه المدة تَتَضَمَّنُ الرحلة في طلب الحديث، وَجَمْعِهِ وَانْتِقَائِهِ.

أما حين يقول البخاري: صَنَّفْتُ كتابي الجامع في المسجد الحرام. انتهى

فيعني، أنه صَنَّفَهُ تصنيفا نهائيا، وضَمَّنَهُ (7397) حديثا، وهو في مكة.

ونَقْلُ هذا الْعَدَدِ مِنَ الأحاديث في كتاب، لا يَتَطَلَّبُ وَقْتًا كثيرا.

وَلْيَتَسَاءَلْ القارئ الكريم: لماذا لم يَذْكُرْ أيلال، عَدَدَ الأحاديث الواردة في صحيح البخاري، ها هنا؟

والجواب: حتى لا يُفْتَضَحَ افْتِرَاؤُهُ وَتَمْوِيهُهُ، وَيَظْهَرَ عَدَدُ اسْتِخَارَاتِ البخاري، وَتَتَحَدَّدَ مُدَّةُ نَقْلِهَا القليلة، في الجامع الصحيح.

قلت: أَتَمَّ أيلال مَبْحَثَهُ هذا، ورُبَّمَا لاحظ قِلَّةَ صفحاته، فأراد أن يزيد فيها، فَرَجَعَ إلى اجْتِرَارِ ما سَبَقَ أن عَرَضُه، مِنْ أن صحيح البخاري، لا يُقَارَنُ بكتاب الله تعالى، رَغْمَ أَنْ لا أَحَدَ قال ذلك، وإنما جعلوا صحيح البخاري، أَصَحَّ كِتَابٍ بَعْدَ كتاب الله، مِنْ حَيْثُ صحة الرواية.

وساق روايات وأخبارا في ذلك، وهي مِنْ قَبِيلِ ما سَبَقَ ذِكْرُهُ في مَبَاحِثَ سَالِفَةٍ، وأَطْنَب كعادته. لأنه ينقصه النفس الطويل في الكتابة، فَيُضْطَرُّ إلى النَّقْلِ من الكتب، لِتَسْمِينِ مَبَاحِثِهِ الهزيلة.

الفصل الرابع: سقوط الأسطورة

أولا- الخرافة بالأرقام

ثانيا- كذبة الإجماع

ثالثا- أعلام ضعفوا أحاديث في الصحيحين

رابعا- البخاري مجروح ومتروك الحديث

خامسا- بُخاريَّات

أولا- الخرافة بالأرقام:

فما أسس للفكر الإرهابي المدمر، إلا مرويات تناقلتها كتب التراث، ومنها صحيح البخاري، بعيدا عن سماحة القرآن وعدل القرآن وحكمة القرآن وإنسانية القرآن وروحانية القرآن، حتى أصبح لدى هؤلاء أهون ألف مرة أن تطعن في القرآن على أن تطعن في صحيح البخاري. (صفحة 119)

لكنهم استطاعوا الوصول إلى سحب القرآن من حياة الناس، والاكتفاء بقراءته وتجويده في المناسبات، بدل تحكيم مقتضياته في حياتهم، فالقرآن لديهم لا يتجاوز أن يكون وسيلة لِاسْتِجْلَابِ البركات، والتَّفَنُّنِ في إتقان مخارج حروفه ومعرفة وقوفه، بَدَلَ التَّفَنُّنِ في تَدَبُّرِهِ وتنزيله والاهتداء بهديه. (صفحة 119)

وطبعا هذا مستحيل عقلا، لذلك كان عُبَّادُ الأوثان التاريخية، يُلِحُّونَ على أن لا نقيس البخاري بالمقياس البشري، بل علينا أن نقبل هاته "التخاريف" هكذا بدون إِعْمَالٍ للعقل، وَكُلُّ إِعْمَالٍ للعقل سَيُسْقِطُ الأسطورة، التي استغرقت صناعتها قرونا من الزمن، من طرف الكهنوت الديني، الذي خَدَّرَ الناس وأوقف العقول، وكانت المحصلة إنتاج التخلف باسم الدين، والدين من هذا بريء. (صفحة 128)

لكن سَدَنَةَ الجهل الْمُرَكَّبِ، ما زالوا يدافعون عن هاته الخرافات ويُصَدِّقُونَهَا. (صفحة 129)

ثانيا- كذبة الإجماع:

وليس إلا خرافة من الخرافات المؤسسة لهاته الأسطورة التي وَجَبَ أن نَنْسِفَهَا نَسْفاً، بِنُقُولٍ من كتب التراث نفسها، والتي يقدسها هؤلاء الشيوخ الذين تمكنت منهم الوهابية، الْمُكَفِّرَةُ الْمُقَلِّدَةُ أَيَّمَا تَمَكُّنٍ، فَسَخَّرَتْهُمْ للدفاع عن باطلها، فكان الثمن غاليا، وهو تشويه الإسلام السمح الداعي إلى استعمال العقل والمنطق والتفكر والتَّدَبُّرِ، بَدَلَ التقليد الأعمى غَيْرِ الْمُتَبَصِّرِ. (صفحة 130)

ثالثا- أعلام ضَعَّفُوا أَحَادِيثَ في الصَّحيحيْن:

لم يقف الأمر عند مسألة الاختلاف في اعتبار الأصح من كتب التراث، فكل "حزب بما لديهم فرحون"، وكل مذهب يحاول إظهار أن كتاب مذهبه هو الأفضل، والغريب أن كل أنصار كتاب ما يعتبرون كتابهم المتعصبين له "أصح كتاب بعد كتاب الله"، اَلْكُلُّ مُصِرٌّ على مقارنة كتاب الله المطلق بكتاب البشر النِّسْبِيِّ. (صفحة 134)

خامسا- بُخَارِيَّاتٌ:

أردت أن أَخْتِمَ هذا الفصل بمجموعة مِنَ الأحاديث الواردة "في أصح كتاب بعد كتاب الله" —صحيح البخاري– ليقف القارئ على حجم الإساءة لديننا ولنبينا، الواردة في هذا الكتاب، وحتى يُعْرَفَ مِنْ أَيْنَ جاءنا الإرهاب؟ ولماذا وصلت أُمَّتُنَا إلى ما وصلت إليه؟ ويقف على الحقائق كما هي بدون تزويق ولا تنميق، والبحث عن المبررات التي تخدم صناعة الأسطورة ولو على حساب الدين، ولنقف حقا على ما جناه الجامع الصحيح المنسوب للشيخ البخاري على الأمة، ولعل العديد ممن يسمع ويتابع الهالة التي تَمَّ صُنعها زَيْفاً وتمويها وَكَذِباً حول البخاري، سَيُصْدَمُ مِنْ هَوْلِ المفاجأة. (صفحة 149)

المبحث الأول: الخرافة بالأرقام

يقول أيلال: ولعل العديد ممن لا يغوص في بطون الكتب، لِيَقِفَ على الحقائق، سَيُصْدَمُ مِنْ هاته الحقيقة، التي يحاول الشيوخ إخفاءها، ويكتفون بنقل الأساطير الممجدة للبخاري، ويخفون الحقائق الْمُرَّةَ، التي تعاكس رواياتهم، في الانتقاص مِنْ شخص البخاري واتهامه في دينه وإلحاقه بِزُمْرَةِ الضالين المضلين، وأصحاب الزَّيْغِ والعقائد الفاسدة. انتهى (صفحة: 145)

قلت: أعاد أيلال إيراد ما سَمَّاهُ بالخبر الأسطوري، ويتعلق الأمر بالرواية التي وردت في: "أعلام سير النبلا" للإمام الذهبي، التي رواها محمد بن أبي حاتم الوراق، ومضمونها: أن الإمام البخاري، حين كان غلاما، كان يختلف مع حاشد بن إسماعيل وصديق آخر لهما، لم يذكر اسمه، هم الثلاثة، كانوا يختلفون إلى مشايخ البصرة. وكان البخاري لا يَكْتُبُ، حَتَّى أتى على ذلك أيام.

فكانا يقولان له: إنك تختلف معنا ولا تكتب، فما تصنع؟

فلما أكثرا عليه، قال لهما يوما، بعد ستة عشر يوما: فَاعْرِضَا عَلَيَّ ما كتبتما.

فأخرجا إليه ما كان عندهما، فزاد على خمسة عشر ألف حديث.

فقرأها، أي استظهرها، كلها عَنْ ظَهْرِ قلب، حتى جعلا يُصَحِّحَانِ كُتُبَهُمَا مِنْ حفظه.

ثم قال: أَتَرَوْنَ أَنِّي أختلف معكم هَدْرًا، وأُضِيعُ أيّامي؟ انتهى

قلت: ترى هلْ تَأَمَّلَ أيلال هذا الخبر؟ ولا أَظُنُّهُ فَعَلَ، فلو تأمله قليلا، ما كان ليخطئ هذا الخطأ الجسيم. هذا الخطأ الذي اقترفه: إن كانت نيته سليمة، فيدل على هُزَالِ تَمَكُّنِهِ مِنْ لغة الضاد، وتلك مصيبة من رجل يَتَقَمَّصُ شخصية الكاتب الأريب. وإن لم تكن نِيَّتُهُ سليمة، فالمصيبة أعظم.

ويتمثل الخطأ فيما استنتجه أيلال من الخبر:

يقول أيلال: إذن، حسب هاته الرواية، فالبخاري كان يرتاد مجلس تَعَلُّمِ الحديث، لمدة ستة عشر يوما، وأنه تَلَقَّى وحَفِظَ رُفْقَةَ أقرانه، خمسة عشر ألف حديث، خلال هاته المدة الممتدة على مدى ستة عشر يوما. انتهى (صفحة: 120)

ثم انطلق أيلال، بما يَدَّعِيهِ مِنْ حَصَافَةٍ ونَبَاهَةٍ، يَسْتَنْكِرُ على فَهْمِهِ الخاطئ لِنَصِّ الخبر، وكأنه يَسْتَنْكِرُ على نفسه، عن قَصْدٍ أو عَنْ غير قَصْدٍ.

ثم بَنَى على استنتاجه الخاطئ، أسوارا مِنْ رمال، سُرْعَانَ ما تهاوت بأحلامه وأمانيه، بعدما ظَنَّهَا لا تَهْوِي ولا تَحِيدُ.

قال سيدي عبد الرحمن المجذوب:

حِيطْ الرْمَلْ لَا تْعَلِّيهْ يَكْبَرْ وُيَرْجَعْ لْسَاسُو

أي: لا تَبْنِي حائطا من الرمل، وتُعليه، فإنه إذا علا تهاوى ورجع إلى أساس بنائه، بمعنى تساوى بالأرض بعد أن أَعْلَيْتَهُ.

وحتى نُوَضِّحَ الخطأ الذي وَقَعَ فيه أيلال، نقول: فَهِمَ أيلال، أن البخاري وصديقيه، تلقوا خمسة عشر ألف حديث، في ستة عشر يوما.

في حين أن العبارة في النص، لا تَدُلُّ على ذلك، وهي كالتالي: فكنا نقول له: إنك تختلف معنا ولا تكتب، فما تصنع؟ فقال لنا، بعد ستة عشرة يوما. انتهى

أي أن ستة عشر يوما، هي المدة التي تفصل بين اليوم الذي سألاه فيه، واليوم الذي أجابهما فيه. وليست مدة تلقيهم الأحاديث مِنْ مشايخ البصرة.

أَمَّا مُدَّةُ تَلَقِّيهِمْ الأحاديث مِنْ هؤلاء المشايخ، فمذكورة في النص، وهي قوله: كان أبو عبد الله البخاري، يختلف معنا إلى مشايخ البصرة وهو غلام، فلا يكتب، حتى مَرَّ على ذلك أيام. انتهى

فلا ندري عدد تلك الأيام.

بل لا ندري هل اختلف معهما إلى المشايخ منذ البداية، أم التحق بهما واختلف معهما أياما.

وقد أَشْفَقْتُ على أيلال، الذي، وهو يَبْذُلُ مجهودا لا يُشْكَرُ عليه، فَرِحًا جَذْلَانَ، بما اكتشفه بِحَذَاقَةِ عقله ونبوغه. هذا المجهود، يتمثل في مقابلته عَدَدَ الخمسة عشر ألف حديث، بِعَدَدِ الأيام الستة عشر الذي لا علاقة له، بمدة تَلَقِّي هذا الْكَمِّ مِنَ الأحاديث. وبذلك كان أيلال، يَنْفُخُ في بَالُونٍ مَخْرُومٍ، وهو يلعب لعبة الأرقام، التي لا طاقة له بها.

قلت: ولم يَشْبَعْ أيلال، مِنْ تَخَيُّلِ الخرافات، فجاء برواية أخرى، مِنْ "سِيَرِ أعلام النُّبَلَا" للذهبي، وحاول تكذيبها، كما حاول تكذيب الرواية التي قبلها، ولم يُفْلِحْ.

جاء في هذه الرواية: سمعت جعفر بن محمد القطان، إمام كرمينية، يقول: سمعت محمد بن إسماعيل البخاري يقول: كتبت عن ألف شيخ وأكثر، عن كل واحد منهم، عشرة آلاف وأكثر، ما عندي حديث إلا أذكر إسناده. انتهى

قلت: مرة ثانية، يقرأ أيلال، كعادته، نص الخبر قراءة خاطئة، تُفْضِي به إلى فَهْمٍ خاطئ لِمَعْنَاهُ. ولو تَرَيَّثَ قليلا، وتَمَعَّنَ في النَّصِّ، كما لم يَتَمَعَّنْ فيما سَبَقَهُ، لَطَرَحَ على نفسه سؤالا بسيطا:

إذا كان البخاري، قد أخذ عن ألف شيخ، عشرة آلاف حديث وأكثر، ولنفترض على حسب ما فهم أيلال، أنه أخذ عن كل شيخ عشرة آلاف فأكثر.

فليتساءل أيلال، ويقول: ألم تكن هذه الأحاديث في أغلبها هي نَفْسَهَا، أي متشابهة؟

والجواب أن هذا لا يحتمل الشك.

هذا من جهة، قلت: ومن جهة أخرى، فأنا، عبد ربه، أرى غير ذلك: فإن الأمر بكل بساطة، يَتَلَخَّصُ في أن أيلال، استغل عبارة: "عن كل واحد منهم"، وَتَوَهَّمَ أن البخاري أخذ عشرة آلاف حديث فأكثر، عن كل واحد من الألف شخص، أي ما يفوق عشرة ملايين حديث.

ولو استعمل أيلال، عُشُرَ عقله، للاحظ أن هذا العدد الهائل، يتناقض مع ما روي عن البخاري أنه كان يحفظه.

أما الحقيقة، فإن عبارة: "كتبت عن ألف شيخ وأكثر، عن كل واحد منهم، عشرة آلاف وأكثر".

فإن عبارة: "عن كل واحد منهم". هي تفصيل للعبارة التي سبقتها وهي: "كتبت عن ألف شيخ وأكثر".

والمراد بها، أنني كَتَبْتُ عَنْ كُلِّ شيخ على حدة مباشرة دون وسيط بيني وبينه. ومجموع ما كتبت عنهم جميعا، هو عشرة آلاف وأكثر. أي ألف حديث وما يزيد، عن كل واحد منهم.

ومثاله: استخلصت مِنَ الْمَدِينِينَ لي، مِنْ كُلِّ واحد منهم على حِدَةٍ، عشرة آلاف درهم وأكثر.

وحتى أؤكد للقراء الكرام، ما وضحته آنفا، أسوق لهم رواية عن البخاري، من كتاب: سير أعلام النبلا، للإمام الذهبي، من أجل الاستئناس:

قال محمد: سمعت أبا عبد الله يقول: دخلت بلخ، فسألني أصحاب الحديث أن أُمْلِيَ عليهم لِكُلِّ مَنْ كَتَبْتُ عنه حديثا. فأمليت ألف حديث لألف رجل ممن كتبت عنهم. انتهى من سير أعلام النبلا للذهبي

ولعل هذه الرواية، تفسر الرواية السابقة.

وقد يفهم منها: أنه أملى ألف حديث، عن كل شيخ كتب عنه من الألف. أي ما مجموعه: مليون حديث.

ولكن الصحيح الذي يتناسب مع سياق النص: أنه كتب عنهم جميعا، ألف حديث، لا أكثر.

ولنترك أيلال، يتابع لعبة الأرقام، التي بناها على سوء فهمه لنص الخبر، لأن ما بُنِيَ على الباطل فهو عين الباطل.

والآن يطالعنا أيلال، بخريطة جغرافية، تحت عنوان: رحلة البخاري في جمع الحديث.

ويُقَارِنُ أيلال، بَيْنَ وسائل النَّقْلِ، التي كانت مُتَاحَةً على عهد الإمام البخاري، أي في النصف الأول من القرن الثالث الهجري، مِنْ حَمِيرٍ وبِغَالٍ وخَيْلٍ وجِمَالٍ، وسُفُنٍ في البحر، وقَوَارِبَ في الأنهار. وبين وسائل النقل المعاصرة. لِيَخْرُجَ لنا باستنتاج لا عقلاني، ولا تُثْبِتُهُ بَدَاءَةُ وسائل النقل التي استعملها البخاري، آنذاك في رحلته لجمع الحديث.

هذا الاستنتاج الذي خرج به أيلالُ وحده: هو أن تَحَرُّكَ البخاري كان بطيئا جدا، ولا يمكنه أن يقوم بهذه الرحلة عَبْرَ كل هذه الأقطار. وكاد أن يَصِفَ تَحَرُّكَ الإمام البخاري، بِتَحَرُّكِ السلحفاة. واتَّخَذَ أيلال ذلك دليلا، على أن رحلة البخاري مُجَرَّدُ كذب وهراء.

وأدعوك يا أيلال، أَلَّا تَذْهَبَ بعيدا، وارْجِعْ إلى رحلة ابن بطوطة، محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي، أبي عبد الله، المغربي، المسماة: "تحفة النُّظَّارِ في غرائب الامصار وعجائب الأسفار".

وقد ولد ابن بطوطة رحمه الله تعالى، سنة: 703 هجرية وتوفي سنة: 779 هجرية. أي أنه عاش: 63 سنة.

وقد خرج من طنجة، بالمغرب، سنة 725 هجرية، فطاف بلاد المغرب العربي ومصر والحبشة، والشام والحجاز وتهامة ونجد والعراق، وبلاد فارس واليمن، وعمان والبحرين وتركستان وما وراء النهر، وبعض الهند والصين، وجاوة وبلاد التتار وأواسط إفريقيا والأندلس.

وقد استغرقت رحلته: 27 سنة.

أما الإمام البخاري، فقد زار العديد من البلدان في رحلة جمع الحديث، من بينها: مكة والمدينة والشام، ومصر، وبغداد والكوفة والبصرة وبخارى، وبلخ ومرو والري والجزيرة. كما ذَكَرَ البخاري نَفْسُهُ، أنه دخل إلى الشام ومصر والجزيرة مرتين، وإلى البصرة أربع مرات، وأقام بالحجاز ستة أعوام، ولا يُحْصَى كَمْ دخل إلى الكوفة وبغداد من مرة.

فما عليك يا أيلال، إلا أن تقارن بين الرحلتين، لتعلم أن رحلة البخاري في جمع الحديث، لم تكن تحتاج إلى الطائرات والغواصات. ولا أنسى أن أُنَبِّهَكَ، إلى أن وسائل النقل التقليدية، والتي استعملها البخاري، هي نفسها التي استعملها ابن بطوطة.

وأَزِيدُ أيلال، أن ما يَدُلُّ على رحلة الإمام البخاري، هو شهادة أهل البلدان التي زارها له بذلك، في كتبهم التي لا زالت تطبع إلى الآن، حيث حَكَوْا فيها دخول البخاري إلى بلدانهم ولِقَاءَهُمْ به، ومتى كان ذلك، وكم لَبِثَ فيهم من الزمن، وبِمَن اِلْتَقَى مِنْ أعيانهم وعلمائهم.

ثم ينتقل بنا أيلال، مرة ثالثة، إلى لعبته المفضلة، وهي لعبة الأرقام، لعبة، ربما لم يلعبها في صغره، بما يكفي، ليشبع رغبته في اللعب.

فيقول أيلال: قال البخاري في المقدمة التي ذكرها ابن حجر في كتاب: (مقدمة فتح الباري): جمعت ستمائة ألف حديث، في ستة عشر سنة. والبخاري ولد عام: (194) هـ، وتوفي عام: (256) هـ. انتهى (صفحة: 123-124)

ويقول أيلال: لو فرضنا أن الحديث الواحد، أخذ من الوقت، في المتوسط، عند رسول الله، خمس دقائق... فتكون السنوات اللازمة، هي... : سبعة عشر سنة و...

ثم تابع حسابه الغريب: فأوصل السنوات اللازمة، إلى واحد وعشرين عاما و... لو فرضنا، حسب قوله، أن الحديث الواحد أخذ من الوقت، عند رسول الله، ست دقائق.

ثم: أربع وعشرين عاما و... إذا فرضنا أن الحديث، أخذ من الوقت، عند رسول الله، سبع دقائق.

ثم: ثمان وعشرين عاما و... إذا فرضنا أن الحديث، أخذ من الوقت، عند رسول الله، ثمان دقائق.

ثم: واحد وثلاثون عاما و... إذا فرضنا أن الحديث، أخذ من الوقت، عند رسول الله، تسع دقائق.

ثم خمسة وثلاثون عاما و... إذا فرضنا أن الحديث، أخذ من الوقت، عند رسول الله، عشر دقائق. انتهى (صفحة: 123-125)

قلت: بعد هذه الافتراضات، دعانا أيلال إلى مقارنة هذه السنوات، التي استغرقها رسول الله صلى الله عليه وسلم في قول أحاديثه، هذه السنوات التي تراوحت بين: سبعة عشر سنة، وخمسة وثلاثين سنة، دعانا لمقارنتها بالمدة التي استغرقتها رسالة النبي صلى الله عليه وسلم، وهي ثلاث وعشرون سنة.

قلت: دَعَانَا أيلال للقيام بهذه المقارنة، ولم يَجْرُءْ أن يستخلص منها ما تَوَهَّمَ استخلاصه، وهو أن هذه المدة، أي ثلاثة وعشرون سنة، غير كافية للنبي صلى الله عليه وسلم، للنطق بهذا الْكَمِّ الهائل مِنَ الأحاديث، وهو ستمائة ألف حديث.

تَرَكَنَا أيلال، نَسْتَخْلِصُ هذه النتيجة الْهَجِينَةَ وَحْدَنَا، واكتفى بأن قال: وهذا الكلام، هَدِيَّةٌ لقوم يعقلون. انتهى

ويقصد بذلك، أن هذا الاستخلاص الْهَجِينَ، لا يَسْتَخْلِصُهُ، في نظره، إلا عاقل.

قلت: يا حسرة على هذا الرجل!

إن ما قاله أيلال، وما دعانا إلى استخلاصه، ويَتَمَثَّلُ، في أن النبي صلى الله عليه وسلم، لا يمكن أن ينطق بستمائة ألف حديث، في مدة: ثلاثة وعشرين سنة. إن هذا القول وحده، يكفي القارئ الكريم، مِنْ أَنْ يقرأ كتابي هذا كُلَّهُ، يكفيه لكي يَحْكُمَ على أيلال، بأنه لا يَتَوَفَّرُ على قَدْرٍ أدنى مِنْ أَهْلِيَّةِ تأليف كتاب، ونَقْدِ عظماء الأمة، مثل الإمام البخاري. وإني لأشعر، وأنا أَرُدُّ على مثل هذه التُّرَّهَاتِ التافهة، أنني أُهِينُ دراستي المستفيضة لعلوم القرآن وعلوم الحديث، على أيدي شيوخ أَكْفَاءَ، لا يُشَقُّ لهم غبار.

أقول: أولا: النبي صلى الله عليه وسلم، قد يُحَدِّثُ بأحاديث في خمس دقائق فقط، أو أقل. فانظر يا أيلال، كم تنطق أنت من جملة، بل من سطر في خمس دقائق، يَزُلْ عنك الرَّيْبُ والْغَبَشُ.

ثانيا: يَتَبَيَّنُ مِنْ استنتاجك الْمُرْتَجَلِ، أنك لا تَعْرِفُ أَنَّ سُنَّةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم، تنقسم إلى سنة قولية وفعلية وتقريرية، وصفة خِلْقِيَّةٍ أو خُلُقِيَّةٍ.

ولو كُنْتَ تعرف ذلك، لَعَلِمْتَ أن الستمائة ألف حديث، لا تتضمن أقوال النبي صلى الله عليه وسلم وحسب، بل تتضمن أقواله وأفعاله وتقريراته، وما يتعلق بصفته الخِلْقِيَّةِ والخُلُقِيَّةِ. وحتى يَسْهُلَ على القارئ تَتَبُّعُنَا، تعالوا نضرب لكل قسم من أقسام السنة، مثالا يَتَّضِحُ به المقال، ويَنْجَلِي الإشكال:

فأما السنة الْقَوْلِيَّةُ: وهي ما صَدَرَ عن النبي صلى الله عليه وسلم، مِنْ قَوْلٍ. مثالها: قول النبي صلى الله عليه وسلم: "مَنْ كَذَبَ علي متعمدا، فَلْيَتَبَوَّأْ مقعده من النار". متفق عليه

السنة الْفِعْلِيَّةُ: هي ما صَدَرَ عن النبي صلى الله عليه وسلم، مِنْ فِعْلٍ. مثالها: ما نَقَلَهُ الصحابة أو أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم، من صفة وضوئه وصفة صلاته، وغيرها من العبادات، وَهَدْيِهِ في حياته مع أهله وأصحابه وأعدائه.

السنة التَّقْرِيرِيَّةُ: هي ما نُقِلَ مِنْ سُكُوتِ النبي صلى الله عليه وسلم، عن قَوْلٍ قِيلَ أو فِعْلٍ فُعِلَ في حَضْرَتِهِ، أو بَلَغَ إلى عِلْمِهِ ولم يُنْكِرْهُ أو يَعْتَرِضْ عليه. مثالها: ما رواه الشيخان: مِنْ أَكْلِ الضَّبِّ على مائدته صلى الله عليه وسلم، من غير إنكار، وما روياه أيضا: من رؤيته صلى الله عليه وسلم، للحبشة وهم يلعبون بالحراب في المسجد، وتمكين عائشة من النظر إليهم.

وأما الصفة الخِلْقِيَّةُ بكسر الخاء الفوقية الموحدة، وجزم اللام: فمثالها:

ما أخرجه البخاري، عن كعب بن مالك قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذا سُرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ كأنه قِطْعَةُ قَمَرٍ، وكُنَّا نعرف ذلك منه.

وأما الصفة الخُلُقِيَّةُ برفع الخاء الفوقية الموحدة، ورفع اللام: فمثالها:

جاء في مُسْنَدِ الإمام أحمد: سُئِلَتْ عائشة رضي الله عنها، عن خُلُقِ النبي صلى الله عليه وسلم، فقالت: كان خُلُقُهُ القرآن. رواه أحمد

ثالثا: عدد ستمائة ألف حديث، بعد أن طرحنا منه عدد السنة الفعلية والتقريرية، نَطْرَحُ منه عدد الْمُكَرَّرِ، فما تَبَقَّى نَحْكُمُ أنه مِنْ كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم نَحْذِفُ منه الضعيف.

فهل غاب كل هذا على رشيد أيلال، أم غَيَّبَهُ عن القراء، أم رَدَّدَ ما قاله غيره دون تَحَرٍّ ولا تَمْحِيصٍ؟

المبحث الثاني: كِذْبَةُ الإجماع

يقول أيلال: ولإسقاط الخرافة، يكفي أن يَعْلَمَ أَيُّ إنسان، أن الشيعة، وهُمْ نِسْبَةٌ مُهِمَّةٌ مِنَ المسلمين، لا يؤمنون بصحيح البخاري، ويُكَذِّبُونَ كُلَّ ما جاء فيه، فأين هو الإجماع إذن، إلا إذا اعتبرنا الشيعة كفارا، وأخرجناهم من دائرة الإسلام، ولم نعتبرهم مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ. انتهى (صفحة: 130)

قلت: إن أيلال بقوله هذا، يكون قد انْحَرَفَ عن موضوع كتابه الأسطورة، فما دَخْلُ الشِّيعَةِ في الإجماع على صحة الجامع الصحيح للبخاري؟

إن الشيعة يا أيلال، لا يؤمنون بأي كتاب من كتب أحاديث أهل السنة والجماعة، وحتى إذا أخذوا من هذه الكتب حديثا، فيكون ذلك وِفْقَ معاييرهم الخاصة، وهم لا يَعْتَدُّونَ بإجماعنا، ولا نَعْتَدُّ بإجماعهم.

ويَعْتَمِدُ الشيعة بالأساس في أَخْذِ الحديث، على كُتُبِهِمُ الأربع، وهي:

- "كتاب الكافي": لمحمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني. توفي سنة 329 هجرية
- "كتاب من لا يحضره الفقيه": لمحمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، المعروف بالشيخ الصدوق. توفي سنة 381 هجرية
- "كتاب التهذيب" و"كتاب الاستبصار": لمحمد بن الحسن الطوسي. توفي سنة 460 هجرية

قلت: ولا يَتَّسِعُ المجال لِذِكْرِ كتبهم كلها، ولكن ذكرت الكتب الأربعة، التي تأتي في المرتبة الأولى عندهم.

وأقول لأيلال: لا تُحَلِّقْ خَارِجَ السِّرْبِ، حتى لا تُشَتِّتَ أفكار الْقُرَّاءِ. ودَعْنَا نَبْقَى في موضوعنا، وهو إجماع أهل السنة والجماعة على ما في صحيح البخاري.

ولعل الخلاف بين الشيعة والسنة أكبر مِنْ هذا، فخلافهم عقائدي بالدرجة الأولى.

ثم جاءنا أيلال، بمقولة الإمام أحمد في الإجماع: مَنِ ادَّعَى الْإِجْمَاعَ فقد كَذَبَ. انتهى
واستدل بهذه المقولة، على أن الإمام أحمد، كان لا يؤمن بالإجماع.
قلت: ولعل أيلال، يُصْدِرُ الأحكام، دون أن يَتَتَبَّعَ مَنْقُولَاتِهِ، ويعرف عَمَّنْ نَقَلَهَا أساتذته، حتى يَفْهَمَ مغزاها.
وقد ذَكَّرَنَا هذا، بما قاله أبو نواس:

ما قال رَبُّكَ: وَيْلٌ للذين سَكَرُوا ولكن قال: وَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ

قلت: أجمع العلماء، على أن الإمام أحمد، لا يَنْفِي وجود الإجماع، ولكن يُكَذِّبُ مَنِ ادَّعَى الاجماع في مسألة، ولا إجماع فيها. أي كَذَّبَ مَنِ ادَّعَى الاجماع زُورًا وبُهتانا، في بعض المسائل، ولم يقصد التكذيب بالإجماع نفسه كأصل رابع مِنْ أصول التشريع المعروفة.
وأَكْتَفِي لِتَقْرِيبِ الأمر، بما عَقَّبَ به على قولة الإمام أحمد هذه، العلامة ابن قيم الجوزية، في كتابه: "مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة". قال رحمه الله: وليس مراده (أي الإمام أحمد)، بهذا: اسْتِبْعَادُ وجود الإجماع، ولكن أحمد وأئمة الحديث، بُلُوا بِمَنْ كان يَرُدُّ عليهم السنة الصحيحة بإجماع الناس على خلافها، فَبَيَّنَ الشافعي وأحمد أن هذه الدعوى كَذِبٌ. انتهى من مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة
ثم يقول أيلال: يقول الإمام الْمُطَّلِبِيُّ، رحمه الله: ما على ظهر الأرض كتابٌ بَعْدَ كتاب الله، أَصَحُّ مِنْ كتاب مالك. وفي لفظ: ما على ظهر الأرض كتاب، هو أقرب إلى القرآن، مِنْ كتاب مالك. وفي لفظ: ما بعد كتاب الله، أكثر صوابا، من موطأ مالك. وفي لفظ: ما بَعْدَ كتاب الله، أنفع من الموطأ. (شرح الإمام الزرقاني على الموطأ) و(تزيين الممالك بمناقب الإمام مالك) للسيوطي. انتهى (صفحة: 131)
قلت: والآن يَلْجَأُ أيلال، إلى التَّدْلِيسِ على قُرَّائِهِ، فإن النَّصَّ الذي نَقَلَهُ، من شرح الزرقاني على الموطأ. والذي قال فيه الزرقاني: "أخرج ابن فهر عن الشافعي". ولم يَقُلْ كما حَرَّفَهُ أيلال: "يقول الإمام الْمُطَّلِبِيُّ".
وقد سَمَّيْتُهُ تَدْلِيسًا، لأن الإمام الشافعي، اسمه الكامل: أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي الْمُطَّلِبِي القرشي. والْمُطَّلِبِي (برفع الميم، وتشديد الطاء المهملة وفتحها، وكسر اللام والباء التحتية الموحدة)، نِسْبَةً إلى أحد

أجداد النبي صلى الله عليه وسلم. والشافعي، رحمه الله تعالى، يَلْتَقِي مع النبي صلى الله عليه وسلم، في عبد مناف.

والغريب، هو أن أيلال بعد ذلك، نقل عن الشيخ العمراوي المالكي ما نصه: لو قال أحدهم...: إن قول الشافعي هذا في الموطأ، كان قبل تأليف البخاري لجامعه الصحيح. انتهى

وهذا الاستدلال، يُوهِمُ القارئ، أن الْمُطَّلِبِي، ليس هو الشافعي. في حين أن الاستدلال يَفْضَحُ أيلال به تَدْلِيسَهُ، إذا كان الشيخ محمد العمراوي، يَرُدُّ على ما قاله الشافعي آنفا، ونسبه أيلال، إلى الإمام الْمُطَّلِبِي.

وقد يُبَرِّئُ أيلال نفسه من التَّدْلِيسِ، ويقول: إن الشافعي هو الْمُطَّلِبِي.

وسؤالي له: لماذا حَرَّفْتَ ما استدللت به من الشافعي إلى الْمُطَّلِبِي، مع العلم أن "الإمام الْمُطَّلِبِي"، لم يُذْكَرْ في أصل ما استدللت به؟

ففي شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك: أخرج ابن فهر عن الشافعي. انتهى

وفي تزيين الممالك بمناقب الإمام مالك للسيوطي: من طريق هارون بن سعيد الأيلي قال: سمعت الشافعي يقول. انتهى

وفيه أيضا: سمعت يونس بن عبد الأعلى يقول: قال لي محمد بن إدريس الشافعي. انتهى

وأقول لأيلال: إذا كان الإمام الشافعي، قد ولد سنة 150 هجرية وتوفي سنة 204 هجرية

والإمام البخاري، ولد سنة 194 هجرية وتوفي سنة 256 هجرية

وكَتَبَ جامعه الصحيح، حَسَبَ البحث والتَّحَرِّي: ما بَيْنَ عامي 240 هجرية و252 هجرية

أي أن الإمام الشافعي، التحق بالرفيق الأعلى، قَبْلَ أن يُخْرِجَ البخاري الجامع الصحيح.

فلماذا يا أيلال، تَسْتَدِلُّ بقوله في تفضيل موطأ مالك. لِتُوهِمَ القراء، أنه يُفَضِّلُهُ على صحيح البخاري؟

ثم يقول أيلال: وقال القاضي أبو بكر بن العربي: اعلموا، أنار الله أفئدتكم، أن كتاب الجعفي، أي البخاري، هو الأصل الثاني في هذا الباب، والموطأ هو الأول وَاللُّبَابُ، وعليهما بناء الجميع، كالقشيري، أي مسلم والترمذي، فما دونهما. عارضة الأحوذي. انتهى (صفحة: 132)

قلت: وأُحَبِّذُ أن أَنْقُلَ النص مِنْ أصله، حتى أعرف ما أقول:

يقول ابن العربي: في المقدمة: "اعلموا، أنار الله أفئدتكم، أن كتاب الجعفي، يعني صحيح البخاري، هو الأصل الثاني في هذا الباب، والموطأ هو الأول واللباب. لأن ابن عربي مالكي المذهب، وعليهما بناء الجميع كالقشيري، يعني مسلم، والترمذي فما دونهما". انتهى من عارضة الأحوذي

لا أدري لماذا أيلال، لم يُكْمِلْ نَصَّ ما نَقَلَهُ؟ وهو: "لأن ابن عربي مالكي المذهب".

أي أن ابن العربي قدم موطأ مالك على صحيح البخاري، لأنه مالكي المذهب.

أما محمد حبيب الله بنعبد الله بن أحمد الشنقيطي، فهو مالكي المذهب كذلك.

وقد بحثت فما وجدت في أقوال الشنقيطي، ما يُفَضِّلُ به الموطأ على صحيح البخاري.

بل الأقرب إلى الصواب، اعترافه بأن جامع البخاري هو الْأَصَحُّ. فيكفي أنه أَلَّفَ كتابا، عنوانه: "زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم".

وانظروا، رعاكم الله، ما قال رحمه الله في مقدمة كتابه:

هذا كتاب مُحَرَّرٌ في أَصَحِّ الصحيح سميته:(زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم)، وهو بعون الله تعالى، جَامِعٌ لألف حديث ومائتين، مِنْ أعلى الصحيح، اِتَّفَقَ على تخريجها البخاري ومسلم في صحيحيهما، متصلة الاسناد الى النبي خَيْرِ العباد، عليه وعلى آله وأصحابه الصلاة والسلام إلى يوم التَّنَادِ، وإنما اخْتَرْتُ ما اتَّفَقَا عليه، لكونه أَعْلَى الصحيح، كما عليه أَئِمَّةُ الْمُحَدِّثِينَ. قال في "طلعة الانوار":

أَعْلَى الصحيح ما عليه اتَّفَقَا فما رَوَى الْجُعْفِيُّ فَرْدًا يُنْتَقَى

انتهى من زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم محمد حبيب الله بنعبد الله بن أحمد الشنقيطي

وأما ما نَعَتَهُ أيلال، بالمحدث الشهير، الشيخ صالح الفلاني، فلم أجد شيئا مما قاله في صحيح البخاري

يقول أيلال: نقلا عن الدهلوي، من كتابه: "حجة الله البالغة":

فالطبقة الأولى مِنْ كُتُبِ الحديث، مُنْحَصِرَةٌ بالاستقراء في ثلاثة كتب: الموطأ والصحيحين... واتفق أهل الحديث، على أن جميع ما فيه — أي الموطأ – صحيح على رأي مالك ومَنْ وافقه، وأما على رأي غيره، فليس فيه مرسل ولا منقطع إلا وقد اتصل السند به مِنْ طُرُقٍ أخرى، فلا جرم أنها صحيحة من هذا الوجه. انتهى (صفحة: 132)

قلت: وأُحَبِّذُ مرة أخرى، أن أَنْقُلَ هذا النَّصَّ مِنْ أَصْلِهِ، حتى نُخَاطِبَ القراء الكرام على بَيِّنَةٍ مِنَ الْأَمْرِ:

قال الدهلوي: فالطبقة الأولى منحصرة بالاستقراء في ثلاثة كتب، الموطأ، وصحيح البخاري، وصحيح مسلم.

قال الشافعي: أصح الكتب بعد كتاب الله موطأ مالك، واتَّفَقَ أهل الحديث، على أن جميع ما فيه صحيح، على رأي مالك ومَنْ وافقه، وأما على رأي غيره، فليس فيه مرسل ولا منقطع إلا قد اتصل السند به من طرق أخرى، فلا جرم أنها صحيحة من هذا الوجه. انتهى من الحجة البالغة للدهلوي

قلت: استدل الدهلوي بقول الإمام الشافعي، الذي نسبه أيلال آنفا إلى الإمام الْمُطَّلِبِي تَدْلِيسًا وتَمْوِيهًا. وقد حذفه أيلال مِنْ هذا النص الذي نَقَلَهُ، ربما استحياء مِنْ تَدْلِيسِهِ وتمويهه. وقد بَيَّنَا بما فيه الكفاية أن الإمام الشافعي، توفي قبل أن يكتب البخاري جامعه الصحيح.

أما ما ذَكَرَهُ الدهلوي في هذا النص، فليس فيه عبارة تَدُلُّ على تفضيله لكتاب الموطأ على صحيح البخاري. وإنما ما فيه يدل على صحة كتاب الموطأ.

ولا ننكر أن الدهلوي فضل الموطأ على غيره، رغم أنه حنفي المذهب، وإنما انتقدنا هذا النص الذي نقله أيلال، لنؤكد أن لا حاجة إليه فيما نحن بصدده.

يقول الدهلوي: لقد انشرح صدري وحصل لي اليقين، بأن الموطأ أَصَحُّ كتاب يوجد على وجه الأرض بعد كتاب الله. انتهى من المسوى للدهلوي

ثم نقل أيلال ما روي عن البخاري، أنه ذكر أصح إسناد عنده: وهو: "مالك عن نافع عن ابن عمر". قلت: ويُسَمَّى هذا الاسناد عند علماء الحديث، بسلسلة الذهب.

كما نَقَلَ ما بَنَى الإمام أبو منصور عبد القاهر بن طاهر التميمي، على ذلك: "أن أجل الأسانيد: "الشافعي عن مالك عن نافع عن ابن عمر".

ولا أدري هل اختلاف رواة الحديث، في أصح الأسانيد، له علاقة بتقييم الاجماع على صحة جامع البخاري. ولو شئنا لأتينا أيلال، بآراء غير هذه، لعلماء الحديث في أصح الأسانيد، عند كل واحد منهم، ولكن في ذلك إطنابا على القارئ لا طائل مِنْ ورائه.

يقول أيلال: وقد وجدت مقالة جامعة، منشورة على "منتدى السودان"، تؤكد بما لا يدع مجالا للشك، بأن مقولة تَلَقِّي الأمة لصحيح البخاري، بالقبول، كذبة ما بعدها كذبة. انتهى (صفحة: 133)

قلت: ورد في مقالة "منتدى السودان": ما يلي: فمِمَّنْ انتقد تلك الأحاديث: أحمد بن حنبل وعلي بن المديني ويحيى بن معين، وأبو داود السجستاني، والبخاري نفسه، (ضعف حديثا عند مسلم)، وأبو حاتم وأبو زرعة الرازي، وأبو عيسى الترمذي والعقيلي، والنسائي وأبو علي النيسابوري وأبو بكر الإسماعيلي، وأبو نعيم الأصبهاني وأبو الحسن الدارقطني وابن منده، والبيهقي، والعطار والغساني الجياني، وأبو الفضل الهروي بن عمار الشهيد، وابن الجوزي وابن حزم وابن عبد البر، وابن تيمية وابن القيم والألباني. وكثير غيرهم. فهل كل هؤلاء العلماء مبتدعة مُتَّبِعِينَ (الصواب: مُتَّبِعُونَ) غَيْرَ سَبِيلِ المؤمنين؟ انتهى

قلت: أولا: هذا النَّقْلُ مِنْ "مُنتدى السودان"، اعتبره أيلال، نقلا من كتاب الله العزيز، وكأن ما ورد فيه من أسماء مجردة، لا يتطلب التحقيق للتأكد مِنِ انتقادها لأحاديث صحيح البخاري، من المراجع المعتمد، التي لم يأت المقال بشيء منها.

وبهذا يكون ما وَرَدَ في المقال، مُجَرَّدَ ادِّعَاءٍ لا يَسْتَنِدُ على دَلِيلٍ.

ثانيا: استدل أيلال بهذا المقال من "منتدى السودان"، ولم يُحَدِّدْ أَيْنَ انْتَهَى المقال، فلم نَعُدْ نُمَيِّزُ بَيْنَ ما يقوله أيلال، وما وَرَدَ في المقال.

وهذا أسلوب، إن دَلَّ على شيء، فإنما يَدُلُّ على ارْتِجَالِ أيلال، فيما يَكْتُبُ وفيما يَنْقُلُ على السَّواء، وعدم تَقَيُّدِهِ بما تقتضيه قواعد البحث العلمي السليم.

ثانيا: قول أيلال، قبل أن ينقل المقال: وقد وجدت مقالة جامعة، منشورة على "منتدى السودان"، تؤكد بما لا يدع مجالا للشك، بأن مقولة تَلَقِّي الأمة لصحيح البخاري، بالقَبُولِ، كذبة ما بعدها كذبة. انتهى (صفحة: 133)

إذا قابَلْتَهُ بما وَرَدَ في المقالة، وهو: "وما حصل إجماع على صحة كل حديث في الصحيحين، لا قَبْلَ البخاري ومسلم، ولا بعدهما، فمِمَّنْ انتقد بعض تلك الأحاديث". انتهى

تُلَاحِظُ أن أيلال، أشار إلى صحيح الإمام البخاري وحده، في حين يَتَحَدّث المقال عن الصحيحين معا.

كما أن المقال، أورد أسماء المنتقدين للصحيحين، ولم يُحَدِّدْ ما انتقده كل واحد منهم، لِيَفْهَمَ القارئ، أن هذه الأسماء انتقدت الصحيحين معا، كما يدل عليه السياق، في حين أن الأمر بخلاف ذلك.

فمنهم من انتقد بعض أحاديث صحيح البخاري وَحْدَهُ، ومنهم من انتقد بعض أحاديث صحيح مسلم وَحْدَهُ، ومنهم من انتقد بعض أحاديث الصحيحين معا، ومنهم مَنْ فَضَّلَ صحيح البخاري على صحيح مسلم، ومنهم مَنْ فَضَّلَ صحيح مسلم على صحيح البخاري، ومنهم مَنْ فَضَّلَ كتاب "موطأ مالك بن أنس" على الصحيحين معا. فوجب أن نَعْرِضَ لأصحاب هذه الأسماء، لنَعْرِفَ ما قاله كل واحد منهم في صحيح البخاري، أو في غيره:

فأما علي بن المديني وأحمد بن حنبل ويحيى بن معين:

قال أبو جعفر العقيلي: لما صنف البخاري كتاب الصحيح، عرضه على ابن المديني وأحمد بن حنبل ويحيى ابن معين وغيرهم، فاستحسنوه وشهدوا له بالصحة، إلا أربعة أحاديث. قال العقيلي: والقول فيها قول البخاري، وهي صحيحة. وقال الحاكم أبو أحمد رحمه الله: محمد بن إسماعيل الإمام، فإنه الذي ألف الأصول وبين للناس، وكل من عمل بعده، فإنما أخذه من كتابه. ذكره الحافظ ابن حجر في مقدمة فتح الباري

وأما أبو حاتم وأبو زرعة:

قال عبد الرحمن (وهو ابن أبي حاتم) في ترجمة البخاري: سمع منه أَبِي وأبو زرعة، ثم تَرَكَا حديثه، عندما كَتَبَ إليهما محمد بن يحيى النيسابوري، أنه أَظْهَرَ عندهم، أن لفظه بالقرآن مخلوق. انتهى من الجرح والتعديل لابن أبي حاتم

قال الذهبي رحمه الله: إن تَرَكَا حديثه أو لم يَتْرُكَاهُ، البخاري ثِقَةٌ مَأْمُونٌ مُحْتَجٌّ به في العالم. انتهى من سير أعلام النبلا

قلت: تَرَكَ أبو حاتم وأبو زرعة حديث البخاري، ليس لِمَآخِذَ أَخَذَاهَا على حديثه، ولكن بسبب ما اتُّهِمَ به في قضية خَلْقِ القرآن. رغم أنه تَبَرَّأَ من ذلك رحمه الله تعالى (انظر صفحة: 84 من هذا الكتاب):

ساق الحافظ أبو القاسم هبة الله اللالكائي، بسنده إلى أبي عمرو أحمد بن نصر بن إبراهيم النيسابوري، المعروف بالخفاف، أنه قال: كُنَّا يومًا عند أبي إسحاق القرشي ومعنا محمد بن نصر الْمَرْوَزِيُّ، فَجَرَى ذِكْرُ

محمد بن إسماعيل، فقال محمد بن نصر: سَمِعْتُهُ يقول: مَنْ زَعَمَ أنّي قلت: لفظي بالقرآن مخلوق فهو كَذَّابٌ، فإني لم أَقُلْهُ. فقلت له: يا أبا عبد الله، فقد خاض الناس في هذا وأكثروا فيه. فقال: ليس إلَّا ما أقول وأَحْكِي لك عنه. قال أبو عمرو الخفاف: فأتيت محمد بن إسماعيل، فناظرته في شيء مِنَ الحديث، حتى طابت نفسه، فقلت له: يا أبا عبد الله، ها هُنَا رَجُلٌ يَحْكِي عنك أنك قلت هذه المقالة. فقال لي: يا أبا عمرو، اِحْفَظْ ما أقول: مَنْ زَعَمَ مِنْ أهل نيسابور وقومس والري وهمذان وحلوان وبغداد والكوفة والمدينة ومكة والبصرة، أني قلت: لفظي بالقرآن مخلوق، فهو كَذَّابٌ، فإني لم أَقُلْ هذه المقالة، إلا أني قلت: أفعال العباد مخلوقة". انتهى من اعتقاد أهل السنة والجماعة

أما أبو جعفر محمود بن عمرو العقيلي، فقد ضعف بعض أحاديث صحيح البخاري.

أما النسائي:

قال الإمام أبو عبد الرحمن النسائي: ما في هذه الكتب كلها أجود من كتاب محمد بن إسماعيل. انتهى من هدي الساري

وأما النيسابوري:

يقول ابن الصلاح: وأما ما رويناه عن أبي علي الحافظ النيسابوري، أستاذ الحاكم أبي عبد الله الحافظ، مِنْ أَنَّهُ قال: "ما تَحْتَ أَدِيمِ السماء، كتابٌ أَصَحُّ مِنْ كتاب مسلم بن الحجاج"، فهذا وقَوْلُ مَنْ فَضَّلَ مِنْ شيوخ المغرب كتاب مسلم على كتاب البخاري، إنْ كان المراد به، أن كتاب مسلم يَتَرَجَّحُ بأنه لم يُمَازِجْهُ غيرُ الصحيح، فإنه ليس فيه بعد خطبته إلا الحديث الصحيح مَسْرُودًا، غير ممزوج بمثل ما في كتاب البخاري في تراجم أبوابه مِنَ الأشياء التي لم يُسْنِدْهَا على الوصف المشروط في الصحيح، فهذا لا بأس به. وليس يلزم منه: أَنَّ كتاب مسلم أرجح فيما يرجع إلى نفس الصحيح على كتاب البخاري. وإن كان المراد به، أن كتاب مسلم أَصَحُّ صحيحا، فهذا مردود على من يقوله. والله أعلم. انتهى من علوم الحديث لابن الصلاح

وأما الإسماعيلي: توفي سنة: 371 هجرية

يقول الإمام النووي: وقد قرر الإمام الحافظ أبو بكر الإسماعيلي، فى كتابه "المدخل"، ترجيح صحيح البخارى على صحيح مسلم. انتهى من تهذيب الأسماء واللغات

قلت: وللحافظ أبي بكر الإسماعيلي الجرجاني، مستخرج على الصحيحين.

وحتى يُسَايِرَنَا الْقُرَّاءُ، فيما نَقُولُ، نُعَرِّفُ معنى المستخرجات، حتى لا يُفْهَمَ مِنْ أصحابها أنهم يُضَعِّفُونَ الصَّحيحيْن:

تعريف الاستخراج: هو أن يَأْتِيَ الْمُصَنِّفُ إلى الكتاب فَيُخْرِجَ أحاديثه بأسانيد لنفسه، مِنْ غير طريق صاحب الكتاب، فَيَجْتَمِعَ معه في شيخه، أو مَنْ فَوْقَهُ، كما ذكر ذلك العراقي رحمه الله.

وقد اِسْتَشْكَلَ الإسماعيلي في مُسْتَخْرَجِهِ على الصحيحين، حديثا أخرجه البخاري، وهو حديث أبي هريرة: "يَلْقَى إبراهيم أباه آزَرَ يوم القيامة الحديث".

وأما أبو نعيم الأصبهاني: توفي سنة: 430 هجرية

فله مُسْتَخْرَجٌ على الصحيحين

وأما الدارقطني: توفي سنة: 385 هجرية

فله كتاب "الإلزامات والتَّتَبُّعُ". انتقد فيه حوالي مائتي حديث في صحيح البخاري، بِعِلَلٍ مُعْظَمُهَا غَيْرُ قَادِحٍ، وقد أجاب ابن حجر وغيره عن بعضها، وبعضها صحيح. لكن هذا الكتاب، يُرَكِّزُ على الْعِلَلِ، أكثر ما يرَكِّزُ على ضَعْفِ الرواة.

وأَلَّفَ أبو مسعود الدمشقي، كتاب: " الأجوبة للشيخ أبي مسعود عما أشكل الشيخ الدارقطني على صحيح مسلم بن الحجاج".

وهو كتاب يشرح الأحاديث التي وجد الشيخ الدارقطني إشكالا في فهمها، ويهدف الكتاب إلى توضيح هذه الأحاديث، وإزالة ما قد يكون فيها مِنْ لبْسٍ أو إشكالية.

رغم أن الإسماعيلي، وافق الدارقطني على جزء يسير مِنْ هذه الأحاديث.

ولعلَّ عَدَدَ الأحاديث التي أعلَّها الدارقطني في الصحيحين، على ما أحصاه الحافظ ابن حجر، يبلغ مائتي حديث وعشرة، المتفق عليه منها، اثنان وثلاثون، وانفرد البخاري بثمانية وسبعين، ومسلم بمائة.

وأما ابن منده: توفي سنة: 395 هجرية

يقول الحافظ ابن حجر: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري الإمام، وَصَفَهُ بذلك أبو عبد الله ابن منده في كلامٍ له، فقال فيه: أخرج البخاري، قال: فلان، وقال لنا فلان. وهو تَدْلِيسٌ. ولم يُوَافِقْ ابن منده على ذلك. والذي يظهر، أنه يقول فيما لم يَسْمَعْ وفيما سَمِعَ، لكن لا يكون على شَرْطِهِ أو موقوفا، قال لي أو قال لنا، وقد عرفت ذلك بالاستقراء من صنيعه. انتهى من تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس

وأما البيهقي: توفي سنة: 458 هجرية

فقد ضَعَّفَ بعض أحاديث صحيح البخاري.

وأما أبو الحسين العطار: توفي سنة: 662 هجرية

فقد ضَعَّفَ بعض أحاديث صحيح مسلم.

وأما أبو علي الحسين بن محمد الغساني الجياني: توفي سنة: 498 هجرية

فله كتاب "تَقْيِيدُ الْمُهْمَلِ وتَمْيِيزُ الْمُشْكِلِ"، وغَالبُهُ ليس عن قضية انتقاد الصحيحين، ولو أنه مُخَصَّصٌ لرجالهما.

وأما أبو الفضل الهروي بن عمار الشهيد: توفي سنة: 378 هجرية

فله كتاب: "عِلَلُ أَحَادِيثَ في كتاب الصحيح لمسلم". في هذا الكتاب، أَعَلَّ أحاديث رواها الإمام مسلم.

وله كذلك: "مستخرج الحافظ أبي عبد الله محمد بن العباس المعروف بابن أبي ذهل الهروي".

وأما ابن الجوزي: توفي سنة: 597 هجرية

وقد ذكر الأثيوبي رحمه الله تعالى، حديثا في صحيح مسلم حكم عليه ابن الجوزي بالوضع. انتهى من شرح الأثيوبي على ألفية السيوطي

قال الإمام ابن الصلاح في: "علوم الحديث":

ولقد أكثر الذي جمع في هذا العصر (يقصد ابن الجوزي) الموضوعات في نحو مجلدين، فَأَوْدَعَ فيهما كثيراً مما لا دليل على وَضْعِهِ، وإنما حَقُّهُ أَنْ يُذْكَرَ في مُطْلَقِ الاحاديث الضعيفة. انتهى من علوم الحديث لابن الصلاح

وأما محمد بن حزم الظاهري: توفي سنة: 456 هجرية

فقد ذكر حاجي خليفة، في كتابه: "كشف الظنون"، أن الإمام ابن حزم، له عِدَّةُ أجوبة على صحيح البخاري، منها ما يتعلق بأبواب تقع بلفظ الحديث، لكنها ليست من شرطه.

وقد انتقد الإمام ابن حزم حديثين في الصحيحين:

وقال أبو محمّد ابن حزم، رحمه الله: ما وجدنا للبخاريّ ومسلم في كتابيهما شيئاً لا يحتمل مخرجاً إلّا حديثين، لكل واحد منهما حديث، تمّ عليه في تخريجه الوهم، مع اتصافهما وحفظهما وصحّة معرفتهما. انتهى من النُّكَتِ على مقدمة ابن الصلاح للزركشي.

وأما ابن قيم الجوزية: توفي سنة: 751 هجرية

فقد قال في نونيته:

ولقد أتانا في الصحيحين اللذيـ ـن هما أَصَحُّ الكتب بَعْدَ قرآن

وأما الألباني: توفي سنة: 1420 هجرية

فقد ضَعَّفَ أحاديث يسيرة في صحيح البخاري.

وأما أبو عيسى الترمذي: فقد أَعَلَّ الحديث، الذي رواه الإمام البخاري، وهو حديث بالاستنجاء بالحجارة، ويتعلق الأمر بترجيح رواية على الأخرى.

وأما ابن تيمية: توفي سنة: 728 هجرية

فقد انتقد حديثا في صحيح البخاري:

قال رحمه الله تعالى: أن ما وقع في بعض طرق البخاري: أن النار لا تمتلئ حتى ينشئ الله لها خلقا آخر. مما وقع فيه الغلط وهذا كثير. انتهى من الفتاوى

ولكن ابن تيمية يؤمن بأن البخاري ومسلم هما أصح الكتب:

قال رحمه الله تعالى: وأما كتب الحديث المعروفة مثل البخاري ومسلم، فليس تحت أديم السماء كتاب أَصَحَّ مِنَ البخارى ومسلم بَعْدَ القرآن. انتهى من الفتاوى

قلت: وأما أبو داود السجستاني (توفي سنة: 275 هجرية)، فلم أجد ما يَدُلُّ على أنه انتقدا الصحيحين أو أحدهما.

قلت: وفيما سردناه كفاية للقارئ، لِيَفْهَمَ أن مقالة "منتدى السودان"، جاء فيها عبارة: "فمِمَّنْ انتقد تلك الأحاديث". وذكرت بعدها عددا من الأسماء، دون تفصيل ودون توضيح، ودون ذكر مراجع ما نسبته إليهم.

وهذا التَّعْمِيمُ، دون تَحَرٍّ وتَحَقُّقٍ، في هذه المقالة، لا يَكْتَسِبُ أدنى ما تَفْرِضُهُ قوانين البحث الموضوعي النَّزِيهِ.

المبحث الثالث: أعلام ضَعَّفُوا أَحَادِيثَ في الصَّحيحَيْن

يقول أيلال: وسَأَنْقُلُ لكم غَيْضًا مِنْ فَيْضِ الأسماء الكبيرة، التي ضَعَّفَتْ أحاديث في الصحيحين، من مختلف العصور والأزمان، التي تَلَتْ تأليف الكتابين، "حَسَبَ زَعْمِهِمْ"، لِتَقِفَ –أيها القارئ– على حَجْمِ الأسطورة، ومدى تَهَافُتِهَا وَتَفَاهَتِهَا. انتهى (صفحة: 134)

قلت: نَقَلَ أيلال، هذا المبحث بِتَمَامِهِ، مِنْ "منتدى السودان". ولم يُصَرِّحْ بذلك، إلا في نهاية النَّقْلِ. في حين، حَسَبَ ما تَقْتَضِيهِ شروط الكتابة والتَّأْلِيفِ، كان عليه أن يشير إليه في بداية نَقْلِهِ.

وأَجِدُنِي مُضْطَرًّا لِلرَّدِّ على هذا النَّقْلِ، كما سَبَقَ وأن رَدَدْتُ على غيره.

فأما انتقاد البخاري لصحيح مسلم، وانتقاد مسلم لصحيح البخاري، فلم يقع ذلك إلا في أحاديث جد قليلة. وَكِلَاهُمَا ينتقد حسب منهجه في أخذ الرواية، لاختلاف المنهجين. وإن دَلَّ ذلك على شيء، فإنما يَدُلُّ على روح الحوار والنقد عند أئمتنا الأبرار.

أما الأسماء التالية التي أوردتها المقالة، فقد سبق ذكرها وتوضيح ما يتعلق بكل واحد منها، وهو اجترار، من اجترارات أيلال المعهودة، وهذه الأسماء، يُرْجَعُ إليها في المبحث الثاني: كذبة الإجماع، من الفصل الرابع: سقوط الأسطورة. وهي كالتالي: أبو حاتم وأبو زرعة، وأبو عيسى الترمذي، وأبو الفضل الهروي بن عمار الشهيد، والإسماعيلي والدارقطني، وابن حزم والغساني الجياني، وابن تيمية.

وأما ما أَوْرَدَ المقال، مِنْ أقوال: ابن برهان وبدر الدين الزركشي والكمال بن الهمام ومحمد بن سليمان الكافيجي، وأحمد بن الصديق الغماري والألباني. فليس في أقوالهم ما يُعِلُّ ما في الصحيحين، وإنما اتفقت

أقوالهم على أن الأحاديث التي في الصحيحين، أخبار ظنية وليست قطعية كالقرآن الكريم الذي وصل إلينا بالتَّوَاتُرِ، كما هو رأي الجمهور، والحمد لله.

وأما أبو مسعود الدمشقي: فَلَهُ كتاب: "الأجوبة للشيخ عما أشكل الشيخ الدارقطني على صحيح مسلم ابن الحجاج".

وهو كتاب يشرح الأحاديث التي وجد الشيخ الدارقطني إشكالا في فهمها، ويهدف الكتاب إلى توضيح هذه الأحاديث، وإزالة ما قد يكون فيها مِنْ لُبْسٍ أو إشكال.

قلت: قرأنا منذ نعومة أظافرنا، ونحن نَدْرُسُ علم الحديث على أساتذتنا الأفذاذ، قرأنا أن أخبار سُنَّةِ رسول الله صلى الله عليه وسلم، في أغلبها ظنية، رُوِيَتْ عن طريق خبر الآحاد، وأن القرآن قطعي، لأنه وصل إلينا عن طريق التَّوَاتُرِ، أما الْمُتَوَاتِرُ في السنة، فلا يكاد يُوجَدُ. وقرأنا قول ابن الصلاح في المتواتر. قال رحمه الله تعالى: وَمَنْ سُئِلَ عن إبراز مِثَالٍ لذلك، فيما يُرْوَى مِنَ الحديث أَعْيَاهُ تَطَلُّبُهُ. انتهى من علوم الحديث لابن الصلاح

وقد أَجْمَعَ أهل السنة، على قَبُولِ الآحاد في العقائد، حتى لو كان يُفِيدُ الظَّنَّ، ولم يُخَالِفْ في ذلك، إلا أَهْلُ الْبِدَعِ مِنَ المعتزلة ومَنْ نَحَا نَحْوَهُمْ.

المبحث الرابع: البخاري مجروح ومتروك الحديث

إن عنوان هذا المبحث، لَيُوحِي إلى قارئه، غَيْرِ الْمُخْتَصِّ، أن البخاري مَنْبُوذٌ مِنْ طَرَفِ كُلِّ علماء الحديث، لا يأخذ أحد منهم عنه شيئا. وهذا تَلَاعُبٌ بأفكار الْقُرَّاءِ، لِجَلْبِ انتباههم إلى بَاطِلٍ لا أساس له، أي إلى ما نُسَمِّيهِ بالكذب والافتراء، دون حُجَّةٍ قائمة عليه.

يقول أيلال: وَلَعَلَّ العديد مِمَّنْ لا يغوص في بطون الكتب لِيَقِفَ على الحقائق، سَيُصْدَمُ مِنْ هاته الحقيقة، التي يحاول الشيوخ إخفاءها، ويكتفون بِنَقْلِ الأساطير الْمُمَجِّدَةِ للبخاري، ويُخْفُونَ الحقائق الْمُرَّةَ التي تُعَاكِسُ رواياتهم، في الانتقاص مِنْ شخص البخاري، واتهامه في دينه، وإلحاقه بِزُمْرَةِ الضالين الْمُضِلِّينَ، وأصحاب الزَّيْغِ والعقائد الفاسدة. انتهى (صفحة: 145)

قلت: يُحَاوِلُ أيلال، أن يتكلم باسم هؤلاء الذين لا يغوصون في بطون الكتب، حسب تعبيره، لأن أيلال، غَوَّاصٌ ماهر في أعماق هذه البطون وأغوارها، ويَسْتَخْلِصُ مِنْ غَوْصِهِ، بَعْدَ أن كَفَى قُرَّاءَهُ، الذين لا يجيدون الغوص مثله، كفاهم مَؤُونَةَ الْغَوْصِ، يَسْتَخْلِصُ أن علماء الأمة، أَلْحَقُوا الإمام البخاري، بِزُمْرَةِ الضَّالين الْمُضِلِّينَ.

ولعله أسلوب مَاكِرٌ، عَهِدْنَاهُ مِنْ أيلال، وكأنه يوحي به إلى القراء، بما يريد منهم أن يعتقدوه، قبل أن يقرؤوا ما ساقه مِنْ أدلة تُثْبِتُ ما ادَّعَاهُ. دون أن يَتْرُكَ لَهُمْ حرية اختيار ما اقتنعوا به، وببساطة، يريدهم ألا يُفَكِّرُوا.. ويَدَعُوهُ يُفَكِّرُ لهم.

وقد رَكَّزَ أيلال في استدلالاته، على ما ادَّعَاهُ في حَقِّ الإمام البخاري، على أمرين:

الأول: أن أبا حاتم وأبا زرعة، تركا الإمام البخاري بالري، بإيعاز من محمد بن يحيى المعروف بالذهلي.

قلت: ولم يتركاه لضعف أحاديث في جامعه الصحيح، بل تركاه لأن محمد بن يحيى الذهلي، أَوْعَزَ إليهم بذلك بَعْدَ أَنِ اتَّهَمَهُ بالقول بِخَلْقِ القرآن الكريم.

قلت: وفي هذا الأمر نَظَرٌ:

فقد أثار أيلال، هنا موضوعا شائكا، وفتنة عمياء، لا طاقة له بها. والموضوع يتعلق بِمِحْنَةِ خَلْقِ القرآن على عَهْدِ بعض أمراء الدولة العباسية.

وليس قول محمد بن يحيى الذهلي، كافيا لِاتِّهَامِ البخاري، بأنه كان يقول بخلق القرآن، بل الكثير من العلماء، مَنْ فَسَّرَ اتِّهَامَهُ هذا بِحَسَدِهِ له، لِتَكَاثُرِ الناس عليه:

قال الحاكم أبو عبد الله: سمعت محمد بن حامد البزاز قال: سمعت الحسن بن محمد بن جابر يقول: سمعت محمد بن يحيى قال لنا لما ورد محمد بن إسماعيل البخاري نيسابور: اِذْهَبُوا إلى هذا الرجل الصالح فاسمعوا منه. فذهب الناس إليه، وَأَقْبَلُوا على السَّماع منه، حتى ظهر الْخَلَلُ في مجلس محمد بن يحيى، فحسده بعد ذلك، وتَكَلَّمَ فيه. انتهى من سير أعلام النبلا للذهبي

وقال أبو أحمد بن عدي: ذَكَرَ لي جماعة مِنَ المشايخ، أن محمد بن إسماعيل، لما ورد نيسابور، اجتمع الناس عليه، حَسَدَهُ بَعْضُ مَنْ كان في ذلك الوقت مِنْ مشايخ نيسابور، لما رَأَوْا إِقْبَالَ النَّاسِ إليه، واجْتِمَاعَهُمْ عليه،

فقال لأصحاب الحديث: إن محمد بن إسماعيل يقول: اللفظ بالقرآن مَخْلُوقٌ، فامتحنوه في المجلس. فلما حَضَرَ الناس مجلس البخاري، قام إليه رجل، فقال: يا أبا عبد الله، ما تقول في اللفظ بالقرآن؟ مَخْلُوقٌ هو أم غير مَخْلُوقٍ؟ فَأَعْرَضَ عنه البخاري ولم يُجِبْهُ. فقال الرجل: يا أبا عبد الله، فأعاد عليه القول، فَأَعْرَضَ عنه. ثم قال في الثالثة: فَالْتَفَتَ إليه البخاري، وقال: القرآن كلام الله غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وأفعال العباد مَخْلُوقَةٌ، والامتحان بِدْعَةٌ. فَشَغَّبَ الرجل، وَشَغَّبَ الناس، وتَفَرَّقُوا عنه. وقَعَدَ البخاري في منزله. انتهى من سير أعلام النبلا للذهبي

وقال أبو حامد الأعمشي: رأيت محمد بن إسماعيل في جنازة أبي عثمان سعيد بن مروان، ومحمد بن يحيى يسأله عن الأسامي والْكُنَى وعِلَلِ الحديث، ويَمُرُّ فيه محمد بن إسماعيل مِثْلَ السَّهْمِ. فما أتى على هذا شهر، حتى قال محمد بن يحيى: ألا مَنْ يختلف إلى مجلسه فلا يَخْتَلِفُ إلينا، فإنهم كَتَبُوا إلينا من بغداد أنه تكلم في اللَّفْظِ، ونَهَيْنَاهُ فلم يَنْتَهِ، فلا تَقْرَبُوهُ، ومَنْ يَقْرَبْهُ فلا يَقْرَبْنَا. فأقام محمد بن إسماعيل هاهنا مدة، ثم خرج إلى بخارى. انتهى من سير أعلام النبلا للذهبي

وَلْيُلَاحِظِ القارئ، أن في هذه الأخبار التي سقناها، لا نجد إلا شخصا واحدا، وهو محمد بن يحيى الذهلي، هو الذي قَادَ هذه الْحَمْلَةَ النَّكْرَاءَ، ضِدَّ الإمام البخاري، رحمهما الله جميعا.

ولا يخفى على أيلال، هو الآخر، وهو الذي يغوص في بطون الكتب. أن الإمام البخاري، لم يَتَعَرَّضْ وحده لِمِحْنَةِ خَلْقِ القرآن.

فقد أُتُّهِمَ الإمام أبو حنيفة النعمان، هو الآخر بذلك:

قال الخطيب البغدادي في "تاريخه": سَمِعْتُ أبا مسهر يقول: قال سلمة بن عمرو القاضي على المنبر: لا رَحِمَ الله أبا حنيفة، فإنه أَوَّلُ مَنْ زَعَمَ أن القرآن الكريم مَخْلُوقٌ. انتهى

ومِمَّنْ بَرَّأَ أبا حنيفة مِنْ هذه التُّهمة، أحمد بن حنبل، وغيره كثير.

وهذه الرواية، نقلها الخطيب البغدادي، قال: وقال النخعي: حدثنا أبو بكر المروذي، قال: سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل يقول: لم يَصِحْ عندنا أن أبا حنيفة كان يقول: القرآن مَخْلُوقٌ. انتهى من تاريخ بغداد

وقال أبو حنيفة، نفسه، في كتابه: "الفقه الأكبر": والقرآن كَلَام الله تَعَالَى فِي الْمَصَاحِف مَكْتُوب، وَفِي الْقُلُوب مَحْفُوظ، وعَلى الْأَلْسُنِ مَقْرُوءٌ، وعلى النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام مُنَزَّلٌ، وَلَفْظُنَا بِالْقُرْآنِ مَخْلُوق، وكتابتنا لَهُ مَخْلُوقَةٌ، وقراءتنا لَهُ مخلوقة، وَالْقُرْآن غيرُ مَخْلُوقٍ. انتهى من كتاب "الفقه الأكبر" لأبي حنيفة

وانظر أيها القارئ، رعاك الله، ما قاله أبو زرعة، الذي سبق أن ترك البخاري، بإيعاز مِنْ محمد بن يحيى، ماذا قال في الإمام أبي حنيفة:

قال أبو زرعة الرازي: كان أبو حنيفة جُهَمِيًّا، وكان محمد بن الحسن جُهَمِيًّا، وكان أبو يوسف جُهَمِيًّا بَيِّنَ التَّجَهُّمِ. انتهى من "الضعفاء وأجوبة الرازي على سؤالات البرذعي"

كما لا يخفى على أحد تَعَرُّضُ كثير من العلماء إلى المحن المفتعلة، إما لمخالفتهم أمراءهم، في أمور الرعية، وإما لأن أترابهم حسدوهم، وأَغْرَوْا بهم أمراءهم، أو العامة مِنَ الناس.

وقد كان البخاري مِنْ هؤلاء، وذلك لِسَعَةِ عِلْمِهِ، واجتماع الناس عليه، وكذلك لِأَنَفَتِهِ وعِزَّةِ نفسه:

قال الخطيب البغدادي: سمعت أبا سعيدٍ بكر بن منير بن خليد بن عسكر يقول: بعَثَ الأميرُ خالد بن أحمد الذُّهلي، والِي بُخارَى إلى محمد بن إسماعيل: أنِ احْمِلْ إلَيَّ كتاب: "الجامع" و"التاريخ"، وغيرهما، لأسمع منك، فقال محمد بن إسماعيل لرسوله: أنا لا أذلُّ العلم، ولا أَحْمِلُهُ إلى أبواب الناس، فإنْ كانت لك إلى شيءٍ منه حاجة، فَاحْضُرْنِي في مسجدي أو في داري، وإنْ لم يُعْجِبْكَ هذا، فأنت سلطان، فامنعني من الجلوس، ليكون لي عذرٌ عند الله يوم القيامة؛ لأنِّي لا أَكْتُمُ العلم؛ لِقَوْلِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: "مَنْ سُئِل عن علمٍ فكتَمَه، أُلجِمَ بلِجامٍ مِنْ نارٍ". قال: فكان سَبَبَ الْوَحْشَةِ بَيْنَهُمَا. انتهى من تاريخ بغداد

ومن أراد الاطلاع على مِحْنَةِ العلماء الأعلام، فَلْيَرْجِعْ إلى "كتاب المحن"، لأبي العرب، محمد بن تميم التميمي، توفي سنة 333 هجرية. والله الموفق لما يرضاه.

قلت: ثم خَرَجَ أيلال عن الموضوع، وَطَافَ يُمَجِّدُ في محمد بن يحيى الذهلي، الذي أَثَارَ على البخاري، فتنة خَلْقِ القرآن.

ويقول أيلال بأن الذهلي كان يرى انحراف الإمام مسلم كذلك. ولو أن كتاب أيلال، لا يهم الإمام مسلم وصحيحه. انتهى (صفحة: 146)

ثم يقول أيلال: وقد حاول الذهبي في "سير أعلام النبلا"، الدفاع عن البخاري بِاتِّهَامِ شيخه الذهلي.

وهو مِنْ كبار الحفاظ المشهود لهم بالصلاح، بل مِنَ الثقات في الحديث، بأن السبب في اتهامه لمحمد بن إسماعيل البخاري، هو الحسد. وإذا كان هذا صحيحا، فالواجب ترك التحديث عنه. لكن البخاري، حدث عنه. انتهى (صفحة: 146-147)

قلت: ليس الذهبي وَحْدَهُ الذي دَافَعَ عن البخاري.

ويُكَذِّبُ أيلال، تبرير اتِّهَامِ محمد بن يحيى الذهلي للبخاري، بِسَبَبِ الحسد.

ويقول أيلال، ما معناه، لو اتَّهَمَهُ محمد بن يحيى الذهلي، بسبب الحسد، لترك البخاري حَدِيثَهُ. انتهى (صفحة: 147)

قلت: ونستنتج مما قاله أيلال: أن البخاري يَتْرُكُ حديث كُلِّ مَنِ اتَّهَمَهُ بسبب الحسد، كيفما كان حاله.

إنها شِيَمُ علماء الأمة يا أيلال. فلا تَقِسْهُمْ على نفسك. إنهم لا يُخْلِطُونَ بَيْنَ عدالة مَنْ يأخذون عَنْهُ، وَبَيْنَ تَصَرُّفِهِ معهم وَمَوْقِفِهِ منهم، كيفما كان هذا التَّصَرُّفُ وذاك الْمَوْقِفُ، ولو أَنْ يَتَّهِمَهُمْ باطلا في عقيدتهم.

أما قول أبي زرعة في البخاري ومسلم: هؤلاء قوم أرادوا التقدم قَبْلَ أَوَانِهِ، فَعَمِلُوا شيئا يَتَسَوَّقُونَ به، أَلَّفُوا كتابا لم يُسْبَقُوا إليه، لِيُقِيمُوا لِأَنْفُسِهِمْ رِئَاسَةً قَبْلَ وَقْتِهَا. انتهى

وكذلك انتقاد أبي زرعة لبعض أسانيد مسلم، بذريعة أنها لا تُعْجِبُهُ.

ففي هذا الْحُكْمِ، سوء الظن، وادِّعَاءٌ مِنْ أبي زرعة أنه يَطَّلِعُ على سَرَائِرِ الناس، ويَكْشِفُ سوء نواياهم.

أما أن يَنْتَقِدَ الأسانيد، لا لِسَبَبٍ، سوى لأنها لا تُعْجِبُهُ، فهذا ما لا يَقْبَلُهُ عاقلٌ.

وَلْيَدَعْ أيلال الإمام مسلما وصحيحه بَعِيدًا، حتى لا يَخْرُجَ عن موضوع كتابه. وإلا فَلْيُؤَلِّفْ لنا كتابا آخر، يُنْهِي به أسطورة صحيح مسلم، هُوَ الآخر.

وفي خِتَامِ هذا الرَّدِّ، أذكر، مَنْ ذَكَرَهُمْ أيلال، مِنَ الذين انتقدوا الإمام البخاري، وَهُمْ ثلاثة، لا رَابِعَ لَهُمْ: محمد بن يحيى الذهلي، وأبو زرعة، وأبو حاتم. هذه الغنيمة هي ما رجع به أيلال، بعد غَوْصِهِ العميق في المراجع والْمَظَانِّ؟ فما أَهْزَلَهَا مِنْ غَنِيمَةٍ!

وها هو أيلال، يَسْتَدِلُّ بما رواه أبو حاتم: أن بعض مُعَاصِرِي البخاري كَفَّرَ الإمام البخاري.

يقول أيلال: في "سير أعلام النبلا": وقال محمد بن أبي حاتم: أتى رجل أبا عبد الله البخاري، فقال: يا أبا عبد الله، إن فلانا يُكَفِّرُكَ. فقال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إذا قال الرجل لأخيه: يا كافر، فقد بَاءَ به أَحَدُهُمَا". انتهى (صفحة: 148)

ولو نظر أيلال إلى أحوال العظماء في تاريخ الإسلام، لما وَسِعَهُ عَدُّ مَنْ كُفِّرَ مِنْهُمْ.

ولو حَطَطْنَا مِنْ قَدْرِ كُلِّ مَنْ كَفَّرَهُ رَجُلٌ واحد مِنَ الرجال. لما بَقِيَ لَدَيْنَا عَظِيمٌ.

المبحث الخامس: بخاريات

الرسول يحاول الانتحار:

إن هذا العنوان المثير الذي نقله أيلال عن غيره.. هذا العنوان، الذي يُشْبِهُ عناوين الأحداث، على صفحات الجرائم، في الجرائد اليومية.. هذا العنوان الذي لا يليق بخاتم الأنبياء والمرسلين.

وإن دَلَّ ذلك على شيء، فإنما يَدُلُّ على ذَوْقٍ سَمْجٍ، أَدَّى إلى تَصَرُّفٍ أَخْرَقَ.

وقد عَوَّدَنَا أيلال، إِهَانَةَ سَيِّدِ الأنبياء والمرسلين، في مَوَاطِنَ، غير هذا، مِنْ هذا الكتاب، بألفاظٍ نَابِيَةٍ، منها: قوله في المبحث الخامس: جناية الحديث، من الفصل الثاني: آفة علم الحديث: "وَمِنَ الأحاديث الْمُنْتَقِصَةِ مِنْ قَدْرِ النبي في صحيح البخاري، حديثٌ يقول: إن رسول الله، كان يمارس الجنس مع نسائه الإحدى عشر، خلال ساعة زمنية، سبحان الله، هل كان الراوي مُتَتَبِّعًا مُتَجَسِّسًا على حياة الرسول صلى الله عليه وسلم الخاصة؟ وهل كان رسول الله آلَةً جِنْسِيَّةً، وحاشاه"؟ انتهى (صفحة: 68)

ويقول في المبحث نفسه: كمثل هذا الحديث في "صحيح البخاري"، يُتَّهَمُ الرسول فيه أنه يدخل على أم حرام، زوج عبادة بن الصامت في غيبة من زوجها طبعا، ويأكل عندها وينام عندها وتفلي رأسه، إذن فالرسول يَخْتَلِي بامرأة في غَيْبَةِ زوجها، وينام عندها ويأكل، وتفلي رأسه مِنَ الْقُمَّلِ". انتهى (صفحة: 66)

ويقول في المبحث الثاني: سيرة الأحلام، من الفصل الثالث: أسطورة البخاري: فلو لم يحلم البخاري بنفسه يذب "الذباب"، لأنه لا يُذَبُّ عن الوجه إلا الذباب والحشرات الطائرة، مثل البعوض، عن وجه الرسول، حَسَبَ هاته الرواية". انتهى (صفحة: 79)

في حين أن هذه الواقعة، وهي محاولة انتحار النبي صلى الله عليه وسلم، حَسَبَ تعبير هؤلاء الْمُرْجِفِينَ، لا تَسْتَحِقُّ كُلَّ هذا التَّهْوِيلِ، كما سنرى، ولا تَصْلُحُ لإثارة اسْتِنْكَارِ الْقُرَّاءِ، لصحيح الإمام البخاري، لأن القراء، بِكُلِّ بساطة، لَهُمْ عقولٌ يفكرون بها، ولا يَنْقَادُونَ كالبهائم بالصِّيَاحِ وَالْوَلْوَلَةِ.

يقول أيلال: مِنْ بلاغات صحيح البخاري في أول كتاب منه، يَتَّهِمُ الرسول بمحاولة الانتحار، حاشاه صلى الله عليه وسلم. انتهى (صفحة: 68)

قلت: يُنْكِرُ أيلال، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، حاول الانتحار وإلقاء نفسه مِنْ رؤوس الجبال، ويُنْكِرُ على البخاري إيراده لهذا الخبر، الذي يُسِيءُ في نَظَرِهِ إلى النبي صلى الله عليه وسلم، الذي لا يمكن أن يَهُمَّ بالانتحار، وهو رسول العالمين أجمعين.

قال الزهري: فأخبرني عروة عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: ثم لم يَنْشَبْ ورقة أن تُوُفِّيَ، وفَتَرَ الوحي فترةً، حتى حَزِنَ النبي صلى الله عليه وسلم، فيما بَلَغَنَا، حُزْنًا غَدَا منه مِرَارًا، كَيْ يَتَرَدَّى من رؤوس شَوَاهِقِ الجبال، فَكُلَّمَا أَوْفَى بِذِرْوَةِ جَبَلٍ لكي يُلْقِيَ مِنْهُ نفسه، تَبَدَّى له جبريل فقال: يا محمد، إنك رسول الله حَقًّا. فَيَسْكُنُ لذلك جَأْشُهُ، وَتَقَرُّ نَفْسُهُ فَيَرْجِعُ. فإذا طالت عليه فَتْرَةُ الوحي، غَدَا لِمِثْلِ ذلك، فإذا أَوْفَى بِذِرْوَةِ جَبَلٍ، تَبَدَّى له جبريل، فقال له مِثْلَ ذلك. رواه البخاري

وأقول: لا نَسْعَى إلى تضعيف هذا الخبر، لأننا بذلك، سنكون وَافَقْنَا أيلال في إنكاره.

لقد كان لانْقِطَاعِ الوحي عن النبي صلى الله عليه وسلم، وَطْءٌ شديد على نَفْسِيَّتِهِ صلى الله عليه وسلم، فقد ظَنَّ أن رَبَّهُ سبحانه، هَجَرَهُ وقَلَاهُ. فَحَزِنَ حُزْنًا شديدا، حتى أنه هَمَّ أن يُلْقِيَ بِنَفْسِهِ مِنْ رؤوس الجبال.

لكن السؤال: هل فعلا أَلْقَى بِنَفْسِهِ مِنْ رؤوس الجبال؟

إنها حَالَةٌ إنسانية، قد تَعْتَرِي أَقْوِيَّاءَ النفوس، وشَدِيدِي الْعَزْمِ مِنَ البشر. ما بالك بالنبي صلى الله عليه وسلم، الذي لم يَتَجَهَّزْ بَعْدُ للرسالة.

وقد فَتَرَ الوحي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، مرتين: الأولى في أَوَّلِ نزوله، ثم نزلت بعده سورة "المدثر"، والثانية: بعد نزول عدة سور من القرآن، ثم نزلت بعده سورة "الضحى".

فلا زال الوحي في بداية نزوله، ولا زال عليه الصلاة والسلام، لم يَخْضَعْ مِنْ ربه سبحانه، لأساليب التَّهْيِيءِ والتربية، ولم يَتَلَقَّ التعاليم والتوجيهات الكافية، لكي يَضْطَلِعَ بِمُهِمَّةِ التَّبليغ.

قال تعالى: "يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا، إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا". المزمل 1-4

ولِيَعْلَمْ أيلال ومَنْ معه، أَنَّ الشريعة الإسلامية، لا تُحَاسِبُ الْمَرْءْ إذا هَمَّ بِارْتِكَابِ الذنب، بل تُحَاسِبُهُ على فِعْلِهِ.

فقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما، واللفظ لمسلم، عَنِ ابْنِ عَبّاسٍ عَنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، فِيمَا يَرْوِي عَنْ رَبّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، قَالَ: "إِنّ الله كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسّيّئَاتِ، ثُمّ بَيّنَ ذَلِكَ، فَمَنْ هَمّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا، كَتَبَهَا الله عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإِنْ هَمّ بِهَا فَعَمِلَهَا، كَتَبَهَا الله عَزّ وَجَلّ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ، إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ، إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ. وَإِنْ هَمّ بِسَيّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا، كَتَبَهَا الله عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإِنْ هَمّ بِهَا فَعَمِلَهَا، كَتَبَهَا الله سَيّئَةً وَاحِدَةً. انتهى الحديث

الرسول البذيء:

عنوان آخر، نَقَلَهُ أيلال عن غيره، يَصِفُ فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم، بالْبَذَاءَةِ، والْبَذَاءَةُ هي الْفُحْشُ والْقُبْحُ في الكلام. يَصِفُ رسول الله صلى الله عليه وسلم، بذلك، معتمدا على أحاديث رواها الإمام البخاري في صحيحه، ورَدَّدَ أيلال، ما فَهِمَهُ مِنْ أساتذته، حَسَبَ ما تَمِيلُ إليه أَهْواؤُهمُ الفاحشة.

عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: لما أتى ماعز بن مالك النبي صلى الله عليه وسلم، قال له: "لَعَلَّكَ قَبَّلْتَ أو غَمَزْتَ أو نَظَرْتَ"؟ قال: لا، يا رسول الله. قال: "أَنِكْتَهَا"؟ لا يُكَنِّي، قال: فعند ذلك أَمَرَ بِرَجْمِهِ. رواه البخاري

قلت: قَوْلُ النبي صلى الله عليه وسلم، في هذا الحديث: "أَنِكْتَهَا"؟ اِعْتَبَرَهُ أيلال تَلَفُّظًا بَذِيئًا، أيْ فَاحِشًا، مِنْ رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وَأَرُدُّ عليه مِنْ وجهين:

الأول: هذا اللفظ عَرَبِيٌّ بِغَيْرِ مُنَازِعٍ.

فقد وَرَدَ في معجم المعاني الجامع: اَلنَّيْكُ، هو الْجِمَاعُ

وفي لسان العرب: النَّيْكُ: معروف، والفاعل: نائِكٌ، والمفعول به مَنِيكٌ. انتهى

وفي لسان العرب كذلك: وتَنَايَكَ القوم: غَلَبَهُمُ النُّعاس. وتَنَايَكَتِ الأجْفان: اِنْطَبَقَ بعضُها على بعضٍ. انتهى من لسان العرب

وهذه الكلمة، توجد في عاميتنا المغربية، وهي كلمة نَابِيَةٌ عندنا.

وأقول لأيلال: لو عَدَدْتُ لك الكلمات العربية العادية، التي تُعْتَبَرُ نَابِيَةً في عَامِّيَتِنَا المغربية، لما اتَّسَعَ المجال لذلك. كما أن هناك كلمات في عَامِّيَاتِ بعض الشعوب العربية، تُعْتَبَرُ نَابِيَة وبَذِيئَةً في عَامِّيَتِنَا المغربية.

الثاني: حين أَلْقَى أيلال للقارئ بهذا الحديث، لم يَذْكُرْ له مُنَاسَبَتَهُ، والْمُرَادُ بِالْمُنَاسَبَةِ سَبَبُ قول النبي صلى الله عليه وسلم، لماعز بْنِ مالك، ما قال.

ولم تَخْفَ المناسبةُ على أيلال، وإنما أراد أَلَّا يَسْتَعْمِلَ القارئ عَقْلَهُ، وبذلك لا يُجَارِي أيلال فيما حَاوَلَ أَنْ يُوهِمَهُ به.

والمناسبة: أن ماعز بن مالك، اِرْتَكَبَ فاحشة الزِّنَا، فَأَتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم، مُعْتَرِفًا بِذَنْبِهِ.

وقد اختار أيلال نَصَّ هذه الرِّوَايَةِ التي اسْتَدَلَّ بها بالضَّبط، لأنها لا تُخْبِرُ بالمناسبة الَّتي أشرنا إليها.

يقول ابن حجر في فتح الباري: قوله: (لما أتى ماعز بن مالك)، في رواية خالد الحذاء: أن ماعز بن مالك أتى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: إنه زَنَى، فَأَعْرَضَ عَنْهُ، فأعاد عليه مِرَارًا، فَسَأَلَ قَوْمَهُ: "أَمَجْنُونٌ هُوَ"؟ قالوا: ليس به بَأْسٌ. وسنده على شرط البخاري، وذكر الطبراني في "الأوسط"، أن يزيد بن زريع تفرد به عن خالد الحذاء. انتهى من فتح الباري لابن حجر

ثم قال ابن حجر: قوله: (أو نَظَرْتَ)، أَيْ فَأَطْلَقْتَ على أَيِّ واحدة فَعَلْتَ مِنَ الثَّلَاثِ زِنًا، فَفِيهِ إشارةٌ إلى الحديث الآخر المخرج في الصحيحين، مِنْ حديث أبي هريرة: "اَلْعَيْنُ تَزْنِي وزِنَاهَا النَّظَرُ". وفي بعض طُرُقِهِ عندهما أو عند أحدهما: ذَكَرَ اللِّسان واليَدَ والرجل والأُذُن. زاد أبو داود: "والْفَمَ"، وعندهم: "والْفَرْجُ يُصَدِّقُ ذلك أو يُكَذِّبُهُ". وفي الترمذي وغيره عن أبي موسى الأشعري رفعه: "كل عين زانية". انتهى من المرجع نفسه

قلت: حتى أُقَرِّبَ القارئَ مِنَ الموضوع، أقول: أتى ماعز بن مالك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، بعدما وَقَعَ في الزِّنَا، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم، بمثابة القاضي، ولا يُمْكِنُ للقاضي أنْ يُصْدِرَ حُكْمًا إلّا بَعْدَ التَّحَقُّقِ والتَّحَرِّي، خاصَّةً إذا كان هذا الحكم يتعلق بالرَّجْمِ.

فَسَأَلَ الْمُعْتَرِفَ قائلا: "لَعَلَّكَ قَبَّلْتَ أو غَمَزْتَ أو نَظَرْتَ"؟

لأن التَّقبيل والغَمْزَ والنَّظَرَ، يُعْتَبَرُ زِنًا، كما سبق ذكره في الحديث، إلا أنه لا يُوجِبُ الْحَدَّ. لذلك سأله: "أَنِكْتَهَا"، لا يُكَنِّي.

وقول الراوي: لا يُكَنِّي. ففي معجم المعاني الجامع: كَنَّى عن كذا: تكلم بما يُسْتَدَلُّ به عليه، ولم يُصَرِّحْ. انتهى ولا يختلف اثنان، في أن القاضي، إذا أراد أن يُحَدِّدَ جُرْمَ الْجَانِي، فيجب أن يَنْطِقَ بِمُسَمَّى الْجُرْمِ كما هو، دون أن يُكَنِّيَ، أي يُسَمِّيَ الْجُرْمَ بغير اسمه مما يَدُلُّ عليه، وذلك حتى لا يَلْتَبِسَ الأمرُ على الْجَانِي، خاصَّةً إذا اعْتَرَفَ الجاني بِجُرْمٍ، يَشْتَرِكُ في مُسَمَّاهُ مع أفعالٍ أخرى، لا تُوجِبُ حَدَّ الرَّجْمِ.

يقول أيلال: وكان صلوات الله عليه، ينطق بالكلام الفاحش، حيث ورد في حديث آخر، أنه قال لشخص: "أُعْضُضْ هن أبيك". وفي حديث آخر: "مَنْ تَعَزَّى بعزاء الجاهلية، فأعضوه بِهَنِ أبيه، ولا تكنوا". بل منسوب للرسول في صحيح البخاري، أنه كان يَسُبُّ المؤمنين، كما في حَدِيثٍ عن أبي هريرة: سمع النبي صلى الله عليه وسلم، يقول: "اللهم، فَأَيُّمَا مؤمن سَبَبْتُهُ، فاجعل ذلك لَهُ قُرْبَةً إليك يَوْمَ القيامة". انتهى (صفحة: 150)

قلت: أولا: لم يَثْبُتْ عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال: "أُعْضُضْ هن أبيك". وإنما روي ذلك بلفظ: "أُعْضُضْ بِهَنِ أبيك"، عن أبي بن كعب رضي الله عنه:

وعن أبي بن كعب أنه سمع رجلا يقول: يا آل فلان، فقال له: "أُعْضُضْ بِهَنِ أبيك"، ولم يُكَنِّ. فقال له: يا أبا المنذر، ما كنت فاحشا؟ فقال: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: "مَنْ تَعَزَّى بِعَزَى الجاهلية فأعضوه بِهَنِ أبيه، ولا تُكَنُّوا". انتهى من "مشكاة المصابيح" للخطيب التبريزي

ولا أَتَّهِمُ أيلال بالكذب على النبي صلى الله عليه وسلم، ولكن أَدْعُوهُ إلى التَّحَقُّقِ، قَبْلَ أن يَنْقُلَ عن غيره ما لا يليق برسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم.

فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّار". متفق عليه

ثم يقول أيلال بَعْدَ ذِكْرِ هذا الحديث الذي لم يَقُلْهُ رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: وفي حديث آخر: "مَنْ تَعَزَّى بعزاء الجاهلية، فأعضوه بِهَنِ أبيه، ولا تكنوا". ولم يذكر أيلال، رَاوِيَ هذا الحديث، ولكن قال بعده مباشرة: بَلْ مَنْسُوبٌ للرسول في صحيح البخاري، أنه كان يَسُبُّ المؤمنين، كما في حديث عن أبي هريرة. انتهى (صفحة: 150)

قلت: إنَّها طريقة مُلْتَوِيَّةٌ، للتَّعتيمِ على القارئ، غَيْرِ الْمُدَقِّقِ، كَيْ يَتَوَهَّمَ أَنَّ كُلَّ هذه الأحاديثِ رواها الإمام البخاري.

وهذا الالتواء والتَّعْتِيمُ، ليس جديدا على أيلال، في هذا الكتاب.

إذن، فقول أيلال: حيث ورد في حديث آخر، أنه (صلى الله عليه وسلم)، قال لشخص: "أُعْضُضْ هن أبيك". انتهى قول أيلال

فلم يَرْوِهِ البخاري، كما أشرنا آنِفًا، إنما رواه الترمذي وأحمد، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى، على أنه من كلام أبي بن كعب، وليس من كلامه صلى الله عليه وسلم.

أما قول أيلال: بأن النبي صلى الله عليه وسلم، يَسُبُّ المؤمنين اعتمادا على حديث: "اللهم، فَأَيُّمَا مؤمن سَبَبْتُهُ، فاجعل ذلك له، قُرْبَةً إليك يوم القيامة". انتهى (صفحة: 150)

قلت: أَجِدُنِي مُضْطَرًّا، لِآتِيَ أيلال بحديث غيره:

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: دَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلَانِ فَكَلَّمَاهُ بِشَيْءٍ، لَا أَدْرِي مَا هُوَ فَأَغْضَبَاهُ، فَلَعَنَهُمَا وَسَبَّهُمَا، فَلَمَّا خَرَجَا، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ أَصَابَ مِنَ الْخَيْرِ شَيْئًا مَا أَصَابَهُ هَذَانِ، قَالَ: "وَمَا ذَاكِ"؟ قَالَتْ: قُلْتُ: لَعَنْتَهُمَا وَسَبَبْتَهُمَا، قَالَ: "أَوَ مَا عَلِمْتِ مَا شَارَطْتُ عَلَيْهِ رَبِّي؟ قُلْتُ: اللهُمَّ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، فَأَيُّ الْمُسْلِمِينَ لَعَنْتُهُ أَوْ سَبَبْتُهُ فَاجْعَلْهُ لَهُ زَكَاةً وَأَجْرًا". رواه مسلم

قول أيلال بعدها: فإذا كان الله تعالى في مُحْكَمِ كتابه يقول في حَقِّ نَبِيِّهِ: "وإنك لعلى خلق عظيم". إلى أن قال: لكن عُبَّادَ الْأَسَاطِيرِ يُفَضِّلُونَ الإساءة لرسولنا الكريم. انتهى (صفحة: 150)

قلت: في هذا الحديث الذي أَتَيْتُ به، نجد قول النبي صلى الله عليه وسلم: " أَوَ مَا عَلِمْتِ مَا شَارَطْتُ عَلَيْهِ رَبِّي؟ قُلْتُ: اللهُمَّ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، فَأَيُّ الْمُسْلِمِينَ لَعَنْتُهُ، أَوْ سَبَبْتُهُ فَاجْعَلْهُ لَهُ زَكَاةً وَأَجْرًا ".

فالنبي صلى الله عليه وسلم، بَشَرٌ كسَائِرِ الْبَشَرِ، يُخْطِئُ ويُصِيبُ، ويَجْرِي عليه ما يَجْرِي على الناس مِنْ أَعْرَاضٍ بَشَرِيَّةٍ، منها الفرح والغضب، والمرض والموت.

وماذا يقول أيلال، في تأثير السُّمِّ في جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم، بعد أن دَسَّتْهُ له وأصحابَه، امرأة يهودية في فتح خيبر؟

وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم، أنه قال في مَرَضِ موته: "ما زالت أُكْلَةُ خيبر تُعَاوِدُنِي في كُلِّ عام، حتى كان هذا أَوَانُ قَطْعِ أَبْهُرِي". رواه ابن السني وأبو نعيم

الرسول جاء بالذبح:

يقول أيلال: جاء في صحيح البخاري، معلقا، حديث منسوب للرسول صلى الله عليه وسلم، يقول فيه: "لقد جئتكم بالذبح". انتهى (صفحة: 151)

قلت: لم أجد في صحيح البخاري، حديثا مُعَلَّقًا بصيغة: "لقد جئتكم بالذبح"، كما يَدَّعِي أيلال، ولَعَلَّ أيلال، اعتمد فيما ادَّعَاهُ على موقع: "الألوكة"، تحت إشراف الدكتور سعد بن عبد الله الحُمَيِّدِ.
https://majles.alukah.net/showthread.php?t=134098

وهذا ما ورد في هذا الموقع: الموضوع: حديث: "جئتكم بالذبح"، رواه البخاري معلقا بدون ذكر المتن، خلافا لمن قال: رواه البخاري مُسْنَدًا.

وفي آخر صفحة الموقع: ورد في تعليق: مصطفى البغا، ما يلي: قلت: الروايات المعلقة فيها: "لقد جِئْتُكُمْ بالذبح"، وفي بعضها: "أما والذي بيده ما أرسلت عليكم إلا بالذبح". انتهى من موقع "الألوكة"

قلت: ويظهر جَلِيًّا من صيغة ما نقلناه من هذا الموقع، أن كاتبه لا علاقة له بعلم الحديث، فيكفي أنه عَرَّفَ الخبر الْمُعَلَّقَ بأنه ما رواه البخاري دون ذِكْرِ مَتْنِهِ. ولَعَلَّهُ تَسْرِيبٌ غير نَزِيهٍ، من أجل الكذب والافتراء، فَتَدَبَّرْ رحمك الله.

قلت: والحديث الْمُعَلَّقُ في الصحيح: هو ما ساقه البخاري دون ذكر سنده، بل قاله بصيغة الجزم، ولم يُسْنِدْهُ بسلسلة رواة.

هذه الطريقة معروفة في صحيح البخاري، حيث يُورِدُ أحيانًا، أَحَادِيثَ مُعَلَّقَةً في التراجم (عناوين الأبواب)، ويكون ذلك لأغراض معينة، منها الاستشهاد أو التلويح برواية مشهورة.

وحِفْظًا للأمانة العلمية: أُصَرِّحُ أن الحديث بصيغة: "والذي نفسي بيده، لقد أرسلني ربي إليكم بالذبح"، رواه الإمام البخاري عن عمرو بن العاص، في كتابه: "خلق أفعال العباد"، وليس في صحيحه كما أَوْهَمَ أيلال.

وقد رُوِيَ الحديث بصيغة: "لقد جئتكم بالذبح"، في كتب أخرى، منها: مسند أبي يعلى وتاريخ الطبري ومسند الإمام أحمد وسيرة ابن هشام ودلائل النبوة للبيهقي.

ففي سيرة ابن هشام وَرَدَت هذه العبارة، بحيث ألقاها النبي صلى الله عليه وسلم، على أعداء الله مِنَ المشركين، الذين آذَوْهُ وأَصْحَابَهُ بغير حق:

قال ابن إسحاق: فحدثني يحيى بن عروة بن الزبير عن أبيه عروة بن الزبير عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: قلت له: ما أكثر ما رَأَيْتَ قريشا أصابوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيما كانوا يظهرون من عداوته؟ قال: حَضَرْتُهُمْ، وقد اجتمع أشرافهم يوما في الحجر، فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: ما رأينا مثل ما صبرنا عليه مِنْ أمر هذا الرجل قط، سَفَّهَ أحلامنا وشَتَمَ آباءنا وعاب ديننا وفَرَّقَ جماعتنا

وسَبَّ آلهتنا، لقد صبرنا منه على أمر عظيم، أو كما قالوا: فبينا هم في ذلك، إذ طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأقبل يمشي حتى استلم الركن، ثم مَرَّ بهم طائفا بالبيت، فلما مَرَّ بهم غمزوه ببعض القول. قال: فعرفت ذلك في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: ثم مضى، فلما مَرَّ بهم الثانية غمزوه بمثلها، فعرفت ذلك في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم مَرَّ بهم الثالثة فغمزوه بمثلها، فوقف ثم قال: "أتسمعون يا معشر قريش؟ أما والذي نفسي بيده، لقد جئتكم بالذبح". انتهى من سيرة ابن هشام

أما الرواية التي وَرَدَتْ في صحيح البخاري، فقد خَلَتْ من عبارة "لقد جئتكم بالذبح"، وهي كالتالي:

عن عروة بن الزبير، قال: سألت ابن عمرو بن العاص: أَخْبِرْنِي بأشدِّ شيء صنعَه المشركون بالنبي صلى الله عليه وسلم، قال: بَيْنَا النبي صلى الله عليه وسلم، يُصَلِّي في حجر الكعبة، إذ أقبل عقبة بن أبي مُعَيط، فوضع ثوبه في عنقه فخنقَه خنقًا شديدًا، فأقبل أبو بكر، حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: "أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ". غافر 28. رواه البخاري

إذن، فالنبي صلى الله عليه وسلم، لم يخاطب بهذه العبارة، أحدا من المسلمين، ألبتة. كما يحاول أن يوهمنا أيلال.

بل ألقاها في وجه رؤوس الكفر، الذين كانوا يؤذونه ويؤذون أصحابه في مكة بغير حق.

ثم ينتقل أيلال لِيَعِيبَ، موقف صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخليفته على إمرة المسلمين من بعده، أبا بكر الصديق رضي الله عنه.

وذلك لما قاتل مانعي الزكاة، بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم. رغم أن عمر رضي الله عنه، عارضه فيما فعل.

وَرَدَ في صحيح البخاري: أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، أن أبا هريرة قال: لما تُوُفِّيَ النبي صلى الله عليه وسلم، واسْتُخْلِفَ أبو بكر، وَكَفَرَ مَنْ كَفَرَ مِنَ العرب، قال عمر: يا أبا بكر، كيف تقاتل الناس، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أُمِرْتُ أن أقاتل الناس، حتى يقولوا لا إله إلا الله الحديث". انتهى

ونجد في هذه الرواية، أَنَّ أبا بكر رضي الله عنه، قاتل المرتدين عن دينهم، ومانعي الزكاة معا.

وإنه لموقف جليل، يُحْفَظُ لأبي بكر رضي الله عنه، في ذاكرة المسلمين عبر الأجيال.. موقف، لولا اتخاذه لضاع الدين، وَفَرَّطَتِ الْأُمَّةُ في الزكاة والصلاة وما دونهما من العبادات.

الرسول يكره الناس على أن يكونوا مؤمنين: (انظر المبحث الرابع: السنة قاضية على القرآن من الفصل الأول: آفة تدوين الحديث) (صفحة: 28 من أسطورة أيلال) لأن أيلال قد أثار هذا الموضوع هناك ورددنا عليه، فلا طائل مِنَ الإعادة.

الرسول يُسْحَرُ فَيَهْذِي:

نَقَلَ أيلال ما رواه الإمام البخاري، عن عائشة رضي الله عنها، وما عقب به ابن حجر على هذا الحديث، وقد ارتأيت أن أسوق لكم ما نقل من أصله، حتى يتابعني القارئ، فيما قصدت أن أَرُدَّ به على أيلال:

عن عائشة قالت: سُحِرَ النبي صلى الله عليه وسلم، حتى إنه لَيُخَيَّلُ إليه أنه يفعل الشيء وما فعله، حتى إذا كان ذات يوم وهو عندي، دعا الله ودعاه، ثم قال: "أشعرت يا عائشة أن الله قد أفتاني فيما اسْتَفْتَيْتُهُ فيه"؟ قلت: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: "جاءني رجلان، فجلس أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي، ثم قال أحدهما لصاحبه: ما وجع الرجل؟ قال: مَطْبُوبٌ، قال: وَمَنْ طَبَّهُ؟ قال: لبيد بن الأعصم اليهودي، مِنْ بني زريق، قال: في ماذا؟ قال: في مشط ومشاطة، وجف طلعة ذكر، قال: فأين هو؟ قال: في بئر ذي أروان". قال: فذهب النبي صلى الله عليه وسلم، في أناس من أصحابه إلى البئر، فنظر إليها وعليها نَخْلٌ، ثم رجع إلى عائشة، فقال: "والله، لَكَأَنَّ ماءها نقاعة الحناء، ولكأن نخلها رءوس الشياطين"، قلت: يا رسول الله، أَفَأَخْرَجْتَهُ؟ قال: "لا، أما أنا، فقد عافاني الله وشفاني، وخشيت أن أثور على الناس منه شرا"، وأمر بها فَدُفِنَتْ. رواه البخاري

يقول الحافظ ابن حجر: ثم ذكر المصنف في الباب سبعة وعشرين حديثا: الأول: حديث عائشة قالت: "سحر النبي صلى الله عليه وسلم الحديث". وسيأتي شرحه في "كتاب الطب"، ووجه إيراده هنا، من جهة

أن السحر، إنما يتم باستعانة الشياطين على ذلك، وسيأتي إيضاح ذلك هناك، وقد أشكل ذلك على بعض الشراح. انتهى من فتح الباري

ثم يقول أيلال: وهاته إساءة بالغة لنبينا، عليه أفضل الصلوات وأزكى التسليم.

وبالإضافة إلى هاته الإساءة، فهذا الحديث، يخالف جُمْلَةً وتفصيلا عِصْمَةَ الرسول وَحِفْظَ الله له. كما يُخَالِفُ قوله تعالى: "نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا". الإسراء 47 انتهى (صفحة: 153-154)

قلت: سبق أن بَيَّنَّا، أن النبي صلى الله عليه وسلم بشر كسائر البشر، مَهْمَا عَصَمَهُ الباري عز وجل، لا يَسْلَمُ مِنْ تدابيره تعالى وتصاريفه، كسائر الأنبياء والمرسلين.

قال تعالى في السحر: "وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِن اَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ". البقرة 101

وإذا قَدَّرَ الله تعالى أن يُصَابَ أَحَدٌ مِنْ عباده بالسحر، ولا يَهُمُّ أن تكون الشياطين موكلة به، فلا رَادَّ لقضائه وقدره.

والصفات الجائزة في حق الرسل: كل صفة يمكن اتصافهم بها، باعتبارهم بشرًا، يفعلون ما يفعل سائر البشر كالأكل والشرب والزواج، ويصيبهم ما يصيب البشر من الأعراض كالأمراض المعتادة، وقيل غير الْمُنَفِّرَةِ.

فالنبي صلى الله عليه وسلم، كان يَضْحَكُ وَيَبْكِي، ويفرح ويحزن، ويَصِحُّ ويمرض، بل وَدَسَّتْ له السُّمَّ المرأة اليهودية وأصحابه، في فتح خيبر، كما ذكرناه آنفا.

وهذا سيدنا أيوب، عليه السلام، أصابه الشيطان بِنُصْبٍ وعذاب:

قال سبحانه على لسانه: "وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ". ص 40

وهذا سيدنا موسى عليه السلام، أَثَّرَ عليه السحر لما ألقى سَحَرَةُ فرعون ما ألقوا. يقول الباري عز وجل: "فإذا حِبَالُهُمْ وعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إليه مِنْ سِحْرِهِمْ أنها تَسْعَى، فأوجس في نفسه خِيفَةً موسى". طه 65-66

واقرأ أيها القارئ الكريم، قوله تعالى: "وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيءٍ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ". الحج 50

وكثير من الأنبياء والرسل، قُتِلُوا مِنْ طرف الكفار مِنْ أممهم:

قال الباري عز وجل: "وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيءٍ قُتِلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ، فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا، وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ". آل عمران 146

فكل هذه الأعراض البشرية، لا تُزْرِي بشيء مِنْ مقام النبوة، بل تُؤَكِّدُ أن الأنبياء والرسل بَشَرٌ كسائر البشر. وذلك ما يعتقد أهل السنة والجماعة مِنْ خِيَّارِ هذه الأمة.

الرسول يُصَلِّي بدون وضوء:

أتى أيلال بهذا الحديث من صحيح البخاري، وهو مَرْوِيٌّ عن ابن عباس رضي لله عنهما:

حدثنا أحمد قال: حدثنا ابن وهب قال: حدثنا عمرو عن عبد ربه بن سعيد عن مخرمة بن سليمان عن كريب مولى ابن عباس عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: نِمْتُ عند ميمونة، والنبي صلى الله عليه وسلم، عندها تلك الليلة، فتوضأ ثم قام يصلي، فقمت على يساره، فأخذني فجعلني عن يمينه، فصلى ثلاث عشرة ركعة، ثم نام حتى نفخ، وكان إذا نام نفخ، ثم أتاه المؤذن، فخرج فصلى ولم يتوضأ. قال عمرو: فَحَدَّثْتُ به بكيرا، فقال: حدثني كريب بذلك. رواه البخاري

والذي لا يفهمه أيلال وأصحابه، هو أن النبي صلى الله عليه وسلم، وإن كان بشرا كسائر البشر، إلا أنه نبي مرسل، خَصَّهُ الله بما لم يخص غيره، فلا يجب أن نتعامل معه كسائر أفراد الأمة.

ومِنْ أمثلة ذلك، أنه صلى الله عليه وسلم، كان يواصل الصيام، أي يصوم يومين وأكثر، دون أن يفطر، ولو بجرعة ماء. ونهى أصحابه عن الوصال في الصوم.

فعن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: "لا تواصلوا"، قالوا: إنك تواصل؟ قال: "لستُ كَأَحَدٍ منكم، إني أُطْعَم وأُسْقَى"، أو: "إني أبيت أُطْعَم وأُسْقَى". رواه البخاري

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إيَّاكُم والوِصال"، قالوا: فإنَّك تواصِل يا رسول الله؟ قال: "إنَّكم لستُمْ في ذلك مثلي، إنِّي أَبِيتُ يُطْعِمُني ربِّي ويَسقيني، فاكلفوا مِنَ الأعمال ما تُطيقون". رواه مسلم

قلت: أما ما نقله أيلال مِنْ صحيح البخاري، عن ابن عباس رضي الله عنهما. فكان الأولى به أن ينقل من صحيح البخاري رواية عائشة رضي الله عنها، لأن هذه الرواية يجيب فيها رسول الله عَمَّنْ ظَنَّ، مِنْ أمثال أيلال، أنه صلى الله عليه وسلم، صَلَّى بغير وضوء. والرواية كالتالي:
حدثنا عبد الله بن مسلمة عن مالك عن سعيد المقبري عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، أنه سأل عائشة رضي الله عنها، كيف كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان؟ قالت: ما كان يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة، يصلي أربع ركعات، فلا تسأل عن حُسْنِهِنَّ وَطُولِهِنَّ، ثم يُصَلِّي أربعا، فلا تسأل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي ثلاثا، فقلت: يا رسول الله، تنام قبل أن توتر؟ قال: "تنام عيني ولا ينام قلبي". رواه البخاري

الرسول يَخْتَلِي بامرأة متزوجة، وينام عندها وهي تفلي رأسه من القمل: (انظر المبحث الخامس: جناية الحديث من الفصل الثاني: آفة علم الحديث) فهو اجترار مِن ايلال، رددنا عليه هناك. (أُنْظُرْ صفحة: 101 من هذا الكتاب)

الشيطان يطعن رسول الله عند ولادته:
روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "كل بني آدم يطعن الشيطان في جَنْبَيْهِ بأصبعه حين يُولَدُ، غير عيسى ابن مريم، ذهب يطعن فطعن في الحجاب". انتهى
قلت: سبق أن ذكرت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، بشر كسائر البشر، وما يجري عليهم يجري عليه. فلا حرج إذا قَدَّرَ الله أن يطعن الشيطان الناس جميعا عند ولادتهم، وكان النبي صلى الله عليه وسلم، واحدا مِنْ هؤلاء الناس.
ولو تَفَكَّرَ أيلال قليلا في هذا الحديث، لما فاته قول النبي صلى الله عيه وسلم: "غير عيسى ابن مريم". فقد استثنى صلى الله عليه وسلم، عيسى عليه السلام مِنْ طَعْنِ الشيطان. ليستنتج صدق رسالة محمد صلى الله

عليه وسلم، لأنه ذكر نبي المسيحيين بكل خير. ولو لم يكن صادقا، لكان الأولى أن يَسْتَثْنِيَ نفسه ويقول: غيري، فَتَدَبَّرْ.

الشيطان يُعَلِّمُ الدين والرسول يُقِرُّ على التعلم منه:

قلت: هذا العنوان مُبَالَغٌ فيه، كغيره من العناوين التي عَوَّدَنَا أيلال على تضخيمها وتهويلها، لكي يثير انتباه القارئ ويؤثر عليه.

والشيطان في حديث أبي هريرة الذي رواه البخاري في صحيحه، لا يُعَلِّم الدين، وإنما أَسْدَى نصيحة لأبي هريرة، بعد أن خاف على نفسه. فالذي يُعَلِّمُ الدين، يُلَقِّنُكَ العقائد والشرائع والمعاملات والعبادات.

فقد أمسك أبو هريرة في بيته قبل الفجر، بالشيطان لعنه الله تعالى، وهو يَحْثُو مِنْ طعام زكاة رمضان، الذي وَكَّلَهَ رسول الله صلى الله عليه وسلم، بحفظه. فأطلق سراحه بعد أن اسْتَعْطَفَهُ، لكنه عَادَ، ثم أطلق سراحه، للمرة الثانية فعاد، وفي المرة الثالثة، قَرَّرَ أبو هريرة أن يَرْفَعَهُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. فَعَرَضَ عليه الشيطان أن يُطْلِقَ سَرَاحَهُ، مُقَابِلَ أن يُعَلِّمَهُ كلمات ينفعه الله بها. فقال له: إذا أَوَيْتَ إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي: "الله لا إله إلا هو الحي القيوم"، حتى تَخْتِمَ الآية، فإنك لن يزال عليك مِنَ الله حافظ، ولا يَقْرَبَنَّكَ شيطانٌ حتى تُصْبِحَ.

فخَلَّى أبو هريرة سبيله. فلما أصبح أبو هريرة، حكى ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم، فقال له: "أَمَا إنه قد صَدَقَكَ وهو كَذُوبٌ".

فالشيطان هنا، لا تقتضي إحاطته بهذه الفائدة، أنه فقيه في الدين، وإنما لأنه شيطان، والشيطان جِنِّيٌّ، والْجِنُّ يَرَوْنَ ما لا نرى، ويعرفون ما لا نعرف، والشيطان كذلك.

فهذا الشيطان لعنه الله تعالى يُفْصِحُ بذلك، لما رأى الملائكة يوم بدر:

قال تعالى: "فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ". الأنفال 49

كما أن الجِنَّ لَمَسَتِ السماء عند البِعثة فوجدتها مُلِئَتْ حَرَسًا شديدا وشُهُبًا، وهو مِمَّا لا طاقة لنا بِرُؤْيَتِهِ أو الاِطِّلاع عليه.

قال سبحانه: "وَإِنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا". الجن 8

فكيف يَخْفَى على الشيطان رؤية حَافِظٍ مِنَ الله، يَحْفَظُ قارئ آية الكرسي، لَيْلَتَهُ حتَّى يُصْبِحَ؟

الفصل الخامس: من ألف صحيح البخاري؟

أولا- النسخة الأصلية لصحيح البخاري

ثانيا- نسخة منجانا

ثالثا- صحيح البخاري والتلاميذ

رابعا- صحيح البخاري والحافظ ابن حجر العسقلاني

خامسا- اختلاف نُسَخِ صحيح البخاري

سادسا- مَنْ أَلَّفَ صحيح البخاري؟

أيلاليات الفصل الخامس: مَنْ أَلَّفَ صحيح البخاري؟

أولا- النسخة الأصلية لصحيح البخاري:

وهو- كما أثبتنا – مليء بالطوام الكبرى، والخرافات الجسيمة والإساءات البالغة للدين وللرسول ولرب العزة وللإنسان وللحيوان أيضا. (صفحة 163)

ثانيا- نسخة منجانا:

تعجبت حَقًّا مِنْ تَكَلُّسِ هاته العقول وتَحَجُّرِهَا، وحاولت أن أناقش كلامهم جاهدا. (صفحة 244)

ثالثا- صحيح البخاري والتلاميذ:

إذن، فصحيح البخاري –وفقا لهاته الرواية– تَوَاتَرَ عن البخاري نَفْسِهِ، وبذلك، فَتَوَاتُرُ صحيح البخاري عن البخاري، يُنَافِسُ تَوَاتُرَ القرآن الكريم، حسب ادعاء هؤلاء. (صفحة 255)

وبما أن الشيوخ الذين يمثلون الكهنوت الديني، مُغْرَمُونَ بالاستدلال بأقوال الرجال، واعتبارها كلاما مقدسا لا يناقش. (صفحة 257)

بل ويُكَفِّرُونَ أهل القبلة إن أنكروا رِوَايَةً مِنْ مَرْوِيَّاتِهِ، ولا يَتَوَرَّعُونَ ولا يُراعون لله ولا لخلقه حرمة. (صفحة 259)

سادسا- من ألف صحيح البخاري؟

إننا إزاء معضلة حقيقية، فكل الْمُحَدِّثِينَ يعرفون هذا، لكنهم يتجاهلونه ويغلطون الناس، ويخفون الحقيقة المرة، كُلُّ هذا فقط ليعيش الكهنوت، فهو يَقْتَاتُ على مِثْلِ هاته الخرافات، وَيُحَقِّقُ وجوده منها وبها، وبالتالي لا يمكن أن يستغني عن هذا التراث المليء بمنابع الإرهاب التي وجب تجفيفها والقضاء عليها قضاء مُبْرَمًا. (صفحة 279)

حتى لأني استمع الساعات الطوال لِخُطَبِ هؤلاء الشيوخ، فلا يكادون يستدلون بآية مِنْ كلام الله واحدة، بَيْنَمَا تَجِدُ قال فلان عن فلان هي المسيطر على كلامهم، ليرفعوا تلك الأقوال إلى مكانة القداسة ويُسْدِلُونَ عليها مِنْ حُلَلِ العصمة ما تيسر لهم، وما لم يتيسر. (صفحة 279-280)

مِنْ حَقِّنَا إذن أن نقول لهم أن صحيح البخاري كتاب مجهول المؤلف، لا أصول له، ولا حقيقة لوجوده، فهو كتاب لقيط، جمع بَيْنَ طَيَّاتِهِ أهواء أناس، وضعوا فيه ما أرادوا لِيُبَرِّرُوا أفعالهم، ويُؤَسِّسُوا عليها كَهَنُوتَهُمْ. (صفحة 280)

المبحث الأول: النسخة الأصلية لصحيح البخاري

بعد أن يَئِسَ رشيد أيلال، من إيهام الْقُرَّاءِ الأفاضل بأن شخصية الإمام البخاري، لا تقوم سوى على الخرافات والأساطير، وبأن الإمام البخاري، مطعون فيه مِنْ طَرَفِ شيوخه وأقرانه. كل ذلك مستندا على التمويه، وعلى تحميل النصوص ما لا تحتمل، لجأ في هذا المبحث، للتشكيك في نسبة الجامع الصحيح للإمام البخاري، مُتَذَرِّعًا بانعدام نسخة للصحيح خَطَّهَا البخاري بيمينه.

وسَيَتَبَيَّنُ لكم جَلِيًّا أيها القراء، في رَدِّنَا على ما افتراه، أن تَذَرُّعَهُ بنسخة تكون بخط الإمام البخاري نفسه، أمر لا يقبله عاقل.

اِسْتَهَلَّ أيلال مَبْحَثَهُ الأول: النسخة الأصلية لصحيح البخاري، من الفصل الخامس. اِسْتَهَلَّهُ بالتساؤل عن نسخة صحيح البخاري الأصلية، أي النسخة التي خَطَّهَا البخاري بيمينه.

والجميع يعلم، أنه لا توجد نسخة أصلية لأي كتاب مِنْ كتب الحديث، بل للكتب المقدسة عامة، ولِمَا كتبه فلاسفة اليونان، والمؤرخون والأدباء، وغيرهم.

وهو بهذا التساؤل الغريب، يُكَذِّبُ بكل ما ذكرناه من ديانات وفلسفة وتاريخ وآداب. وبصيغة أوضح: ينفي التراث الإنساني العالمي جُمْلَةً وتفصيلا.

ثم يقول: وهذا تَحَدٍّ رفعناه مرات عدة قبل خمس سنوات، ولا زلنا نرفعه إلى الآن، نتحدى هؤلاء الشيوخ المداحين، أن يُقَدِّمُوا لنا المخطوطة الأصلية التي خَطَّهَا الشيخ البخاري عندما كان يؤلف كتابه الجامع الصحيح. انتهى (صفحة: 163)

قلت: يتحدث أيلال وكأنه هو أول مَنْ فَطِنَ للتساؤل عن النسخة التي خطها البخاري بيده. في حين أن من قبله من المرجفين، سبقوه إلى ذلك منذ عقود.

ثم يقول: وحتى نُوَفِّرَ العناء على هؤلاء الشيوخ، لأننا نعرف مسبقا عجزهم عن الإجابة، فقد حاولنا البحث نيابة عنهم، عن المخطوطة الأصلية لصحيح البخاري. انتهى (صفحة: 164)

قلت: وكأن رشيد أيلال بكلامه هذا، سيبحث في مكتبات العالم، وفي الخزانات العامة والخاصة وفي خزانات المساجد والزوايا، وغيرها.

لكن الذي لا يَنْتَظِرُهُ أحد، هو أن أيلال فَتَحَ موقع: "أهل الحديث"، فوجد فيه لائحة لمخطوطات صحيح البخاري، تتوفر عليها خزانة الملك عبد العزيز العامة بالسعودية، فنقل منها ما شاء وعفا عَمَّا شاء، هذه اللائحة أنجزها مَنْ سَمَّاهُ مؤرشف المكتبة إبراهيم اليحيى.

ويَعِيبُ أيلال على هذا المؤرشف، تسمية هذه المخطوطات بالأصلية، لأنها ليست بِخَطِّ الإمام البخاري، وكأنه يَرْمِي إبراهيم اليحيى بالكذب والتدليس، وربما أن أيلال، لجهله، لم يعرف أنه اصْطُلِحَ على تَسْمِيَّةِ النُّسَخِ الأصلية، اَلنُّسَخَ التي عُثِرَ عليها بِخَطِّ نَاسِخِيهَا، ولو لم يكونوا مؤلفيها.

ثم يقول: وسننقل العرض المفصل للائحة المخطوطات "الأصلية"، لصحيح البخاري بمكتبة الملك عبد العزيز العامة. انتهى (صفحة: 164)

ولم ينقل لنا سوى ثمانية وستين مخطوطة. على أن هذا العدد، يمثل سائر مخطوطات صحيح البخاري التي تتواجد في هذه المكتبة.

مع العلم أنه ذَكَرَ أن مخطوطات العالم كلها تَرِدُ إلى هذه المكتبة.

يقول رشيد أيلال: وَرُبَّ سائل يسأل، أو معترض يعترض، ليقول أن ما حاولت نَقْلَهُ إليكم مِنْ هاته المخطوطات ليس إلا في مكتبة واحدة من مكتبات العالم الإسلامي الممتد الأطراف، ولربما تكون هناك مخطوطة بِخَطِّ يَدِ الشيخ البخاري للجامع الصحيح، في إحدى هاته المكتبات، وَالرَّدُّ على هذا سآخذه مِنَ المؤرشف إبراهيم اليحيى الذي عَرَضَ لنا هاته المخطوطات، حيث أَكَّدَ أن مكتبة الملك عبد العزيز لها اتِّصَالٌ وَتَعَامُلٌ مَعَ كُلِّ مكتبات العالم. انتهى (صفحة: 240-241)

قلت: أولا: ليس لدى رشيد أيلال أي فكرة عن عَدَدِ مخطوطات صحيح البخاري في العالم أجمع.

فعدد مخطوطات صحيح الإمام البخاري رحمه الله، في مكتبات العالم، حسب إحصاء الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط هو: 2327 مخطوطا.

فإذا كانت مكتبة الملك عبد العزيز العامة لا تتضمن سوى ثمانية وستين مخطوطة، فلا يمكن أن تشمل جميع مخطوطات العالم، كما يَدَّعِيهِ أيلال، وهي بالعدد الذي ذكرناه آنفا.

ثانيا: تاريخ نسخ المخطوطات التي أتى بها أيلال من مكتبة الملك عبد العزيز العامة، يتراوح بين القرن الثامن والقرن الثالث عشر.

يقول رشيد أيلال: يَتَأَكَّدُ لنا بما لا يَدَعُ مجالا للشك، أن هناك تغليط (الصواب: تغليطا) للرأي العام، عندما يَدَّعِي المؤرشف أن هاته هي النسخ الأصلية لصحيح البخاري، لأنها كلها نُسَخٌ تَبْعُدُ عن التاريخ المعروف لكتابة صحيح البخاري بمئات السنين. انتهى (صفحة: 240)

فالسؤال المطروح: أليس في هذه المكتبة مخطوطات لصحيح البخاري، نسخت بتواريخ متقدمة عن القرن الثامن؟

فإن كان الجواب ببلى، فبذلك يكون رشيد أيلال قد وَقَعَ في زَلَّتَيْنِ:

الزلة الأولى: انتقص من مجهودات المكتبة في وضع لائحة لهذه المخطوطات، وأساء إلى سمعتها.

الزلة الثانية: خيانة الأمانة العلمية، وما يقتضيه البحث العلمي مِنْ صدق ونزاهة.

وإن كان الجواب بنعم: فإن لائحة المكتبة، لائحة ناقصة لا تَفِي بِالطَّلَبِ. وهذا ما لا أعتقده.

وقد حاولت أن أعرض على الْقُرَّاءِ بعض النُّسَخِ لصحيح البخاري، يتقدم تاريخ نسخها على القرن الثامن. واعتمدت في إيرادها:

أولا: على موقع: "مركز ابن القطان للدراسات والأبحاث في الحديث الشريف والسيرة العطرة".

مقال بعنوان: "مِنْ أَقْدَمِ نُسَخِ الجامع الصحيح للإمام البخاري في خزائن الكتب المخطوطة بالمغرب". إعداد: الأستاذ الباحث رضوان الحصري.

ثانيا: كتاب: "صحيح البخاري في الدراسات المغربية من خلال رُوَّاتِهِ الأولين ورواياته وأصوله". لصاحبه الأستاذ محمد عبد الهادي المنُّوني رحمه الله تعالى، (1915- 1999م) عَلَّامَةٌ وفقيه، ومؤرّخ مغربي رائد في تاريخ المغرب وحضارته، وخبير في المخطوطات والوثائق، ورائد في البحث المصدري.

ثالثا: كما أتينا بِنُسَخٍ أَشْهَرَ مِنْ أَنْ تُعْزَى إلى مَرْجِعٍ مُعَيَّنٍ.

قلت: لقد عرض رشيد أيلال هذا الجدول على سبيل حَصْرٍ جميع مخطوطات صحيح البخاري، في حين أنها أكثر مِنْ أن نحصرها في فصل من كتاب.

وقد اقتصرنا على مرجعين اثنين، كانا بين أيدينا، ولم يتطلب منا الأمر مشقة البحث وَالتَّحَرِّي، لِنَعْثُرَ على مخطوطات أخرى خارج جدول رشيد أيلال، منها ما هو أشهر مِنْ أن نذكر مرجعه.

ولا أظن رشيد أيلال قادرا معرفيا وعزما وهمة على أن يتتبع مخطوطات الصحيح الموجودة، ولو في بلدنا الحبيب المغرب الأقصى، ناهيك عن سائر بلدان المعمور.

فإننا لم نلتفت إلى مخطوطات الصحيح في الخزانة الوطنية، وفي الخزانة الملكية، ولم نُجَشِّمْ نفسنا مشقة السفر والتنقل لنبحث في خزانات المساجد والزوايا والخزانات الخاصة.

فلكي نَحْكُمَ على مخطوطات الصحيح، لا يكفي أن ندخل إلى موقع: "منتدى أهل الحديث"، ونقوم بعملية نسخ ولصق، ونوهم أنفسنا، بل نوهم القراء، بأننا قمنا بعمل مُتَفَرِّدٍ مشهود، لجمع عناوين هذه النسخ، وعرضها في جدول.

ويا ليت أيلال نقل لنا محتوى ما عرضه إبراهيم اليحيى من نسخ للصحيح، كاملا. ففي عدم التزامه بذلك، إخلال بالأمانة العلمية التي تُحَتِّمُ الصِّدْقَ والموضوعية.

فيكون مرادنا، بالجدول الذي سنعرضه على القراء الكرام، هو أن يَتَبَيَّنَ لَهُمْ جَلِيًّا، أن ما نقله رشيد أيلال لا يُمَثِّلُ حتى عُشُرَ مِعْشَارِ عدد مخطوطات الصحيح. وأن اقتصاره على إيراد عناوين المخطوطات التي نسخت ابتداء من القرن الثامن، يعتبر محاولة مفضوحة لإيهامهم أَنَّ نَسْخَ صحيح البخاري، لم يبتدئ إلا في بداية القرن الثامن الهجري.

ملحوظة جد هامة:

لم تَرِدْ نُسْخَةُ الإمام اليونيني لصحيح البخاري، في جدول أيلال الذي عزاه إلى مكتبة الملك عبد العزيز العامة. ولا أظن أن مكتبة كهذه تغفل عن ذكر نسخة اليونيني، لشدة ضَبْطِ هذه النسخة وتَمَيُّزِهَا وشهرتها.

تقرير عن نسخة اليونيني:

تُعَدُّ نسخة الإمام الحافظ، محدث الشام شرف الدين أبي الحسن علي بن أحمد بن عبد الله بن عيسى اليونيني المعروف بالبعلي، الحنبلي (ت 658هـ)، من أفضل النسخ وأضبطها.

قال الحافظ شمس الدين الذهبي في وصف عمل اليونيني: واستنسخ صحيح البخاري وحرره، حدثني أنه قابله في سنة واحدة وأسمعه إحدى عشرة مرة. وقد ضبط رواية الجامع الصحيح، وقابل أصله الموقوف بمدرسة "آقبغا آص" بسويقة العزيّ خارج "باب زويلة" من القاهرة المعزية، بأصل مسموع على الحافظ أبي ذر الهروي، وبأصل مسموع على الأصيلي، وبأصل الحافظ مؤرخ الشام أبي القاسم ابن عساكر، وبأصل مسموع عن أبي الوقت، وذلك بحضرة الإمام اللغوي النحوي جمال الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الجياني الشافعي (ت 672هـ)، صاحب الألفية في النحو، وقد حرر الإمام اليونيني نسخته أحسن تحرير. انتهى من السير. كله انتهى من كتاب: المدخل إلى صحيح البخاري لمحمد أبو الهدى اليعقوبي.

وقد وصف أحمد شاكر نسخة الإمام اليونيني بأنها: "أعظم أصل يوثق به في نسخ صحيح البخاري". انتهى من: النسخة اليونينية من صحيح البخاري لأحمد محمد شاكر

قال أبو عبد الله الجبر: فهذه الاصول والنسخ التي اعتمد عليها، أي الإمام اليونيني، وهي في غاية النفاسة، وكلها مِنْ عِدَّةِ روايات:

- فنسخة ابن عساكر من طريق الْكُشْمَيْهَنِي وطريق ابن شبوية، وهما عن الْفَرَبْرِيِّ.
- ونسخة السمعاني من طريق كريمة عن الْكُشْمَيْهَنِي، ومن طريق أبي الوقت عن الداودي عن الحموي (وهي من مسموعات اليونيني) والْكُشْمَيْهَنِي والحموي عن الْفَرَبْرِيّ.
- ونسخة ابن ابي الحطيئة عن الحضرمي عن أبي القاسم (هذه غير الرواية المشهورة في المغرب من طريق الصدفي عن الباجي) عن أبي ذر الهروي، وهو عن شيوخة الثلاثة: الحموي و الْمُسْتَمْلِي والْكُشْمَيْهَنِي، ثلاثتهم عن الْفَرَبْرِيِّ.
- ونسخة الأصيلي عن أبي زيد، وعن الجرجاني، وهما عن الْفَرَبْرِيّ عن البخاري. انتهى من: "ملتقى أهل الحديث"

قلت: احتوت كوسوفو (مسجد هادومي) على نسخة نادرة وعالية الجودة من البخاري برواية اليونيني، نُشرت حديثًا بعد استردادها، ولا يعرف مثيل لها إلا في مكة المكرمة وحالها متدهور.

وقد أعلن أيضًا، معهد الدراسات الإسلامية في كوسوفو، عن إصدار أول طباعة علمية لهذه المخطوطة، مما يجعلها مِنْ أحدث المشاريع المعاصرة في تحقيق نسخة اليونيني.

وإليكم جدولا بعناوين نسخ صحيح البخاري التي انتقيناها مِنْ بَيْنِ عَدَدٍ كَبِيرٍ مِنَ النُّسَخِ، واقْتَصَرْنَا على هذا العدد مخافة التطويل:

النسخة	تاريخ نسخها	المصدر
النسخة القطرية تستند إلى نسخة أقدم منها وهي:	570 هجرية	المكتبة الوطنية لدولة قطر (وزارة التربية)
نسخة دار الكتب القطرية	261 هجرية أي بعد وفاة البخاري بخمس سنين	دار الكتب القطرية
نسخة منجانا رواية أبي زيد المروزي عن الْفَرَبْرِيِّ اكتشفت ونشرت من قبل المستشرق منجانا في عام: 1936 ميلادية	370 هجرية	جامعة برمنغهام- المملكة المتحدة
رواية ابن أبي محرز السجلماسي عن أبي ذر	413 هجرية	الخزانة الملكية الرباط-المغرب
رواية الأصيلي	490 هجرية	خزانة المعهد الأصيل بتارودانت-المغرب
نسخة ابن سعادة (النسخة السعادية)	492 هجرية	الخزانة العامة بالرباط-المغرب

نسخة أبي علي الصدفي	قبل سنة 508 هجرية	توجد نسخة مقابلة على أصلها بالخزانة الملكية الرباط–المغرب
رواية الأصيلي	535 هجرية	خزانة ابن يوسف بمراكش–المغرب
مخطوطة دبلن أقدم مخطوطة مكتملة بخط أندلسي	694 هجرية	مكتبة شيستر بيتي دبلن
رواية ابن السكن	698 هجرية	الخزانة الوقفية بالجامع الأعظم بتازة–المغرب
نسخة ابن أبي الصيف	القرن السابع	مكتبة ثناء الله زاهدي–باكستان
نسخة النويري	725 هجرية	مكتبة كوبرلي–تركيا
نسخة عبد الغني المقدسي نسخة من أبي الوقت	745 هجرية	مكتبة الدولة–برلين
نسخة القرشي سبط ابن العجمي	746 هجرية	مكتبة شيخ الإسلام فيض أفندي–تركيا
نسخة البقاعي	800 هجرية	مكتبة الوزير كوبرلي استنبول–تركيا
رواية ابن منظور عن أبي ذر	1029 هجرية	خزانة تمكروت–المغرب

وقد نَقَلَ رشيد أيلال في هذا المبحث وحده من: "منتدى السودان": مِنْ صفحة 169 إلى صفحة 239، أي ما مجموعه: 72 صفحة.

وإنها لطريقة مُبْتَذَلَةٌ منه، يَسْتَهْجِنُهَا الباحثون، وهو يَنْقُلُ صُوَرَ المخطوطات مِنَ الْمُنْتَدَى، لِيَلْعَبَ على أفكار الشباب وعلى غير ذوي الاختصاص، ويوهمهم بأنه بارع في علم توثيق المخطوطات، ثم هي طريقة استعملها في مواضع عِدَّةٍ مِنْ كتابه الأسطورة، لأنه لا يملك النفس الطويل للكتابة، فَيَحْشُرُ حتى مالا فائدة مِنْ حَشْرِهِ لتضخيم حجم الكتاب. فيكفيه أنه أشار إلى المرجع الذي نقل منه كل هذه الصفحات.

ثم يتناقض رشيد أيلال مع نفسه، حين يَسْتَدِلُّ بما جَرَدَهُ الدكتور "كوركيس عواد"، مِنْ عناوين مخطوطات صحيح البخاري، في كتابه: أقدم المخطوطات العربية..

ويتمثل هذا التناقض فيما عرضه رشيد أيلال، مما ورد في كتاب "كوركيس": فقد عرض ثلاثة عناوين لمخطوطات يتراوح تاريخ نسخها بين 407 هجرية و495 هجرية.

وسؤالي الموجه إلى أيلال: لماذا لم يشتمل جدولك السابق على عناوين هذه المخطوطات، ما دمت أخذته عن مؤرشف مكتبة الملك عبد العزيز العامة، التي ادَّعَيْتَ أنها تَضُمُّ جميع مخطوطات العالم؟

وفي خِتام هذا الفصل، يُصَرِّحُ رشيد أيلال، بما يُخْفِيهِ غَيْرُهُ مِنَ الْمُرْجِفِينَ، يُصَرِّحُ تصريحا يفضح خُطَّةَ المرجفين مِنْ قَبْلِهِ، الذين يتفانى في ترديد تفاهاتهم. ويقول: وللإشارة فقط، فما قلناه حول مخطوطات صحيح البخاري، ينطبق على كل كتب الحديث بلا استثناء، ونحن اتخذنا صحيح البخاري نموذجا فقط لباقي هاته الكتب المسماة كتب الحديث. انتهى (صفحة: 243)

وهكذا تَنْفَضِحُ خُطَّتُهُمْ التي تَتَمَثَّلُ في التشكيك في صحيح البخاري، لكي يَسْرِيَ الشك إلى جميع كتب الحديث.

بعد كل هذا، أريد أن أشير إلى ثلاثة أمور يَغْفَلُ عنها كُلُّ مَنْ يَبْحَثُ عَمَّا يُوَثِّقُ به كتاب صحيح البخاري.

الأول: مجموع الأحاديث التي تضمنها صحيح البخاري مع حذف المكرر، حسب ما ذهب إليه ابن حجر: 2602 حديثا.

فالسؤال المطروح: هل انفرد البخاري وحده دون سائر رواة الحديث مِنْ أصحاب الكتب الستة، أو التسعة وغيرها، هل انفرد عنهم جميعا برواية هذه الأحاديث؟

بالطبع يكون الجواب بلا.

فلم أجد لِحَدِّ الآن باحثا قام بمقارنة أحاديث الصحيح بما ورد في جميع كتب الحديث، لكي يُظْهِرَ للناس أن أحاديث صحيح البخاري، قد تكون كلها أو أغلبها في كتب الحديث الأخرى.

لكنني أشير إلى أن علماء الحديث وضعوا كتبا فيما اتفق البخاري ومسلم على روايته، أي ما ورد في صحيح البخاري وفي صحيح مسلم معا. ومن هذه الكتب:

1- الجمع بين الصحيحين: لمحمد بن عبد الله الجوزقي، المتوفى عام 388 هجرية.

2- الجمع بين الصحيحين: لأبي عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح الحميدي، المتوفى عام 466 هجرية.

3- الجمع بين الصحيحين: لأبي محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الإشبيلي، المتوفى عام 582 هجرية.

4- اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان: لمحمد فؤاد عبد الباقي، المتوفى سنة 1967 ميلادية.

وبلغ عدد أحاديث اللؤلؤ والمرجان ما مجموعه: ألفا وتسعمائة وستة أحاديث. (1906)

كما قام الدكتور عواد الخلف بمجهود جبار في جمعه وتصنيفه لكتابه: "صحيح الحفاظ مما اتفق عليه الأئمة الستة". حيث جمع الأحاديث التي رواها أصحاب الكتب الست كافة. بما في ذلك البخاري ومسلم وأصحاب السنن الأربع. فكان مجموعها: أربعمائة وثمانية أحاديث. (408)

الثاني: إننا ونحن ننساق باحثين عن نسخ الجامع الصحيح، ننسى النظر في شروحاته، لأن كل شارح للصحيح يمتلك نسخة منه اعتمد عليها في شرحه. فكل كتاب شَرْحٍ هو بمثابة نسخة لصحيح البخاري.

قلت: وقد جمع محمد عصام عرار الحسني في كتابه (إتحاف القاري بمعرفة جهود وأعمال العلماء على صحيح البخاري) عدد العلماء الذين اعْتَنَوْا بصحيح البخاري فبلغ عددهم 370.

يقول محمد زين العابدين رستم: أول شرح مغربي لصحيح البخاري: "النصيحة في شرح البخاري"، لأبي جعفر أحمد بن نصر الداودي الأسدي، من أئمة المالكية بالمغرب، توفي سنة: 402 هجرية. انظر ترتيب المدارك للإمام مالك

يُعَدُّ ثاني شرح للجامع الصحيح. انتهى من مقال محمد زين العابدين رستم، في: دعوة الحق العدد: 313 السنة: 1995

ويُعَدُّ شرح فتح الباري لابن حجر من أهم الشروح وأكملها، وقد وصفه محمد الشوكاني بقوله: "لا هجرة بعد الفتح".

وقد تضمن شرحه التعليق ونقاش الأسانيد، وتضمن أيضاً الفقه والأصول واللغة ومناقشة المذاهب والآراء المتعلقة بالحديث المشروح.

قلت: ذكر الإمام أبو عبد الله السخاوي، في كتابه "عمدة السامع والقاري في فوائد صحيح البخاري"، ما مجموعه واحدا وأربعين شرحا للصحيح، اقتصرنا منها على اثني وعشرين شرحا، نوردها بتصرف في التالي:

قال السخاوي: اعتنى العلماء قديماً وحديثاً بشرح هذا الكتاب القيم، فمن ذلك:

1- أعلام السنن: أبو سليمان الخطابي، المتوفى سنة 388 هجرية.

2- شرح صحيح البخاري: ابن بطال القرطبي المالكي، المتوفى سنة 449 هجرية.

3- شرح مشكل البخاري: محمد بن سعيد بن يحيى بن الدبيثي الواسطي، المتوفى سنة 637 هجرية.

4- شرح البخاري: يحيى بن شرف النووي، اَلْمُتَوَفَّى سنة 676 هجرية. شرح فيه كتابي: "بدء الوحي، والإيمان"، ولم يكمله..

5- شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح: لمحمد بن عبد الله بن مالك، المتوفى سنة 672 هجرية.

6- التنقيح في شرح الجامع الصحيح: محمد بن بهادر الزركشي، المتوفى سنة 794 هجرية.

7- الراموز على صحيح البخاري: علي بن محمد اليونيني، المتوفى سنة 701 هجرية.

8- التوضيح لشرح الجامع الصحيح: عمر بن علي بن الملقن، المتوفى سنة 805 هجرية.

9- الإفهام شرح صحيح البخاري: جلال الدين البلقيني، المتوفى سنة 824 هجرية.

10- الكوكب الساري: علي بن الحسين بن عروة المشرفي الموصلي الحنبلي، المتوفى سنة 837 هجرية.

11- التلقيح لفهم قارئ الصحيح: برهان الدين بن محمد بن خليل الحلبي سبط ابن العجمي، المتوفى سنة 841 هجرية.

12- فتح الباري بشرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني، المتوفى سنة 852 هجرية. وهو أشهر تلك الشروح.

13- عمدة القاري: محمود بن أحمد بن موسى العيني، المتوفى سنة 855 هجرية.

14- الكوثر الجاري إلى رياض البخاري: أحمد بن إسماعيل بن عثمان الكوراني، المتوفى سنة 857 هجرية.

15- شرح القاضي أبي بكر بن العربي، المتوفى سنة 543 هجرية.

16- النجاح في شرح كتاب أخبار الصحاح: نجم الدين أبو حفص عمر بن محمد النسفي الحنفي، المتوفى سنة 537 هجرية.

17- التوشيح شرح الجامع الصحيح: جلال الدين السيوطي، المتوفى سنة 911 هجرية.

18- إرشاد الساري شرح صحيح البخاري: شهاب الدين أحمد بن محمد الخطيب القسطلاني، المتوفى سنة 923 هجرية.

19- شرح قوام السنة: أبي القاسم إسماعيل بن محمد الأصبهاني، المتوفى سنة 535 هجرية.

20- فيض الباري على صحيح البخاري: محمد أنور شاه الكشميري، المتوفى سنة 1352 هجرية.

21- الكواكب الدراري: شمس الدين محمد بن علي بن محمد بن سعيد الكِرماني، المتوفى سنة 786 هجرية.

22- منح الباري بالسيح الفسيح المجاري في شرح البخاري: مجد الدين الشيرازي، المتوفى سنة 817 هجرية. صاحب: "القاموس المحيط". انتهى من عُمْدَةِ السَّامِعِ وَالقَارِي فِي فَوَائِدِ صَحِيْحِ البُخَارِي للإمام أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن السخاوي، المتوفى سنة 902 هجرية. بتحقيق رضوان جامع رضوان

قلت: وما قلناه في الشروح نقوله في الْمُسْتَدْرَكَاتِ وَالْمُسْتَخْرَجَاتِ.

فمن الْمُسْتَدْرَكَاتِ على صحيح البخاري:

1- المستدرك: لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه الحاكم النيسابوري، المتوفى سنة (405 هجرية).

2- الإلزامات: لأبي الحسن علي بن عمر بن أحمد الدارقطني البغدادي أمير المؤمنين في الحديث، المتوفى سنة (385 هجرية).

3- المستدرك على الصحيحين: للحافظ أبي ذر عبد بن أحمد بن محمد بن عبد الله الأنصاري الهروي، نزيل مكة، صاحب التصانيف الكثيرة، المتوفى سنة (434 هجرية)، وهو كالمستخرج على كتاب الدارقطني.

ومن الْمُسْتَخْرَجَاتِ على الصحيح:

1- مستخرج الحافظ أبي بكر الإسماعيلي الجرجاني، المتوفى سنة (371 هجرية).

2- مستخرج الحافظ أبي بكر البرقاني، المتوفى سنة (425 هجرية).

3- مستخرج الحافظ أبي بكر بن مردويه الأصبهاني الكبير، صاحب التاريخ والتفسير المسند، المتوفى سنة (416 هجرية).

4- مستخرج الغطريفي، اَلْمُتَوَفَّى سنة (377 هجرية).

5- مستخرج الحافظ أبي عبد الله محمد بن العباس، المعروف بابن أبي ذهل الهروي، المتوفى سنة (378 هجرية).

قلت: نستنتج بعد رَدِّنَا هذا على ما أثاره رشيد أيلال في هذا المبحث، أن الجامع الصحيح، هو أعظم من أن تَنْحَصِرَ نُسَخُهُ في خزانة واحدة، بل إن نُسَخَهُ منتشرة في العالم أجمع، بالإضافة إلى شروحاته ومستدركاته ومستخرجاته.

ناهيك عما زخرت به كتب الفقه والتفسير مِنْ استدلالات من الجامع الصحيح، وما يَمُتُّ إليه مِنْ كتب أخرى.

وأرى أن محاولة هؤلاء الْمُرْجِفِينَ، التقليل مِنْ قيمة الجامع الصحيح، لا يزيد هذا الكتاب إلا تَأَلُّقًا وعظمة، ولا يزيد صاحبه إلا رِفْعَةً وبهاء.

المبحث الثاني: نُسْخَةُ مَنْجَانَا

أبدأ بحول الله تعالى بالتعريف بنسخة "منجانا" اعتمادا على ما نَقَلَهُ رشيد أيلال نفسه، وتَحَقَّقْتُ مِنْ صِحَّتِهِ:

هذه النسخة اكتشفها المستشرق الإنجليزي "منجانا"، وهي برواية الْمَرْوَزِيّ عن الْفَرَبْرِيِّ، وَتُعَدُّ أقدم نسخة مخطوطة لصحيح البخاري، (كتبت سنة 370 هجرية)، أي سنة واحدة قبل وفاة الْمَرْوَزِيّ، الذي تُوُفِّيَ سنة: 371 هجرية، أي بعد وفاة البخاري ب 114 سنة، مع العلم أن البخاري توفي سنة 256 هجرية.

سأكتفي ببيان ما رَدَّ به الدكتور أحمد بن فارس السلوم، نقلا عن موقع: "حراس العقيدة". إذ كل ما سَنُورِدُهُ مِنْ ردود، سواء بلفظه أو بغير لفظه، فهو منسوب إليه، حِفَاظًا على الأمانة العلمية.

أما "هرمز منغنا" الشهير "بألفونس منغنا" Alphonse Mingana، فقد وُلد عام 1878 ميلادية، في إقليم كردستان العراق حاليًا، وتوفي عام 1937 في إنجلترا.

تنتمي عائلته إلى الكنيسة الكلدانية الكاثوليكية.

وهو عالم لاهوت آشوري، ومؤرخ، ومتخصص في الدراسات السريانية والاستشراقية، وكاهن سابق، ويشتهر بجمعه وحفظه لمجموعة "منغنا" من المخطوطات القديمة للشرق الأوسط في "برمنغهام". والتي تضم أكثر من 3.000 وثيقة، محفوظة في مكتبة "كادبري" البحثية التابعة لجامعة "برمنغهام".

سأكتفي ببيان ما رَدَّ به الدكتور أحمد بن فارس السلوم، على انتقادات المستشرق هرمز "منغنا"، لنسخة الجامع الصحيح التي بين يديه. كما ورد في: موقع "منتدى حراس العقيدة".

خاصة وأن رشيد أيلال، عَرَضَ لبعض ما أثاره "هرمز منغنا" مِنْ شُكُوكٍ في هذه النسخة، وما رد به الدكتور أحمد بن فارس السلوم به عليه، دون ذكر مصدره.

واقتصرت على ذلك، حتى لا أُثْقِلَ كَوَاهِلَ الْقُرَّاءِ مِنْ غَيْرِ الْمُخْتَصِّينَ، بكلام لا يفهمون معناه، ومصطلحات لا يُدْرِكُونَ مغزاها.

تَخَرَّجَ الدكتور أحمد بن فارس السلوم، من كلية القرآن في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وحصل على الماجستير من كلية الشريعة بجامعة الكويت (قسم التفسير وعلوم القرآن)، ثم حصل على الدكتوراه من كلية الآداب والعلوم الإنسانية في "فاس" بالمملكة المغربية، قسم الدراسات الإسلامية. (مرتبة الشرف الأولى).

وهكذا عَنْوَنَ الدكتور رسالته التي رَدَّ فيها على شُبَهِ "منجانا": "رسالة في الرد على شُبَهِ "منجانا" حول صحيح البخاري".

يقول الدكتور أحمد بن فارس السلوم: إنَّ عامة مَنْ أَلَّفَ أو بَحَثَ في شُبَهِ المستشرقين، فإنه يتناول شُبَهَهُمْ شبهةً شُبهة بالتفنيد والإبطال، وهذا أمر حسن، إلا أنَّ الأحسن منه، أن يُبَيِّنَ منهج المستشرقين الذي يَبْنُونَ عليه شُبَهَهُمْ، ويَقْدَحُونَ منه أباطيلهم، فإذا أبطلنا هذا المنهج وبيَّنَا زيفه وبُهْرُجَهُ، أبطلنا ما بُني عليه من شُبَهٍ واهية، بُنيت على شَفَا جُرُفٍ هَارٍ مِنْ منهج علمي زائف، وكشفنا حقدهم وحسدهم. انتهى

ويُعَقِّبُ رشيد أيلال على ما قاله السلوم قائلا: الملاحظ هنا، أن أحمد بن فارس السلوم غاضب جدا من "منجانا" ومخطوطة البخاري، حيث قام بإضافة النسخة إلى "منجانا" بتعبير يبرز أنه رافض رفضا بَاتًّا هاته النسخة والدراسة المرافقة لها، فهو يعتبر أن ما جاء به "منجانا" مُجَرَّدُ أباطيل وحقد وحسد تندرج في إطار منهج المستشرقين الْمُزَيَّفِ. انتهى (صفحة: 246)

قلت: في هذا التعقيب، يتهم رشيد أيلال الدكتور السلوم بأنه غاضب جدا من "منجانا"، وكأن الأمر لا يتعلق بنقد رجل لرجل، وإنما بخصام بين رجلين في الشارع، يثير أحدهما غضب الآخر، وهو تعبير سَاذَجٌ مِنْ رجل يَدَّعِي التزامه بأحكام النَّقْدِ الْبَنَّاءِ.

يقول الدكتور السلوم:

الشبهة الأولى: عدم وجود نسخة من الصحيح بخط البخاري.

نَصُّ كلام "منجانا": ففي الواقع، كاتب هذه المخطوطة لا يقول: "أجازني شيخي الْمَرْوَزِيُّ المجاز من الْفَرَبْرِيِّ، أن أكتب نص البخاري على طريقة كذا وكذا، ولكنه ببساطة يُقَدِّمُ لنا النص كاملاً مبدوءًا بعبارة: حدثنا الْمَرْوَزِيُّ الذي حدثه الْفَرَبْرِيُّ أن البخاري حدث فلان.... ولا تتناول المعلومات المنقولة شفهيا بهذه الطريقة سوى ذكر الحقيقة التاريخية، أن البخاري تلفظ بهذه العبارة كما هو مذكور في المخطوطة". انتهى

قلت: وبطريقة أبسط، أصوغ ما قاله منجانا بعبارة أوضح: كاتب المخطوطة لا يقول: أجازني شيخي الْمَرْوَزِيُّ المجاز من الْفَرَبْرِيِّ، أن اكتب نص البخاري على طريقة كذا وكذا.

مثال ذلك (كما ورد في رد الدكتور السلوم): أخبرنا أبو زيد محمد بن أحمد، قال: حدثنا محمد بن يوسف، قال: أخبرنا البخاري، قال: حدثنا أبو عاصم.. ثم ساق حديثا.. انتهى

قلت: أبو زيد محمد بن أحمد الْمَرْوَزِيُّ (توفي سنة 371 هجرية) روى النسخة عن محمد بن يوسف الْفَرَبْرِيِّ (توفي سنة 323 هجرية) عن محمد بن إسماعيل البخاري (توفي سنة 256 هجرية).

ومعروف في علم الحديث أن رواية نسخة الكتاب، يشار إليها بهذا السند إلى صاحب الكتاب.

وكذلك الأمر في جميع كتب الحديث المعروفة:

ففي سنن أبي داود مثلا، نجد الخطابي وأبا نعيم مثلا يقولان: أخبرنا ابن داسة أخبرنا أبو داود، بالكتاب كله.

ويرى "منغنا"، أن أبا زيد محمد بن أحمد الْمَرْوَزِيَّ يجب أن يقول: أجازني شيخي الْمَرْوَزِيُّ المجاز من الْفَرَبْرِيّ، أن اكتب نص البخاري على طريقة كذا وكذا.

يقول الدكتور السلوم: أن المسلمين يُفَرِّقُونَ من خلال الأسانيد بين الراوي والمؤلف، فالمؤلف هو الشخص الذي تتغير منه الأسانيد، والراوي هو الذي يروي النسخة بإسناد واحد إلى المؤلف، وهذا ما وقع في نسخة "منجانا". انتهى

وذلك يدل على قلة اطلاع المستشرق "منغنا"، على علوم الحديث، وجهله بما تعارف عليه المحدثون.

يقول رشيد أيلال: ثم إن "منجانا" أيضا، يناقش بداية كل إسناد حديث بعبارة حدثنا البخاري عن غيره، فهل يعقل أن يكون البخاري مؤلف هذا الكلام؟ البداهة تقتضي أن يكون مؤلف الكتاب هو أحد التلاميذ وليس البخاري نفسه، وإلا بدأت العبارة بحدثنا فلان، ولن تجد اسم البخاري ضمن سند كل حديث. انتهى (صفحة: 247-248)

التوضيح: تبتدئ الأسانيد في صحيح البخاري بما يلي: حدثنا البخاري عن فلان

قلت: مِثَالٌ خَارِجٌ عَمَّا وَرَدَ فِي رَدِّ السَّلُومِ: قال البخاري: حدثنا الحميدي عبد الله بن الزبير قال: حدثنا سفيان قال: حدثنا يحيى بن سعيد الأنصاري قال: أخبرني محمد بن إبراهيم التيمي أنه سمع علقمة بن وقاص الليثي يقول: سمعت عمر ابن الخطاب رضي الله عنه على المنبر الحديث.

يستنتج المستشرق "منغنا"، من هذا السند أن البخاري حين يروي عن غيره، فليس هو صاحب الكتاب.

ولا أدري أَبَلَغَ الجهل بهذا المستشرق إلى هذا الحد، أم أنه يتجاهل ما يعرف؟

فأقول: إن الإمام البخاري إنما روى مجمل ما في صحيحه من أحاديث عن غيره عن غيره إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وكأن هذا المستشرق الذي يسير خلفه رشيد أيلال، يظن أن الجامع الصحيح، يجب ألا يتضمن إلا كلام البخاري، وكأنه يحسب الصحيح قصة يحكيها مؤلفها البخاري كسائر القصص، في حين أن البخاري لم يؤلف شيئا، وإنما جمع أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، وأثبت أسانيدها.

ويضيف الدكتور السلوم:

- أن الصحيح كما ذكرتُ له عدة نسخ وروايات، اتصل بنا بعضها، فلو كان الكتاب لِلْفَرَبْرِيِّ مثلا، لما كانت رواية حماد بن شاكر والنسفي لتجيء موافقة له، ولكنها لما جاءت موافقة له، وهُمْ من أقران الْفَرَبْرِيِّ، كان ذلك دليلا على أن الكتاب للبخاري، وليس لراويه.

- تَعَدُّدُ الأسانيد مِنْ طرق كثيرة إلى البخاري، منها ما هو عن الْفَرَبْرِيِّ، ومنها ما هو عن غيره، وهذه الأسانيد مما امْتَنَّ الله به على هذه الأمة، وليس لأهل الكتاب من الأسانيد لا قليل ولا كثير، فهم لا يفقهون هذه الخصيصة، ولا يعلمون مكانتها، ولذلك قال من قال من السلف: الإسناد من الدين. انتهى

ثم يقول الدكتور السلوم: - من الأدلة القاطعة بصحة نسبة الكتاب إلى البخاري، ونسخة "منجانا" على وجه الخصوص، السماعات التي على النسخة، وقد قرأها "منجانا" بمساعدة الحاقد "مرجليوث"، وذَكَرْتُ في مقدمة تحقيق "النصيح"، أنه لم يحسن قراءة السماعات، وأقول الآن: كما أنه لم يحسن قراءة السماعات، فإنه لم يحسن الاستفادة منها، فإن السماعات عندنا هي بمثابة شهادات العلماء والمسلمين طبقة بعد طبقة، على صحة هذا الكتاب، وهي كالخاتم عليه، ولا أريد الإطالة بهذه السماعات، إلا أنها ثابتة في مقدمة "المختصر النصيح" (1/78-86).

وفيها يقول العلماء: سمعت هذا الكتاب الجامع الصحيح على فلان بحق روايته عن فلان، فيسوقون إسناده إلى المؤلف، وذلك في مجالس عِدَّتُها كذا، وصح وثبت في البلدة الفلانية، بتاريخ كذا وكذا.

وإلى هذا المنتهى في التثبت والضبط. انتهى كلام السلوم

الشبهة الثانية:

يقول رشيد أيلال: ويوضح "منجانا" من خلال دراسته لمخطوطته الشهيرة باسمه، أن مخطوطته تلك تختلف عن باقي مخطوطات صحيح البخاري الموجودة لدينا، وذلك بقوله: ميزة تميزت بها هذه المخطوطة عن غيرها: وتنعكس أيضا الاختلافات التي تُمَيِّزُ نَصَّ هذه المخطوطة، مقارنة بما هو موجود في المخطوطات الأخرى في النصوص المطبوعة في الصياغات لصحيح البخاري، التي تُظْهِرُ كَمًّا كبيراً مِنَ الاختلافات في الألفاظ، وسوف أستشهد بنص باب من أبواب صحيح البخاري من كتاب الحج، كما في نقل صحيح البخاري، ومذكور في النسخة الموثقة والمشكّلة التي طبعت في القاهرة عام 1345 هـ جانبًا إلى جانب، مع نفس الباب، كما هو مذكور في مخطوطتنا، وميزة رابعة ظهرت في هذه المخطوطة، وهي أن الكتب تختلف عن الترتيب الموجود في المخطوطات الأخرى والمطبوع...إلخ. انتهى (صفحة: 248)

ويعلق رشيد أيلال على ما قاله "منغنا" قائلا: وحتى الدكتور السلفي أحمد بن فارس السلوم، وهو يحاول الرد على ما أسماه شُبَهَ "منجانا" لم يستطع تكذيب هذا الكلام بل أَقَرَّهُ، وحاول تبريره بكلام ركيك غريب. انتهى (صفحة: 247)

ثم قال أيلال بعد ذلك: وكأنه يحاول أن يقول بأن البخاري، كان في كل مجلس يحدث بصحيحه على شاكلة وعلى طريقة تُغَايِرُ الأخرى، فالاختلاف وارد من الأصل، يعني أن الشيخ البخاري لم يكن يقرأ من كتاب بل كان يسرد صحيحه مشافهة، وكان يقدم ويؤخر، بشكل مغاير في مجلس عن سابقه. انتهى (صفحة: 248)

قلت: رشيد أيلال، يُهَلِّلُ لكل ما يقوله المستشرق "منغنا"، وعندما يسوق ما رد به الدكتور السلوم، لا يسوقه كما هو، بل يأخذ منه ما شاء، لكي يوهم القارئ بما شاء. وسأسوق لكم ما رد به الدكتور السلوم على هذه الشبة، دون زيادة ولا نقصان.

يقول الدكتور: أقول: نعم، هناك اختلاف بين روايات ونسخ صحيح البخاري، سببه ما ذكرته، مِنْ أن البخاري كان يحدث به في أماكن كثيرة، وليس كل الرواة سمعوه في مجلس واحد، بل يختلف التاريخ والمكان والظروف التي سمع منها رواة الصحيح من البخاري، وما يقال عن رواة الصحيح عن البخاري يقال عن رواتهم. ولْأَضْرِبْ لك مثلا: إن الأصيلي والقابسي، تزاملا في سماع الصحيح على أبي زيد الْمَرْوَزِيّ، فسمعا

منه بمكة سنة 353، وكان القابسي ضريرا، فضبط الأصيلي نسخته، ثم رحل الأصيلي إلى بغداد، فسمع الصحيح من أبي زيد مرة أخرى في صفر سنة 359، بعضه بقراءة أبي زيد وبعضه بقراءة الأصيلي.

وبين هذه السماعات الثلاث فُرُوقَاتٌ يسيرة.

ذلك لأن الرواة بشرٌ، قد يطرأ عليهم تصحيف خط وكتابة أو تصحيف سماع وأُذن، وذلك في كلمات يسيرة، معروفة عند العلماء، قد ألفوا في ضبطها وبيان الراجح الصحيح منها مؤلفات، وللقاضي عياض في هذا جهد مشكور في كتابه "مشارق الأنوار على صحاح الآثار"، وللحافظ ابن حجر المنتهى في ذلك كذلك.

ولكن في عبارة "منجانا"، ما يُشْعِرُ أن الخلاف الشديد هو الأصل، وهذا باطل.

ولْأَضْرِبْ لك مثالاً في أَهَمِّ وأكبر فرق بين رواية الأصيلي والقابسي عن أبي زيد الْمَرْوَزِيِّ عن الْفَرَبْرِيِّ عن البخاري، كي تقيس عليه:

في حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في باب: لا يستنجي بروثة، حديث رقم: 156 في الصحيح، ورقم: 92 في المختصر النصيح.

أَنَّهُ سَمِعَ عَبْدَ اللهِ يَقُولُ: أَتَى النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْغَائِطَ، فَأَمَرَنِي أَنْ آتِيَهُ بِثَلاَثَةِ أَحْجَارٍ، فَوَجَدْتُ حَجَرَيْنِ، وَالْتَمَسْتُ الثَّالِثَ فَلَمْ أَجِدْهُ، فَأَخَذْتُ رَوْثَةً فَأَتَيْتُهُ بِهَا، فَأَخَذَ الْحَجَرَيْنِ وَأَلْقَى الرَّوْثَةَ، وَقَالَ: "هَذَا رِكْسٌ".

وَقَالَ أَبُوالحَسَنِ: "رِجْسٌ" بِالجِيمِ. اهـ

أبو الحسن هو القابسي، وهذا هو الخلاف الذي وقع بينهما: أحدهما قال: "ركس"، والآخر: "رجس"، وعلى هذا فقس، فإن عامة الاختلاف بين الرواة في الألفاظ ليس بالجليل، ولكن العلماء على ذلك لم يُغْفِلُوهُ بل بَيَّنُوهُ وصَوَّبُوهُ.

وأما اختلاف كُتُبِ صحيح البخاري، فذلك من هذا القبيل، وسَبَبُهُ هو السبب نفسه الذي لِأَجْلِهِ اخْتَلَفَتْ بعض الألفاظ، فربما جعل بعض الرواة الباب كتاباً فزاد في عدد الكتب، فيقول: كتاب كذا، وهو في نسخة أخرى: باب كذا..

وهذا وَقَعَ في أَوَّلِ الصحيح: إذ ثبت في رواية الأصيلي، من النسخة التي طالعها ابن حجر، قول البخاري: "بسم الله الرحمن الرحيم كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم".

قال الحافظ في (فتح الباري8/1): هكذا في رواية أبي ذر والأصيلي بغير باب، وثبت في رواية غيرهما. اهـ بينما هو في نسخة المهلب من روايته عن الأصيلي: "باب كيف كان بدء الوحي"..كما في المختصر النصيح (1/159)

فيقول قائل: نَقَصَتْ هذه الرواية باباً كاملا، وزادت تلك بابا كاملا، وحقيقة الأمر، أنه نَقْصٌ كَلَا نَقْصٍ، وزيادة في اللفظ لا في الشكل.

وكذا وقع في آخره، ففي رواية الأصيلي والقابسي عن أبي زيد: قال: كتاب الأسماء، ثم ذكر أبواباً ثم قال: كتاب الصفات.. وهو الباب رقم (70)، وأول حديث فيه، رقمه: 2715.

وهو في غير هذه الرواية كتاب واحد، ضم كل هذه الأبواب والأحاديث بالنسق نفسه الذي فَرَّقَتْهُ رواية الأصيلي والقابسي، فكان ماذا في هذا؟!

مع أني أقول: إن مثل هذا الاختلاف في الكتب، قد يكون مِنْ تَصَرُّفِ بعض الرواة، ولذا نجد أن الحافظ يَسْتَصْوِبُ في مثل هذا الخلاف رواية الأكثر، وهذا منهج راجح، ناتج عن فهم ثاقب، وحدس صحيح.

و"منجانا" يتظاهر وكأنه أبو بجدة هذا الاكتشاف، ويطير به في كلمات كبيرة، يعظم هذا الذي وقع عليه، وهكذا شأن المستشرقين، عامتهم يتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور، فإن العلماء المسلمين ذكروا هذا قديماً، وبَيَّنُوهُ، وتكلموا على هذا الاختلاف بَيْنَ النُّسَخِ، وفي الأبواب والكتب، بل وفي عدد الأحاديث.

ولأبي محمد الحموبي أحد رواة الصحيح عن الْفَرَبْرِيِّ، جزء حَقَّقْتُهُ وطبعته، عَدَّ فيه جميع أحاديث صحيح البخاري، وإلى هذا، رعاك الله، المنتهى في الضبط والصيانة. انتهى كلام السلوم

الشبهة الثالثة:

يقول رشيد أيلال: ويُؤَكِّدُ "منجانا" على أن شُرَّاحَ صحيح البخاري كلهم لم تتوفر لديهم نسخة أصلية وأصيلة لصحيح البخاري، بل لم تتوفر لديهم حتى نسخة من نسخ التلاميذ وذلك بقوله: "وقد اطلعتُ على النصوص

المطبوعة لهذه الشروح، وفوجئت بأنهم لم يكن لديهم النصوص القديمة للصحيح، سوى ما أعده السمعاني وابن عساكر والصغاني واليونيني، ومن المعلوم أنهم غالبًا ما يشيرون إلى الْفَرَبْرِيِّ والْكُشْمَيْهَنِي ورواة قدامى آخرين، ولكنهم لم يتوفر لديهم نصٌ مكتوبٌ بأيديهم، ويبدو أنهم تعلموا هذه النصوص فقط على الطريقة التقليدية ومن أعمال محدثين متأخرين مثل أبي ذر وأبي الوقت وغيرهم.

ومن بين ال 27 شارحًا الذين ذكرهم بروكلمان، يحدد تاريخ وفياتهم جميعًا، باستثناء واحد منهم، بعد عام 559 هـ، وهي الفترة التي قد استقر خلالها نص البخاري في شكله النهائي تقريبًا، على يد أفضل الرواة المحققين الأوائل للنص: وهما أبو ذر وأبو الوقت، ولذلك يعتبر عملهم من ناحية النقل القديم لنص البخاري ليس له قيمة كبيرة." اه. انتهى (صفحة: 249)

قلت: وهذا رَدُّ الدكتور السلوم عليه: وأقول مرة أخرى أُتي "منجانا" مِنْ جَهْلِهِ بِنُسَخِ البخاري، وقد عانيتُ كثيراً في فهم هذا الكلام الركيك.

وأقول: كتبَ الرواةُ عن البخاري نُسَخَهُمْ، وعنها انتسخ الرواة عنهم نسخاً لهم، وربما كان للرجل أكثر من شيخ فيكتب نسخة واحدة، ويضبط في حواشيها اختلاف شيوخه، كحال نسخة أبي ذر التي أشار إليها، فإن أبا ذر سمع الصحيح من ثلاثة عن الْفَرَبْرِيِّ، من الحموي والْمُسْتَمْلِي والْكُشْمَيْهَنِي.

وكَتَبَ عنهم النسخة المشهورة، فجاء الرواة عن أبي ذر، فانتسخوا لهم فروعاً عن نسخته الأم، ورووها عنه بعد المقابلة، بعضهم سماعاً وبعضهم قراءة، فنتج عن ذلك فُرُوعٌ لا تَقِلُّ قِيمَةً عَنِ الأصل، وهي متأخرة نسبياً، كنسخة أبي علي الصدفي، فإنها فرع عن رواية أبي ذر الهروي.

وكنسخة ابن سعادة، فإنها فرع عن رواية أبي علي الصدفي.

وقد يحيط بالنسخة المتأخرة، أمور تجعلها أنفس مِنْ مَثِيلَةٍ لها متقدمة، مثل جودة أصولها المنتسخة منها، وقراءات العلماء لها، وسماعاتهم عليها.

وليس تاريخ النسخة دائماً هو الْمُعَوَّلُ عليه في جودة الأصل، وإنما يُعْتَمَدُ على قِدَمِ التاريخ المجرد عن أي شيء: النصارى في تقديم نسخ الأناجيل، لأنه ليس لديهم من أصول الضبط والرواية والأسانيد ما عند المسلمين، فكلما وجدوا نسخة أقدم طاروا بها.

وأما المسلمون فمنهجيتهم في الكتابة والنسخ تختلف..

مثال ذلك: نسخة اليونيني من صحيح البخاري، وهو الحافظ أبو الحسين علي بن محمد بن الحسين اليونيني، فقد جَمَعَتْ نُسْخَتُهُ المتأخرة (في القرن السابع) عِدَّةَ روايات، وذَكَرَ الذهبي أنَّ اليونيني قابل نسخته تلك في سنة واحدة، وأسمعها إحدى عشرة مرة، وقد ضبط رواية الجامع الصحيح وقابل أصله الموقوف بمدرسة "آقبغا آص" بسويقة العزي، خارج باب زويلة من القاهرة، المعزية بأصل مسموع على الحافظ أَبِي ذرٍّ الهروي، وبأصل مسموع على الأصيلي، وبأصل الحافظ مؤرخ الشام أَبِي القاسم ابن عساكر، وبأصل مسموع عن أَبِي الوقت، وذلك بحضرة الإمام اللغوي النحوي جمال الدين أَبِي عبد الله محمد بن عبد الله ابن مالك الطِّائيِّ الجيَّانِيّ الشَّافعيّ صاحب الألفية في النحو.

وقرأ البخاري على ابن مالك تصحيحاً، وسمع منه ابن مالك روايةً، وأملى عليه فوائد مشهورة.

وهذه النسخة النفيسة، طالعها الحافظ ابن حجر واستفاد منها (انظر هدي الساري: 224)

وكذلك طالع الحافظ نسخة الحفصي، وهو متوفى سنة 466 وغيرها. انتهى كلام السلوم. موقع "منتدى حراس العقيدة"

الشبهة الخامسة:

يقول رشيد أيلال: ويؤكد كلامه (أي المستشرق "منغنا")، بتقديم مجموعة مِنَ الأدلة المتعلقة بتلامذته، ونَذْكُرُ منها قوله: ولكن على حد علمي، ليس هناك أي لفظ يشير إلى وجود وثيقة مكتوبة بِخَطِّ يَدِ هذا الراوي... وثَمَّةَ نقطة هامة أخرى ينبغي الانتباه لها هنا، وهي أنه كان هناك العديد من الأقوال الشفهية لِلْفَرَبْرِيّ، الذي كان قد رأى البخاري وسمع منه، تلقاها كُلٌّ مِنْ تلاميذه الْمَرْوَزِيّ والْكُشْمَيْهَنِي، وانتقل عن طريقهم، إما مكتوبًا أو شفهيًا، إلى المحدثين ممن بعدهم، وقد لَفَتْنَا الانتباه إلى ثلاثة (الصواب ثلاث بدل ثلاثة) روايات شفهية، اثنتان مِنَ النص المطبوع وواحدة مِنَ المخطوطة الحالية.. ثم قام رواة متأخرون بِدَمْجِ هذه الأقوال الشفهية لِلْفَرَبْرِيّ داخل نص الصحيح نفسه، وبهذا بات يحوي كثيراً مِنَ الألفاظ التي لم تَنْشَأْ عن البخاري نفسه، بعض هذه الألفاظ يُحْتَمَلُ أنها كُتِبَتْ بواسطة بعض الرواة القدامى، على الملاحظات الهامشية في

النص، والتي يُحْتَمَلُ أنها تَجَسَّدَتْ مُؤَخَّرًا في نَصِّ الصحيح، عن طريق رواة متأخرين كُثُرٍ، مثل أبي ذر وأبي الوقت، وبخصوص المخطوطة التي نحن بصددها، يشير الكاتب إلى أقوال شفهية لِلْفَرَبْرِيِّ، على أنها أقوال مأثورة طارئة على نَصِّ البخاري، ومع ذلك تَدْمِجُ كثيراً (كذا في الأصل، والصواب: تَدْمِجُ كَثِيرٌ) مِنَ المخطوطات الحديثة أقوال الْفَرَبْرِيِّ على أنها جزء من نص البخاري (الأصلي)، تحت كُنْيَةِ الْفَرَبْرِيِّ (أبو عبد الله)، بدون تفسير لذلك، وربما لم يكن النُّسَّاخُ على دِرَايَةٍ بِأَيِّهِمَا كان هو أبو عبد الله، ويُحْتَمَلُ أنه كان أحد المصادر الشفوية للبخاري نفسه، وترك الأمر إلى المحققين النُّقَّادِ والشُّرَّاحِ للصحيح، مثل السمعاني وبالأخص العسقلاني، لإتمام عملية التمييز في نصوصهم بَيْنَ الألفاظ الأصلية التي هي مِنَ البخاري، وبين الإقحامات المزيفة التي أُدْخِلَتْ فيه على شكل تعليقات شفوية للرواة الأوائل. اهـ. انتهى (صفحة: 250-251)

وهذا رَدُّ الدكتور السلوم، يقول: والجواب على هذه الشبهة مِنْ وجوه:

الأول: الإلحاقات والتهميشات لها آداب عند النُّسَّاخِ والرُّوَّاةِ، يعرفها أهل الحديث ويُمَيِّزُونَ ذلك، ويَذْكُرُونَ قواعدها في كُتُبِ المصطلح.

فما يذكره الرواة والنُّسَّاخُ مِنْ زيادات على الأصل، يسميه العلماء: التخريج، ويكون بِخَطٍّ مُخْتَلِفٍ، وفي حواشي الكتاب.

ولو طالع "منجانا" أَيَّ كِتَابٍ مِنْ كُتُبِ أصول الرواية، ثم عرض ما قرأ على النسخة التي بَيْنَ يَدَيْهِ لَوَجَدَ مصداقها، ولَانْحَلَّتْ له هذه الشبهة الافتراضية.

قال التقي ابن الصلاح في (معرفة علوم الحديث، المشهور بمقدمة ابن الصلاح ص196) في النَّوْعُ الْخَامِسُ وَالْعِشْرِينَ: فِي كِتَابَةِ الْحَدِيثِ وَكَيْفِيَّةِ ضَبْطِ الْكِتَابِ وَتَقْيِيدِهِ، ما نصه:

وَأَمَّا مَا يَخْرُجُ فِي الْحَوَاشِي، مِنْ شَرْحٍ أَوْ تَنْبِيهٍ عَلَى غَلَطٍ أَوِ اخْتِلَافِ رِوَايَةٍ أَوْ نُسْخَةٍ، أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ، مِمَّا لَيْسَ مِنَ الْأَصْلِ، فَقَدْ ذَهَبَ الْقَاضِي الْحَافِظُ عِيَاضٌ رَحِمَهُ اللَّهُ، إِلَى أَنَّهُ لَا يَخْرُجُ لِذَلِكَ خَطُّ تَخْرِيجٍ، لِئَلَّا يَدْخُلَ اللَّبْسُ، وَيُحْسَبَ مِنَ الْأَصْلِ، وَأَنَّهُ لَا يُخَرَّجُ إِلَّا لِمَا هُوَ مِنْ نَفْسِ الْأَصْلِ، لَكِنْ رُبَّمَا جَعَلَ عَلَى الْحَرْفِ الْمَقْصُودِ بِذَلِكَ التَّخْرِيجِ عَلَامَةً كَالضَّبَّةِ، أَوِ التَّصْحِيحِ إِيذَانًا بِهِ. انتهى كلام السلوم

ثم يقول الدكتور السلوم: ففي نسخة "منجانا" مِنْ هذه الأمور التي ذكرها التقي ابن الصلاح الشيء الكثير، إذ فيها لحق وتخريج وتصحيح، ولا تكاد تخلو منها صفحة.

على فرض انعدام قواعد الضبط المذكورة أعلاه عند المسلمين، فإن ما افترضه "منجانا" مُمْتَنِعٌ، وذلك لأن صحيح البخاري لم يَتَفَرَّدِ الْفَرَبْرِيُّ بروايته عن البخاري، كي نقع في هذا اللبس الذي لا سبيل لكشفه، بل بمقارنة رواية الْفَرَبْرِيِّ مع رواية غيره تظهر زياداته تلك.

ذكر العلماء في ترجمة الْفَرَبْرِيّ، ما له من زيادات نَصَّ هو عليها، ورواها عنه أصحابه، بل مَيَّزُوا زياداته تلك في أَيِّ رواية عنه.

مثلا: قال الذهبي في ترجمة الْفَرَبْرِيّ في (سير أعلام النبلاء 12/15): وَقَدْ عَلَّى فِي أَوَائِل (الصَّحِيح) حَدِيثَ مُوسَى وَالخَضِر، فَقَالَ: حدثنَاهُ عَلِيُّ بنُ خَشْرَم، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بنُ عُيَيْنَةَ. وَهَذَا ثَابِتٌ فِي رِوَايَة ابْن حَمُّوَيهْ دُونَ غَيْرِها.هـ فهذا من زياداته.

4-هذه الزيادات قليلة جداً، وعامتها في تعيين مُهْمَلٍ، أو رواية كلمة سمعها مِنْ البخاري خارجة عن الحديث. انتهى كلام السلوم

قلت: ملاحظة، جدير بقرائنا الأعزاء أن يُولُوهَا كُلَّ الاهتمام:

أولا: يَنْقُلُ رشيد أيلال ما يقوله المستشرق "منغنا"، ولا يَنْقُلُ مِنْ رَدِّ الدكتور السلوم عليه إلا قليلا، أي لا يلتزم بالحياد ولا يترك القارئ يَطَّلِعُ على ردود الدكتور السلوم، بل يكتفي منها بأسطر قليلة يُؤَوِّلُهَا تأويلا باطلا حسب هواه.

والسؤال الذي أطرحه على رشيد أيلال: ما دُمْتَ لم تُضِفْ شيئا مِنْ عندك، فلماذا لم تَسُقْ ردود الدكتور السلوم كما هي دون نُقْصَانٍ؟

والسبب، يظهر جَلِيًّا للقارئ، مِمَّا أَضَفْتُهُ مِمَّا نَقَصَهُ رشيد أيلال مِنْ رُدُودِ الدكتور. فَكُلُّ قارئ لها يَجِدُ أنها ردود مُقْنِعَةٌ كافية، وتَشْهَدُ لصاحبها بمستوى عِلْمِيٍّ كبير، ومنهج نقدي قويم.

ثانيا: سؤال آخر مُوَجَّهٌ إلى رشيد أيلال: ماذا عن الشبهة الرابعة؟

فقد رَدَّ الدكتور على خمس شُبُهَاتٍ أثارها المستشرق "منجانا"، وقد عَرَضْتَ إليها شُبْهَةً بَعْدَ الأخرى. والسؤال هو: لماذا أخفى رشيد أيلال الشبهة الرابعة ولم يذكرها، بل انتقل مِنَ الشبهة الثالثة إلى الخامسة، متجاوزا الشبهة الرابعة؟

والجواب مرة أخرى من عندي، لأن رَدَّ الدكتور على الشبهة الرابعة رَدٌّ كَاسِحٌ، يفضح المستشرق "منغنا"، وَيُظْهِرُ أنه يَتَسَرَّعُ في إصدار الأحكام دون اطِّلَاعٍ.

وأَجِدُنِي مُضْطَرًّا لِسَوْقِ الشبهة الرابعة التي تجاهلها أيلال، وأسوق ما يتعلق بها مِنْ رُدُودِ الدكتور:

يقول المستشرق "منغنا": والأمر الغريب أن الذهبي الذي يُخَصِّصُ فصلاً مستقلاً عن الخطابي، لم يذكر مِنْ بَيْنِ كتبه شرحاً على البخاري، ولا حتى السبكي في الفصل المطول الذي ذكره عنه، ولذلك يُحْتَمَلُ أن هذا الشرح تناول فقط بعض فصول صحيح البخاري المتفرقة وغير المنسقة، وهو كما رَجَّحْنَا مِنْ قَبْلُ، ما كان منتشرًا بين العامة في مذاهب الحديث المختلفة، ويُدَعِّمُ هذا الافتراض أن صِغَرَ حجمه ومحتوياته في مخطوطة القسطنطينية، التي تحوي هذا الشرح بالمقارنة مع الحجم الكبير لِلنَّصِّ الأصلي للصحيح، ولن نستطيع أن نستنتج أهمية هذا الشرح في تاريخ نقل نص البخاري حتى يَتِمَّ طبع مخطوط القسطنطينية وتَثْبُتُ صِحَّتُهَا، ولا تشير المقارنات المذكورة في هوامش كثير مِنْ مخطوطات البخاري إلى أي قراءة مِنْ طريق الخطابي، ولا حتى التعليقات التاريخية في بعض المخطوطات قبل نص البخاري، لكي تَثْبُتَ صِحَّتُهَا بأسانيد متصلة أو شُبَهٍ متصلة، وقد طُبِعَ حَدِيثًا له شرحه على سنن أبي داود فقط (لا على صحيح البخاري) الذي يذكره العديد مِنَ العلماء المذكورين آنفا. انتهى

وهذا ما رد به الدكتور السلوم: أقول: لم أفهم الترجمة جيدا، إلا أن شرح الخطابي على صحيح البخاري قد طُبع في رسالة علمية في جامعة أم القرى، سنة 1408هـ 1988م بتحقيق: محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود، واسمه: "أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري".

نعم لم يذكر له الذهبي شرح صحيح البخاري في ترجمته، لكنه لم يَنْفِ أن يكون أَلَّفَهُ، فإنه ترجمه في السِّيَرِ والتاريخ والتذكرة، وسمى له كتابا أو كتابين ثم قال: وله مصنفات أخرى..

وقد ذكر هذا الشرح في مصنفات الخطابي، مَنْ هو أَقْدَمُ مِنَ الذهبي، بل ورواه بإسناده، وهو الحافظ ابن خير الإشبيلي (المتوفى سنة 575هـ) فإنه قال في فهرسته (ص170): كتاب "الْأَعْلَام فِي شرح كتاب البُخَارِيّ" لأبي سُلَيْمَان حمد بن مُحَمَّد الْخطابِيّ رَحمَه الله، وَكتاب "المعالم فِي شرح كتاب السّنَن" لأبي دَاوُد السجسْتانِي رَحِمَهُ الله مِنْ تأليفه أَيْضا، وَكتاب "تَفْسِير الْأَدْعِيَة المأثورة عَن رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم" مِنْ تأليفه أَيْضا. انتهى

ثالثا: يقول رشيد أيلال: إذن هذا شيخ مِنْ شيوخ الوهابية يؤكد تأكيدا جازما أن مكتشف أقدم نسخة مِنْ صحيح البخاري في العالم أجمع قد جاء بها مكتشفها "منجانا" ليطعن أصلا في صحيح البخاري. انتهى (انتهى صفحة: 245)

قلت: لا يخفى على أحد محاولة المستشرقين بدءا من الفرنسي هربلو (1635-1695) واليهودي جولد زيهر (1850-1921)، الطعن في السنة النبوية، وكتب الحديث عامة. فلا داعي لأن يلاحظ أيلال ذلك، وَيُلْفِتَ انتباهنا إليه وكأننا نَجْهَلُهُ.

هذه النسخة التي اكتشفها "منجانا"، لا خلاف في أنها أقدم نسخة للجامع الصحيح، وذلك لا يضيف إلا تأكيدا لنسبة الجامع الصحيح إلى البخاري، بوجود أقدم نسخة له، بالإضافة إلى النُّسَخِ المكتشفة قبلها، وربما تُكْتَشَفُ نُسَخٌ أقدم منها فيما سيأتي مِنْ أيام.

ولا ننسى أن نُنَبِّهَ إلى أن هذه النسخة، لا تتضمن سوى 52 ورقة مِنْ صحيح البخاري، فلا يستقيم لنا تَسْمِيَّتُهَا بِنُسْخَةِ الصحيح.

يقول رشيد أيلال: في هذا الوقت بالذات، نجد باحثا عارفا بحقائق الأمور المتعلقة بِنُسْخَةِ "منجانا" برواية الْمَرْوَزِيّ لصحيح البخاري، يواجه هاته النسخة، ويواجه الطعون الْمُقَدَّمَةَ مِنْ صاحبها، ضد صحيح البخاري، وهذا يَدُلُّ دلالة قطعية، على أن هؤلاء لا يعرفون شيئا عن هاته النسخة، ويَتَبَجَّحُونَ بالافتخار والاستدلال بها. انتهى (صفحة: 246)

خَتَمْتُ هذا المبحث، بهذا النص من أسطورة رشيد أيلال، حتى أقرب القارئ مِنْ طريقة تفكيره العقيمة وتَسَرُّعِهِ في إصدار الأحكام على الناس، فهو يَتَّهِمُ مَنْ أَسْمَاهُمْ: "هؤلاء"، يَتَّهِمُهُمْ بأنهم لا يعرفون شيئا عن هذه النسخة، وينتصر للمستشرق "منغنا"، ويُصَفِّقُ لِكُلِّ ما يأتي به مِنْ شُبُهَاتٍ واهية.

قلت: ولْأَتْرُكِ القارئ الكريم، مع هذا القول الْمُتَحَامِلِ، مِنْ رشيد أيلال، وهو يَفْتَرِي على الدكتور السلوم، ويحكم عليه بأنه لم يستطع أن يَرُدَّ على شُبُهَاتِ المستشرق "منجانا"، وبأن كل ما حاوله هو تبرير بكلام ركيك غريب.

فهذا القول وحده، دون النظر إلى سائر هَرْطَقَاتِ كتابه الأسطورة، هذا القول وحده، كاف لِيَعْرِفَ القراء مع مَنْ حشرنا الله في الجوار، ليعرف القراء صَفَاقَةَ رجل لم يُكْمِلْ دراسته الإعدادية، ويحكم على دكاترة وعلماء مميزين بما شاء مِنْ تُرَّهَاتٍ.

ثم يختم أيلال مبحثه بالآتي: واستفدنا اسم الكتاب كاملا، وأنه: الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسننه. هكذا ثبت في هذه النسخة

بينما قال النووي في تهذيب الأسماء: أما اسمه: فسماه مؤلفه البخاري رحمه الله: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسننه وأيامه. أه (صفحة: 253)

لو عرضنا على أيلال، كيف سَمَّى كُلُّ عَالِمٍ حديث صَحِيحَ البخاري: "الجامع" وإما "الصحيح"، وإما.. وإما.. لضاق بنا المجال.

أليس أيلال هو القائل: وشهرتها، أي مخطوطة صحيح البخاري: الجامع الصحيح أو صحيح البخاري. (صفحة: 24)

المبحث الثالث: صحيح البخاري والتلاميذ

اِسْتَدَلَّ رشيد أيلال بما رُوِيَ عن الإمام الْفَرَبْرِيِّ أنه قال: قال الذهبي: ويُرْوَى، ولم يَصِحْ، أن الْفَرَبْرِيَّ قال: سمع "الصحيح" مِنَ البخاري، تسعون ألف رجل، ما بقي أحد يرويه غيري. انتهى من سير أعلام النبلا

أولا: قول أيلال: إذن فصحيح البخاري، وفقا لهاته الرواية، تَوَاتَرَ عن البخاري نفسه، وبذلك فَتَوَاتُرُ صحيح البخاري عن البخاري، يُنَافِسُ تَوَاتُرَ القرآن الكريم، حسب ادِّعَاءِ هؤلاء. انتهى (صفحة: 255)

قلت: لم يَنْفَكْ أيلال، عن مُمَارَسَةِ طريقته في استنتاج الحكم الباطل، والتعليق على ما استنتج مِنْ بُطْلَانٍ.

لم يَتَوَاتَرْ صحيح البخاري كَتَوَاتُرِ القرآن، وتواتر صحيح البخاري يعني شهرته بين الناس، أما تواتر القرآن الكريم، فيعني ما رواه جمع يحيل العقل والعادة تَوَاطُؤَهُمْ على الكذب. ولم يَثْبُتْ على أحد مِنْ أهل الحديث، أنه قارن تَوَاتُرَ صحيح البخاري بِتَوَاتُرِ القرآن، أو قال: إن تَوَاتُرَ الصحيح يُنَافِسُ تَوَاتُرَ القرآن، والعياذ بالله.

ملاحظة: قلت: وفي رواية أخرى عن الْفَرَبْرِيِّ سبعين ألفا، بدل تسعين: قال ابن كثير: وقد روى الخطيب البغدادي عن الْفَرَبْرِيِّ أنه قال: سَمِعَ الصَّحِيحَ مِنَ البخاري معي، نَحْوٌ مِنْ سبعين ألفا، لم يَبْقَ منهم أحد غيري. انتهى من البداية والنهاية لابن كثير

قول رشيد أيلال: وسَيُصْبِحُ البخاري أَشْهَرَ أُسْتَاذِ حَدِيثٍ في التاريخ الإسلامي، فهو الوحيد الذي علم خلال سنوات قليلة تسعين ألف تلميذ سمعوا منه الصحيح. انتهى (صفحة: 255)

لم يَقُلِ الْفَرَبْرِيُّ فيما رُوِيَ عنه أن البخاري عَلَّمَ تسعين ألفا، وإنما قال: "سمع الصحيح مِنَ البخاري، تسعون ألف رجل"، وشَتَّانَ بَيْنَ أن يسمعه رجل، وبَيْنَ أن يُعَلِّمَ رجلا ويَتَعَلَّمَ على يديه، فتدبر.

قول رشيد أيلال: ولو افترضنا جدلا، أن البخاري كان يُدَرِّسُ كتابه الضخم لمائة تلميذ في الشهر، فسيحتاج البخاري إلى 75 سنة لِيَتَعَلَّمَ هذا العدد الكبير كتاب صحيح البخاري، أي سيحتاج البخاري إلى سنوات أكثر من السنوات التي عاشها، كي يَتَمَكَّنَ مِنْ تعليم كتابه وتلقينه لتسعين ألفا مِنَ التلاميذ. انتهى (صفحة: 255)

لازال أيلال هائما في غَيِّهِ، وهو يفهم من عبارة: "سمع صحيح البخاري"، يفهم منها: عَلَّمَ ودَرَّسَ الإمام البخاري صحيحه.

فَيَعْتَبِرُ أيلال التسعين ألف رجل، قد عَلَّمَهُمْ البخاري صحيحه ودَرَّسَهُ لهم كتابا كتابا وبابا بابا، وهذا مالا تعنيه كلمة السماع.

والبخاري لا يُدَرِّسُ صحيحه إلى مائة تلميذ في الشهر، بل تجتمع عليه الآلاف فيسمعون منه ما تيسر لهم.

وقال أبو علي صالح بن محمد جزرة: كان محمد بن إسماعيل يجلس ببغداد، وكنت أَسْتَمْلِي له، ويجتمع في مجلسه أكثر مِنْ عشرين ألفا. انتهى من سير أعلام النبلا للذهبي

قلت: إن كان يجتمع عليه في مجلس واحد عشرون ألفا يسمعون منه، فربما قول الْفَرَبْرِيّ أنه سمع منه تسعون ألفا، في كل مجالسه، في تقليل للعدد الحقيقي الذي سمع منه.

ثم يقول أيلال: لكن الأغرب مِنْ ذلك، أن هؤلاء التلاميذ التسعين ألفا، لم يَتْرُكُوا لنا نسخة واحدة لصحيح البخاري، فالمفروض أن نَجِدَ في مكتبات العالم الآن آلاف المخطوطات. انتهى (صفحة: 256)

يَسْتَرْسِلُ أيلال في استنتاجاته الخاطئة، وكأنه تَيَقَّنَ مِنْ أنه نجح في إيهام قُرَّائِهِ، أن عبارة: "سمع صحيح البخاري"، تعني عَلَّمَهُ البخاري وَدَرَّسَهُ جميع صحيحه.

ويُؤَوِّلُ معنى ما رُوِيَ عن الْفَرَبْرِيّ على حسب هواه، ويُحَمِّلُ لفظ السماع مرة أخرى ما لا يَحْتَمِلُ، فبعد أن شرح السماع بِالتَّعَلُّمِ والدَّرْسِ، الآن يزيد عليه النَّسْخَ. أي أن التسعين ألفا تعلموا ودرسوا ونسخوا صحيح البخاري كاملا بغير نقصان.

ولا أدري ما سبب هذا الفهم الْأَهْوَجِ لِنَصِّ الْفَرَبْرِيِّ، أَهُوَ رَاجِعٌ إلى تأخر مستوى أيلال الدِّرَاسِيّ، أم هو عن قصد، وأتمنى أن يكون الأول.

ثم يقول أيلال: لكن الأغرب مِنْ ذلك أن هؤلاء التلاميذ التسعين ألفا، لم يَتْرُكُوا لنا نُسْخَةً واحدة لصحيح البخاري، فالمفروض أن نَجِدَ في مكتبات العالم الآن آلاف المخطوطات. انتهى (صفحة: 256)

يَتَسَاءَلُ أيلال عن شيء لا حقيقة له، وإنما اخترعه مِنْ عِنْدِهِ، وَيُحْكُمُ على التلاميذ التسعين ألفا، بأنهم كلهم نسخوا صحيح البخاري كاملا، في حين ليس له دليل على ذلك.

ثم يقول أيلال: بل الْأَدْهَى والْأَمَرُّ والْأَغْرَبُ أن هؤلاء التلاميذ التسعين ألفا، مِنَ الْمُفْتَرَضِ أن يكون لديهم تلاميذ أيضا، فلو أن كل واحد منهم، عَلَّمَ عشرة تلاميذ فقط صحيح البخاري، لأصبح لدينا تسعمائة ألف تلميذ، وبالتالي فسيكون لدينا تسعمائة ألف مخطوطة لصحيح البخاري في الجيل الثاني بعد جيل تلامذة البخاري. انتهى (صفحة: 256)

أستغرب من طريقة تفكير رشيد أيلال، بعدما نسب إلى التلاميذ الذين ما فعلوا سوى أن سمعوا من الإمام البخاري، بعدما نسب إليهم التَّعَلُّمَ والدِّرَاسَةَ وَالنَّسْخَ. الآن يَنْسِبُ إليهم الْمَشْيَخَةَ وَتَعْلِيمَ تلاميذ على أيديهم مِنْ نُسَخِهِمْ التي عَزَاهَا إليهم بُهْتَانًا وَزُورًا. ويمضي في أحلامه لكي يَصِلَ، بما أوتي مِنْ خيال واسع، إلى "تسعمائة ألف مخطوطة لصحيح البخاري".

إن رشيد أيلال يَكْذِبُ الكذبة ويُصَدِّقُهَا، بل يستنتج منها ما شاء مِنْ أباطيل، ثم يَحْتَجُّ وَيَسْتَنْكِرُ على أباطيله.

أَمَّا تعليق الإمام الذهبي على ما رُوِيَ عن الْفَرَبْرِيِّ، فلا نُخَالِفُ أيلال في أن الذهبي لم يُعَلِّقْ على عدد التسعين ألفا، الذين سمعوا مِنَ البخاري، لأن هذا العدد مِنَ السامعين وأكثره، عنده وعند علماء الحديث كافة، لا يستدعي التعليق، وإنما عَلَّقَ على قول الْفَرَبْرِيِّ: "ما بقي أحد يرويه غيري". فقد قال الذهبي بعد روايته هذه عن الْفَرَبْرِيِّ: قلت: قد رواه بعد الْفَرَبْرِيِّ أبو طلحة منصور بن محمد البزدوي النسفي، وبقي إلى سنة تسع وعشرين وثلاثمائة... مات الْفَرَبْرِيُّ لعشر بقين من شوال، سنة عشرين وثلاثمائة، وقد أشرف على التسعين. انتهى من سير أعلام النبلا

وإذا برشيد أيلال يثير، ما قاله غيره ويحاول التشكيك في أحاديث صحيح البخاري ويستدل بما ورد في كتاب فتح الباري

ويقول: ورد في مقدمة كتاب الفتح ما يلي: وقال الحافظ أبو إسحاق: اِنْتَسَخْتُ كتاب البخاري من أصله الذي عند صاحبه محمد بن يوسف الْفَرَبْرِيِّ، فرأيت فيه أشياء لم تَتِمْ، وأشياء مُبَيَّضَةً، منها تراجم لم يثبت بعدها شيء، وأحاديث (في الأصل: ومنها أحاديث) لم يترجم لها، فأضفنا بعض ذلك إلى بعض. انتهى (صفحة: 257)

ثم يستنتج أيلال مِنَ النص ما لا يليق، يستنتج ما شاء حسب هواه، ويقول: إذن فالبخاري لم يُتْمِمِ كتابه، ولم يُبَيِّضْهُ حيث كان مُسْوَدَّةً فقط، وأن التلاميذ وتلاميذ التلاميذ تَدَخَّلُوا في الكتاب حينما وجدوا تراجم لم يثبت بعدها شيء، وأحاديث لم يُتَرْجَمْ لها، فأضافوا بعض ذلك إلى بعض، فهاته الشهادة للمستملي والتي نقلها عنه الباجي، ونقلها عن الباجي ابن حجر العسقلاني، تؤكد لنا بما لا يدع مجالا للشك على أن التلاميذ تَدَخَّلُوا في الكتاب وبَدَّلُوا فيه وغَيَّرُوا، بعدما قدروا أنه لم يتم بعد، لكن الشيوخ يبحثون عن تبريرات غريبة. انتهى (صفحة: 257-258)

قلت: وحتى أُقَرِّبَ القارئ من معنى ما رُوِيَ عن الْمُسْتَمْلِي. خاصة وأن رشيد أيلال بَتَرَ ما استدل به مِنْ مقدمة الفتح، أقول: اضطررت لإيراد الاستدلال كاملا من مقدمة الفتح، حتى يَتَبَيَّنَ للقارئ ما بَتَرَهُ رشيد أيلال منه:

ورد في مقدمة فتح الباري لابن حجر العسقلاني، ما يلي: وقد يَذْكُرُ الْمَتْنَ بغير إسناد، وقد يُورِدُهُ مُعَلَّقًا، وإنما يفعل هذا لأنه أراد الاحتجاج للمسألة التي تَرْجَمَ لها، وأشار إلى الحديث لكونه معلوما، وقد يكون مما تَقَدَّمَ وربما تَقَدَّمَ قريبا، ويقع في كثير مِنْ أبوابه الأحاديث الكثيرة، وفي بعضها ما فيه حديث واحد، وفي بعضها ما فيه آية مِنْ كتاب الله، وبعضها لا شيء فيه ألبتة، وقد اِدَّعَى بعضهم أنه صنع ذلك عَمْدًا وَغَرَضُهُ أن يُبَيِّنَ أنه لم يَثْبُتْ عنده حديث بشرطه في المعنى الذي تَرْجَمَ عليه، ومِنْ ثَمَّةَ وقع مِنْ بعض مَنْ نسخ الكتاب ضَمُّ باب لم يُذْكَرْ فيه حديث إلى حديث لم يُذْكَرْ فيه باب، فَأَشْكَلَ فَهْمُهُ على الناظر فيه، وقد

أوضح السبب في ذلك الإمام أبو الوليد الباجي المالكي في مقدمة كتابه في أسماء رجال البخاري، فقال: أخبرني الحافظ أبو ذر عبد الرحيم بن أحمد الهروي، قال: حدثنا الحافظ أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد الْمُسْتَمْلِي، قال: اِنْتَسَخْتُ كتاب البخاري مِنْ أصله الذي كان عند صاحبه محمد بن يوسف الْفَرَبْرِيِّ، فرأيت فيه أشياء لم تَتِمْ وأشياء مُبَيَّضَةً، منها تراجم لم يُثْبِتْ بَعْدَهَا شيئا، ومنها أحاديث لم يُتَرْجَمْ لها، فأضفنا بعض ذلك إلى بعض. انتهى

وحتى لا يرهق القارئ الكريم نفسه، بتقليب هذا النص، ومحاولة فهم مغزاه، أقول: يكفينا قول ابن حجر فيه: "ومِنْ ثَمَّةَ وَقَعَ مِنْ بعض مَنْ نَسَخَ الكتاب ضَمُّ باب لم يُذْكَرْ فيه حديث إلى حديث لم يُذْكَرْ فيه باب".

ومفهومه لا يعني أن النُّسَّاخَ زادوا في البخاري ما ليس منه، أو نقصوا ما هو منه، وإنما اختلفوا في ترتيبه.

ثم أَتَمَّ رشيد أيلال نَقْلَهُ عن مقدمة الفتح: قال أبو الوليد الباجي: ومما يَدُلُّ على صحة هذا القول، رواية أبي إسحاق الْمُسْتَمْلِي، ورواية أبي محمد السرخسي، ورواية أبي الهيثم الْكُشْمَيْهَنِي، ورواية أبي زيد الْمَرْوَزِيِّ، مختلفة بالتقديم والتأخير، مع أنهم انْتَسَخُوا مِنْ أَصْلٍ واحد، وإنما ذلك بحسب ما قدر كل واحد منهم فيما كان في طُرَّةٍ أو رُقْعَةٍ مضافة، أنه من موضع ما فأضافه إليه، ويُبَيِّنُ ذلك أنك تَجِدُ ترجمتين وأكثر مِنْ ذلك متصلة، ليس بينها أحاديث. انتهى (صفحة: 258)

وهذا ما استنتجه أيلال مما قاله أبو الوليد الباجي: يقول أيلال: إذن فحتى هذا الْعَلَمُ مِنْ أَعْلَامِ "علم" الحديث، يؤكد تأكيدا جازما على أن التلاميذ أضافوا وتدخلوا في كتاب الجامع الصحيح، حتى سار إلى شكله النهائي الذي بين أيدينا الآن. انتهى (صفحة: 259)

قلت: رغم أن معنى النص لا علاقة له بما استنتجه أيلال، فما قاله الباجي لا يعني أن النُّسَّاخَ أضافوا في صحيح البخاري شيئا، وإنما اختلفوا في ترتيب التراجم والأبواب.

قال الباجي: وإنما أوردت هذا هنا لِمَا عُنِيَ به أهل بلدنا مِنْ طَلَبِ معنى يَجْمَعُ بَيْنَ الترجمة والحديث الذي يليها، وَتَكَلُّفِهِمْ مِنْ ذلك مِنْ تَعَسُّفِ التأويل ما لا يَسُوغُ. انتهى. انتهى من هدي الساري

المبحث الرابع: صحيح البخاري والحافظ ابن حجر العسقلاني

يقول رشيد أيلال: وابن حجر تَحَمَّلَ عِبْءَ تَبْرِيرِ مجموعة مِنَ المتناقضات التي تَعْتَمِلُ في هذا الكتاب، كما حاول جاهدا أن يَتَصَدَّى لِحَجْمِ الانتقادات التي تَمَّ توجيهها لكتاب صحيح البخاري، لكن رغم ذلك كله، وجد نفسه مرات عدة في ورطة، جعلته يَحَارُ في الدفاع عن هذا الكتاب، واعترف مرّات عدة أنه كان يتكلف أحيانا في الرَّدِّ على المنتقدين، وسنقوم في هذا الفصل بتوضيح مجموعة من الأمور التي وَجَدَ ابن حجر نفسه غارقا فيها وهو يدافع عن الجامع الصحيح، المنسوب لمحمد بن إسماعيل البخاري. انتهى (صفحة: 261)

قلت: الذي يقرأ ما كتبه أيلال، يلاحظ أن أيلال يَتَقَمَّصُ شخصية ابن حجر ويتحدث بلسانه، ويقول عكس ما قاله ابن حجر، كما سنرى فيما سنعرضه مِنْ كلامه رحمه الله تعالى.

وإنه لكذب صُرَاحٌ، وإنه لَتَجَنٍّ على واحد مِنْ أساطين حُفَّاظِ الإسلام، وإنها لَفِرْيَةٌ عظيمة على أموات المسلمين. فَلْأَتْرُكِ القارئ يَحْكُمُ بعد ما سأورده مِنْ قرائن تُؤَيِّدُ ما أقول.

نَقَلَ أيلال ما يَقْرُبُ مِنْ ثلاث صفحات من مقدمة فتح الباري، ثم عَقَّبَ على ما نقل قائلا: هاته أهم الإشكالات التي حاول ابن حجر الإجابة عنها في عصره، وكلها إشكالات تتعلق بصحيح البخاري، وفيها اعترافات ضمنية وبعضها تصريحية، على أن صحيح البخاري يُعَانِي مِنْ عِدَّةِ طُعُونٍ ومشاكل، وانتقادات وإشكالات، وفيه الغريب والتدليس والشاذ أيضا، بل هناك مشكل في رجال البخاري والذين تَمَّ الطعن فيهم حسب قول ابن حجر العسقلاني. انتهى (صفحة: 263)

فلننظر ما قاله ابن حجر، وهل فعلا ذكر ما سماه أيلال بالإشكالات.

يقول ابن حجر رحمه الله تعالى فيما نقله أيلال عنه: وقد اسْتَخَرْتُ الله تعالى في أن أَضُمَّ إليه نُبَذًا شارحة لفوائده، موضحة لمقاصده، كاشفة عن مغزاه في تقييد أوابده واقتناص شوارده، وَأُقَدِّمَ بَيْنَ يدي ذلك كله مقدمة في تبيين قواعده وتزيين فرائده، جامعة وجيزة دون الإسهاب وَفَوْقَ القصور، سهلة المأخذ، تفتح المستغلق وتُذَلِّلُ الصعاب وتَشْرَحُ الصدور، وينحصر القول فيها إن شاء الله تعالى في عشرة فصول.

الأول: في بيان السبب الباعث له على تصنيف هذا الكتاب. انتهى من هدي الساري. انتهى (صفحة: 261)

فبالله عليكم أيها القراء، هل فيما قاله ابن حجر، ما يَدُلُّ على أنه وَجَدَ إشكالات، حَارَ في الإجابة عنها؟

لكن الأمر بخلاف ذلك، اَلْأَمْرُ يَدُلُّ على أن ابن حجر يَرْفَعُ مِنْ شَأْنِ الصحيح، وَيُعْلِي قيمته، وَيَذْكُرُ فصول شرحه له قبل أن يشرع في تحريرها؟

يقول أيلال: وفيها اعترافات ضمنية وبعضها تصريحية، على أن صحيح البخاري يُعَانِي مِنْ عِدَّةِ طُعُونٍ ومشاكل، وانتقادات وإشكالات، وفيه الغريب والتدليس والشاذ أيضا، بل هناك مشكل في رجال البخاري والذين تَمَّ الطَّعْنُ فيهم حسب قول ابن حجر العسقلاني. انتهى (صفحة: 263)

قلت: لم يُنْكِرْ أحد مِنَ العلماء، أن صحيح البخاري تَعَرَّضَ للانتقادات والطعون، كغيره من الكتب، إلا أن الانتقادات والطعون، لا تنقص منه شيئا، بل هي دلالة على روح التحاور والجدل العلمي بين علماء الإسلام في مختلف العلوم.

أما الطعن في رجال البخاري، فإن علماء الجرح والتعديل، اختلفوا كثيرا في تعديلاتهم وتجريحاتهم للرجال، لِكُلٍّ أسبابه وطريقته في ذلك. كاختلاف الفقهاء والأصوليين وغيرهم.

أما قول أيلال: وفيه الغريب والتدليس والشاذ أيضا. انتهى

فالمراد بالغريب واضح من كلام ابن حجر نفسه:

أولا- قال ابن حجر: الخامس: في ضبط الغريب الواقع في متونه، مُرَتَّباً له على حروف الْمُعْجَمِ، بِأَخْصَرِ عبارة وَأَخْلَصِ إشارة، لِتَسْهُلَ مراجعته وَيَخِفَّ تكراره. انتهى من هدي الساري

وبذلك بين رحمه الله مضمون فصله الخامس من كتابه.

فضبط الغريب في المتون، هو من توضيح المشكل وشرحه مِنْ ألفاظ المتن.

أما التدليس: فلا تخلوا أسانيد رواة الحديث كافة من بعض المدلسين، إلا أن الذي لا يعرفه رشيد أيلال، هو أن الحديث قد يصبح صحيحا، ولو أن في رجال سنده مُدَلِّساً، لأن الرِّوَايَةَ رُوِيَتْ بِطُرُقٍ أخري أسانيدها خَلَتْ مِنَ الْمُدَلِّسِينَ.

وأما الشاذ: فأقول: الحديث الشاذ هو ما خالف فيه الثقة مَنْ هو أوثق منه. وما قلناه في التدليس نقوله في الشذوذ. فما اعتبره أحد المحدثين شاذا، صَحَّحَهُ غيره بوجود متابعات تُخْرِجُهُ مِنْ دائرة الشذوذ.

وهذا ما قصد إليه ابن حجر بقوله: ثم أستخرج ثانيا ما يتعلق به غرض صحيح في ذلك الحديث من الفوائد المتنية والإسنادية مِنْ تَتِمَّاتٍ وزيادات، وكشف غامض، وتصريح مدلس بسماع، ومتابعة سامع من شيخ اختلط قبل ذلك، منتزعا كل ذلك مِنْ أمهات المسانيد والجوامع والمستخرجات والأجزاء والفوائد، بشرط الصحة أو الحسن فيما أورده من ذلك. انتهى من هدي الساري

يقول رشيد أيلال: هذه أيضا من الإشكالات التي راودت ابن حجر العسقلاني في مقدمة كتابه فتح الباري، وهي إشكالية أن صحيح البخاري فيه أبواب لا أحاديث فيها، وفيه أبواب لا توجد فيها ولا آية قرآنية، بل هناك أبواب لا يوجد فيها شيء ألبتة. انتهى (صفحة: 264)

قلت: بخصوص هذا الأمر، أورد ابن حجر ما قاله الشيخ محيي الدين، مُبَرِّراً إياه. وقد نَقَلَ أيلال كُلَّ ذلك عن مقدمة ابن حجر، فإما أنه نقله عن طريق االنسخ واللصق دون أن يقرأه، وإما نقله غيره ولم يراجعه بعده، وهما أمران أحلاهما مُرُّ.

وسأكون مُضْطَرًّا لأن أَعْرِضَ على القارئ الكريم، ما بَرَّرَ به الشيخ محيي الدين ما حَرَّرَ البخاري في صحيحه من أبواب ليس فيها شيء: يقول ابن حجر: قال الشيخ محيي الدين، نفع الله به: ليس مقصود البخاري الاقتصار على الأحاديث فقط، بل مراده الاستنباط منها والاستدلال لأبواب أرادها، ولهذا المعنى أَخْلَى كثيرا مِنَ الأبواب عن إسناد الحديث، واقتصر فيه على قوله: فيه فلان عن النبي صلى الله عليه وسلم، أو نحو ذلك، وقد يذكر المتن بغير إسناد، وقد يُورِدُهُ مُعَلَّقًا، وإنما يفعل هذا لأنه أراد الاحتجاج للمسألة التي تَرْجَمَ لها، وأشار إلى الحديث لكونه معلوما، وقد يكون مما تقدم وربما تقدم قريبا، ويقع في كثير مِنْ أبوابه الأحاديث الكثيرة، وفي بعضها ما فيه حديث واحد، وفي بعضها ما فيه آية مِنْ كتاب الله، وبعضها لا شيء فيه ألبتة، وقد اِدَّعَى بعضهم أنه صنع ذلك عمدا، وغرضه أن يُبَيِّنَ أنه لم يَثْبُتْ عنده حديث بشرطه في المعنى الذي تَرْجَمَ عليه، ومِنْ ثَمَّةَ وقع مِنْ بعض مَنْ نَسَخَ الكتاب ضَمُّ باب لم يُذْكَرْ فيه حديث إلى حديث لم يُذْكَرْ فيه باب، فأشكل فهمه على الناظر فيه. انتهى من هدي الساري

يقول رشيد أيلال: بل إن ابن حجر اتَّهَمَ البخاري بأنه يُورِدُ حديثا في الباب مِنْ أبواب الجامع الصحيح رغم أن الحديث لا علاقة له بذلك الباب، (.... وأكثر منه حتى أنه ربما خرج الحديث الذي لا تعلق له بالباب جملة إلا ليبين سماع راو من شيخه لكونه قد أخرج له قبل ذلك شيئا معنعنا). مقدمة فتح الباري–ابن حجر. انتهى (صفحة: 265)

قلت: بَتَرَ رشيد أيلال من كلام ابن حجر ما شاء، وعفا عما شاء كعادته، لِيُوهِمَ القارئ بما يريد ويُدَلِّسُ عليه فيما ينقل له من كتب الكبار، التي، إكبار لأصحابها، يجب ألا ننقل منها إلا بأمانة.

فأُسَائِلُ القارئ الجليل، بالله عليك، بعد أن قرأت ما ساقه رشيد أيلال مِمَّا قاله ابن حجر، هل فيه ما يَدُلُّ على أن ابن حجر اِتَّهَمَ البخاري بشيء؟

وأَجِدُنِي مُضْطَرًّا مرة أخرى لأن أسوق ما قاله ابن حجر دون بَتْرٍ أو تحريف، يقول رحمه الله تعالى: وقد أظهر البخاري هذا المذهب في تاريخه وجرى عليه في صحيحه وأكثر منه، حتى أنه ربما خَرَّجَ الحديث الذي لا تَعَلُّقَ له بالباب جملة، إلا لِيُبَيِّنَ سماع رَاوٍ مِنْ شيخه لكونه قد أخرج له قبل ذلك شيئا معنعنا، وسترى ذلك واضحا في أماكنه إن شاء الله تعالى، وهذا مما تَرَجَّحَ به كتابه، لِأَنَّا وإن سلمنا ما ذكره مسلم مِنَ الْحُكْمِ بالاتصال فلا يخفى أن شرط البخاري أوضح في الاتصال، والله أعلم. انتهى من هدي الساري

قلت: أليس يَدُلُّ ما قاله ابن حجر، على أنه لا يَتَّهِمُ، وإنما يُنَوِّهُ؟

وأما تفضيل بعض الأعلام لصحيح مسلم على صحيح البخاري، أو تفضيل موطأ مالك على الصحيح، فهذا اجترار من رشيد أيلال، لموضوع أثاره في المبحث الثاني: كذبة الإجماع. من الفصل الرابع: سقوط الأسطورة. وقد رددنا عليه في موضعه، فليرجع إليه من شاء، والله المستعان. (انظر صفحة: 155 من هذا الكتاب)

يقول رشيد أيلال، وهو يَتَقَمَّصُ شخصية ابن حجر مرة أخرى: الملاحظ أن ابن حجر أسهب في النقول في أمر تقطيع الحديث بكتاب الجامع الصحيح، وإيراد نفس الحديث بطرق مختلفة، وأحيانا يَتِمُّ إيراد الحديث بنفس السند لكن بألفاظ مغايرة، وهذا من الأمور التي حَيَّرَتِ الحافظ ابن حجر العسقلاني،

وحاول أن يجد لها تبريرات، لكن إيراده النقول الكثيرة في هذا الأمر له دلالته، التي تُوَضِّحُ أن هذا النقاش في هاته المسألة كان نقاشا واسعا في القرن التاسع الهجري، وهو العصر الذي تَمَّ فيه تأليف كتاب فتح الباري. انتهى (صفحة: 266)

قلت: قول أيلال: وهذا من الأمور التي حَيَّرَتْ الحافظ ابن حجر العسقلاني، وحاول أن يجد لها تبريرات. انتهى

ليس في كتاب هدي الساري ما يدل على أَمْرٍ حَيَّرَ ابن حجر، أو ما يَدُلُّ على أنه حاول أن يَجِدَ تَبْرِيراً لشيء.

فيبقى هذا كذب وافتراء عَهِدْنَاهُ مِنْ رشيد أيلال.. أترك للقارئ الْحُكْمَ عليه، والذي اكْتَشَفْتُهُ، بالإضافة إلى ما سبق اكْتِشَافُهُ مِنْ جهالات أيلال، هو استغرابه من إيراد البخاري للحديث بِطُرُقٍ مختلفة. مع أن هذا الأمر يُعْتَبَرُ طبيعيا لا يدعو إلى الاستغراب، عند كافة علماء الحديث.

ثم يقول رشيد أيلال، مصرحا بوضوح لا يدع موضعا للاحتمال، مُصَرِّحًا بما يَدُلُّ على جَهْلِهِ بأدنى قواعد علم الحديث، يقول: أما بالنسبة لي فاختلاف لفظ الحديث بنفس السند، أو روايته مِنْ طرق مختلفة، بنفس اللفظ، لَيَدُلُّ على أن هذا الكتاب تَدَخَّلَ في كتابته أكثر مِنْ شخص واحد.

فلا يمكن أن يورد نفس المؤلف نفس الحديث بنفس اللفظ، لكن بأسانيد مختلفة، أو يروي نفس الحديث بنفس الإسناد لكن بألفاظ مختلفة، إلا إذا كان المؤلف غير المؤلف، أي مَنْ أورد الحديث الأول ليس هو من أورد الثاني وهكذا. انتهى (صفحة: 266)

قلت: قول رشيد أيلال: أما بالنسبة لي فاختلاف لفظ الحديث بنفس السند. انتهى

هذا القول، يوحي بأنه يحسب نفسه واحدا مِنْ علماء الحديث، كأبي بكر أحمد الخطيب البغدادي والقاضي عياض بن موسى اليحصبي وأبي عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشَّهْرَزُورِي المشهور بابن الصلاح.

بل إن أيلال يخالف جميع علماء الحديث، ويُدْلِي برأيه الشاذ، ويُبَرِّرُهُ، ويستنتج منه ما لا يُسْتَنْتَجُ، مِمَّا أوحى له به هواه، ويقول: فلا يمكن أن يورد نفس المؤلف نفس الحديث بنفس اللفظ لكن بأسانيد مختلفة، أو يَرْوِي نفس الحديث بنفس الإسناد لكن بألفاظ مختلفة، إلا إذا كان المؤلف غير المؤلف، أي مَنْ أَوْرَدَ الحديث الأول ليس هو مَنْ أَوْرَدَ الثاني وهكذا. انتهى (صفحة: 266)

قول رشيد أيلال: لكن الإشكال الأكبر الذي عانى منه ابن حجر العسقلاني، وبَيَّنَهُ في مقدمة كتاب الفتح، هو أنه حتى القرن التاسع الهجري، أي بعد مرور ستة قرون على وفاة محمد بن إسماعيل البخاري، فإلى ذلك العهد لم تكن هناك نسخة واحدة مُوَحَّدَةٌ لصحيح البخاري، بل وَجَدَ ابن حجر ثلاث عشرة نسخة، وكل واحدة منها تختلف عن الأخرى. انتهى (صفحة: 267)

قلت: ماذا يقول هذا الرجل؟ عَمَّ يتحدث؟ ومَنْ أجاز له التَّحَدُّثَ بلسانه.

إنها غاية السذاجة، فالرجل كما قيل: إذا كان لا يدري ويدري أنه لا يدري، فَمِنَ السَّهْلِ أن يتعلم، ولكن رشيد أيلال لا يدري ولا يدري أنه لا يدري. وهكذا حَارَ في علاجه الرَّاقون والحُكَماء.

قلت: رشيد أيلال يخاطب القارئ، وينتقص منه مرة أخر، وكأن القارئ لا يعقل شيئا، وَيُقَوِّلُ النص مالا يقول، ويستنتج مما فهمه مِنَ النص، ما شاء مِنْ أباطيل كعادته:

أولا: يقول أن ابن حجر عَانَى مِنَ الإشكال الأكبر. وهذا كَذِبٌ وافتراء على الحافظ ابن حجر، فمتى وأين صرح ابن حجر بذلك؟

ثانيا: يَسْتَخِفُّ بعقل القارئ، ويُوهِمُهُ أن صحيح البخاري ليس له نسخة واحدة موحدة بل ثلاثة عشرة نسخة. وذلك راجع لجهل أيلال بما يقتضيه تحقيق أي كتاب إلى يومنا هذا مِنْ مقابلة نُسَخِهِ بعضها ببعض.

ثالثا: يحكم رشيد أيلال على أن هذه النُّسَخَ، كل واحدة منها تختلف عن الأخرى.

ويقول: جعل ابن حجر يعتمد بالأساس على واحدة من هاته النسخ مع مراعاة ما يخالفها، مِنَ النُّسَخِ الأخرى، فأي نسخة مِنَ النُّسَخِ المتعددة للجامع الصحيح، والتي تَحَدَّثَ عنها ابن حجر هي مَنْ أَلَّفَهُ (الصواب: مَا أَلَّفَهُ) الشيخ محمد بن إسماعيل البخاري؟ انتهى (صفحة: 267-268)

وهكذا يُوهِمُ الْقَارِئَ مرة أخرى، أن هذه النسخ لا يُشْبِهُ بعضها بعضا، وإنما اعتمد ابن حجر في تحرير شرحه للصحيح على نسخة واحدة.

ثم يقول أيلال: وهذا معناه أن النسخ الأخرى كانت بالنسبة للبخاري غير موثوق بها، مثل نسخة أبي ذر، وأن شرحه لصحيح البخاري سيعتمد بالأساس على نسخة أبي ذر الهروي، مع الاعتماد على النسخ الأخرى فيما يخالف نسخته، وهذا يعني أن ابن حجر، صنع نسخة أخرى جديدة، تعتمد في جوهرها على نسخة أبي ذر، مع نفحة مختلطة مِنْ باقي النُّسَخِ التي لم تَصِلْ لدرجة الأوثق عنده. انتهى (صفحة: 269-270)

أولا: قول أيلال: وهذا معناه أن النسخ الأخرى كانت بالنسبة للبخاري غير موثوق بها. انتهى

هذا استنتاج باطل، ليس له دليل مِنْ كلام ابن حجر، فلم يَحْكُمِ ابن حجر على أية نسخة مِنْ نُسَخِ الصحيح، بأنها غير موثوق منها.

ثانيا: قول أيلال: وهذا يعني أن ابن حجر، صنع نسخة أخرى جديدة. انتهى

لم يقل ابن حجر أنه صنع نسخة جديدة للصحيح.

فكل ما في الأمر مما لا يستطيع أن يُدْرِكَهُ أيلال بِفَهْمِهِ الضَّيِّقِ، أن ابن حجر اعتمد على النسخة الأضبط والأدق وقابلها بباقي النسخ، التي لا تختلف عنها إلا في بعض الألفاظ والترتيبات.

المبحث الخامس: اختلاف نُسَخِ صحيح البخاري

يقول رشيد أيلال: إن اختلاف نُسَخِ أو روايات صحيح البخاري، لَمِنَ الأمور التي لا تقبل الجدل ولا يمكن أن يُنْكِرَهَا أَيُّ باحث، واختلاف هاته الروايات اختلافا كبيرا بشكل لا يمكن تجاهله، وإن حاول

ابن حجر وغيره التقليل مِنْ شأن هاته المسألة، لكن اختلاف النُّسَخِ له دلالة قوية، على أن صحيح البخاري الذي بين أيدينا، لا يمكن الجْزْمُ بِنِسْبَتِهِ للشيخ محمد بن إسماعيل البخاري. انتهى (صفحة 269)

ثم يقول رشيد أيلال: وقد أَقَرَّ بذلك أيضا، الشيخ محمود أبو رية في كتابه الشهير: أضواء على السنة المحمدية، بقوله: روايات البخاري تختلف في العدد: فعدد أحاديث البخاري يزيد في رواية الْفَرَبْرِيِّ على عدده في رواية إبراهيم بن معقل النسفي بمائتين، ويزيد عدد النسفي على عدد حماد بن شاكر النسفي بمائة، كما ذكره العراقي. انتهى (صفحة 269-270)

قلت: قبل كل شيء، أتساءل، لماذا يَسْتَدِلُّ رشيد أيلال، بما قاله مَنْ أَسْمَاهُ بالشيخ أبو رية، رغم أن أبو رية هذا، شيعي إمامي، كما لا يخفى على أحد، والمعروف أَنَّ كُتُبَ الشيعة الإمامية، لا تُنْكِرُ صحيحي البخاري ومسلم وغيرهما فقط، بل تقول بتحريف القرآن؟

يقول الإمام العراقي: قوله: وجملة ما في كتابه الصحيح، يعنى البخاري، سبعة آلاف ومائتان وخمسة وسبعون حديثا، بالأحاديث المكررة. انتهى

هكذا أطلق ابن الصلاح عِدَّةَ أحاديثه، والمراد بهذا العدد، الرواية المشهورة، وهي رواية محمد بن يوسف الفربرى، فأما رواية حماد بن شاكر، فهي دونها بمائتي حديث، وَأَنْقَصُ الروايات رواية إبراهيم بن معقل، فإنها تنقص عن رواية الفربرى ثلاثمائة حديث. انتهى من كتاب التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح للعراقي

قلت: قد وجد علماء الحديث لهذا التفاوت العددي في صحيح البخاري تبريرات، منها:

يقول ابن حجر: وليس كذلك، بل كتاب البخاري في جميع الروايات الثلاثة في العدد سواء. وإنما حَصَلَ الإِشْتِبَاهُ، مِنْ جِهَةِ أَنَّ حماد بن شاكر وإبراهيم بن معقل، لَمَّا سمعا الصحيح على البخاري، فَاتَهُمَا مِنْ أواخر الكتاب شيء، فَرَوَيَاهُ بالإجازة عنه. انتهى من النكت على كتاب ابن الصلاح لابن حجر

يقول ابن حجر كذلك: وبَيْنَ هذا العدد الذي حررته، والعدد الذي ذكره ابن الصلاح وغيره تفاوت كثير، وما عرفت مِنْ أين أتى الْوَهْمُ في ذلك، ثم تَأَوَّلْتُهُ على أنه يُحْتَمَلُ أن يكون الْعَادُّ الأول الذي قَلَّدُوهُ في ذلك،

كان إذا رأى الحديث مُطَوَّلًا في موضع ومختصرا في موضع آخر، يَظُنُّ أن المختصر غير المطول، إما لِبُعْدِ العهد به، أو لِقِلَّةِ المعرفة بالصناعة، ففي الكتاب مِنْ هذا النَّمَطِ شَيْءٌ كثير، وحينئذ يَتَبَيَّنُ السبب في تَفَاوُتِ ما بين العددين، والله الموفق. انتهى من هدي الساري

ثم ساق رشيد أيلال ما نقله ابن حجر عن الصغاني وذكره الحديث الثابت في النسخة التي قرئت عن الْفَرَبْرِيّ، والساقط من النُّسَخِ كلها.

وساق ما ذَكَرَهُ ابن حجر مِنَ الترجمة التي وقعت في رواية الحموي دون غيرها خالية مِنْ حديث وَمِنْ أَثَرٍ.

يقول رشيد أيلال: وقد جاء في بحث صادر عن جامعة الأردن، بعنوان: "الروايات المنتقدة بسبب اختلاف نُسَخِ صحيح البخاري"، ما نَصُّهُ: إن اختلاف نُسَخِ الصحيح تعبير يقصد به تلك الاختلافات التي وقعت بين رواة الصحيح عن الإمام البخاري، سواء أكان سببها الرواة عن البخاري مباشرة، أو رواة الحلقة الثانية أو الثالثة لصحيح البخاري، ذلك أن العلماء لم يكتفوا بالتنبيه على الاختلافات التي وقعت بين أصحاب الطبقة الأولى عن البخاري، وَمِنْ أشهرهم مِمَّنْ نَبَّهَ العلماء على الاختلافات التي وَقَعَتْ في نُسَخِهِمْ: إبراهيم ابن معقل النسفي (294 هجرية)، وحماد بن شاكر (ت 311 هـ)، وأبو عبد الله محمد بن يوسف بن مطر الْفَرَبْرِيُّ المتوفى (320 هـ). وإنما أشاروا كذلك إلى الاختلافات التي وقعت بين أصحاب الْفَرَبْرِيّ، وهم أصحاب الطبقة الثانية، كأبي زيد محمد بن أحمد الْمَرْوَزِيّ (ت 371 هـ)، وأبي أحمد محمد بن مكي الجرجاني، وأبو علي سعيد (كذا في الأصل الذي نقل منه أيلال، والصواب: وأبي علي سعيد) بن السكن (ت 353 هجرية)، وأبي محمد الحموي (ت 381 هـ)، أبو الهيثم (كذا في الأصل الذي نقل منه أيلال، والصواب: وأبي الهيثم) محمد بن مكي الْكُشْمَيْهَنِي (ت 389 هـ)، وأبو إسحاق (كذا في الأصل، والصواب: وأبي إسحاق) إبراهيم بن أحمد بن إبراهيم الْمُسْتَمْلِي (ت 376 هـ)، وغيرهم من أصحاب الطبقة الثانية، وكذلك نَبَّهُوا على الاختلافات التي وقعت لأصحاب الطبقة الثالثة، للرواة عن الإمام الْفَرَبْرِيّ، ويشمل ذلك الاختلافات التي وقعت في السند أو في المتن أو في العناوين أو في التراجم، أو غيرها مِنْ صُوَرِ الاختلاف المتعددة. انتهى (صفحة: 271)

قال أيلال: ويضيف نفس المصدر: .. وسبب وقوع الاختلافات بَيْنَ هؤلاء الرواة تحديدا، يعود إلى أن رواية الْفَرَبْرِيِّ اشتهرت على بقية الروايات الأخرى، فقد امتازت رواية الإمام الْفَرَبْرِيِّ، عن غيره مِنْ رُوَّاةِ الصحيح، بأنه سمع الصحيح مرتين عن الإمام البخاري، المرة الأولى كانت بفربر، في سنة ثمان وأربعين ومائتين، ومرة ببخارى، في سنة اثنتين وخمسين ومئتين. انتهى (صفحة: 271-272)

قلت: اِرْتَأَيْتُ أن أسوق بعض ما نقله رشيد أيلال، من البحث الصادر عن جامعة الأردن، وقد رجعت إلى أصل هذا البحث، فوجدته مِنْ إعداد الباحثة: شفاء علي الفقيه.

وقد راقني ما ورد في هذا البحث مِنِ انْتِصَارٍ لصحيح البخاري، والقول بصحته رغم الاختلافات الطفيفة بَيْنَ رواياته وَنُسَخِهِ. ولو قرأ رشيد أيلال البحث كُلَّهُ لَكَفَاهُ عما نَرُدُّ به عليه.

وحتى أكون أمينا، أتابع ما ورد في البحث، تقول الباحثة شفاء علي الفقيه: وكما هو معروف، فقد حَدَّثَ الإمام البخاري بكتابه الصحيح عددا كبيرا من الرواة، الأمر الذي كان له الأثر الكبير في انتشار الجامع الصحيح واشتهاره بين الناس وكثرة رواته.

وقد أشار الإمام النووي إلى أن الرجال كانوا يتزاحمون على مجالس الإمام البخاري، أينما حَلَّ ونَزَلَ، حتى يصل عددهم إلى آلاف مُؤَلَّفَةٍ مِنَ الرجال. انتهى

ثم تقول: وعلى هذا، فلا بد أن تأليف الجامع الصحيح، قد تَمَّ قَبْلَ وفاة مُصَنِّفِهِ بثلاثة وعشرين عاما على الأقل، فالبخاري توفي رحمه الله سنة (256 هـ)، وطُولُ هذه الفترة بعد تأليف الصحيح من قبل البخاري، مَكَّنَ آلاف المستمعين في حلقات الدرس مِنْ سماع الكتاب كُلِّهِ أو بعضه عن الإمام البخاري. انتهى من بحث صادر عن جامعة الأردن، بعنوان: "الروايات المنتقدة بسبب اختلاف نسخ صحيح البخاري" إعداد الباحثة شفاء علي الفقيه

قلت: وبالنظر إلى أمثلة اختلافات نُسَخِ الصحيح، التي أوردها رشيد أيلال (انظر صفحة 274-275 من كتابه) يتأكد لنا، بما لا يدع مجالا للشك، شدة ضبط الإمام البخاري لجامعه الصحيح.

فلا توجد اختلافات بين النسخ في متون الأحاديث ومعانيها.

وسأضع بين يدي القارئ، دليلا واضحا، يشهد بأن لا اختلاف بَيْنَ نُسَخِ البخاري يُذْكَرُ.

فقد استشهد علماؤنا بأحاديث صحيح البخاري في كتب العقائد والحديث والفقه والأصول والتفسير. ومتى ساق أحدهم حديثا مِنْ صحيح البخاري، اكتفى بقوله: رواه البخاري. دون ذكر نسخة الصحيح التي اعتمد عليها. فَيُوَافِقُهُ الجميع على ذلك، ولا يعترض عليه معترض، وإن دل ذلك على شيء، فإنما يدل على نَفْيِ اختلاف الأحاديث في روايات صحيح البخاري ونسخه. فتدبر رحمك الله تعالى.

المبحث السادس: مَنْ أَلَّفَ صَحِيحَ البخاري؟

يتساءل رشيد أيلال عَمَّنْ أَسْمَاهُ بالمؤلف الحقيقي لكتاب صحيح البخاري، ثم يجيب نفسه بأن مؤلفه مجهول. وإنها لطريقة ماكرة لإيهام القراء بهذا الاقتناع الباطل، الذي وصل إليه أيلال، فهو يتكلم باسم جميع القراء، لِيُوحِيَ إليهم بما وصل إليه، وكأنهم قاصرون لا طاقة لهم لاستعمال عقولهم للوصول إلى نتائج واقتناعات سوى بما أَوْحَى إليهم وما أَوْحَى لهم.

اِرْتَأَيْتُ أنه مِنَ المناسب الاستدلال بما جاء في موقع الأستاذ الباحث مصطفى كامل، تحت عنوان: "شبهة أصول البخاري". (الرد على الصرخي) وهو كالتالي:

ماذا لو ضاعتْ كُلُّ نُسَخِ صحيح البخاري مِنَ العالم؟

ماذا لو افترضنا أنّنا جمعنا نُسَخَ البخاري كُلَّها، المخطوطة (وهي بالآلاف وعليها سماعات) والمطبوعة وحرقناها، وحذفنا أيضا كُلَّ ما في شبكة الإنترنت منها، بالإضافة إلى ما نُقل عن البخاري في الشُّرُوحَاتِ وكتب الفقه وغير ذلك..

فَصَحَوْنَا يوما ولم نَجِدْ لِما صَنَّفُه البخاري أثرا! نعم تخيّلوا ذلك، وإليكم المفاجأة: لو حدث هذا، لَما نَقَصَ مِنْ سُنَّةِ رسول الله صلى الله عليه وسلّم، التي بين أيدينا شيء؛ فَكُلُّ ما في البخاري مِنَ الأحاديث مَوْجُودٌ وَمَبْثُوثٌ وشائع في غيره مِنْ كُتُبِ الحديث والفقه.

نعم، وهذه معلومة أخرى لا يعرفها مَنِ اسْتَغْفَلَهُمُ الخطاب السطحي العاطفي الذي تحدّثنا عنه في تدوينة "مِنْ أَيْنَ جاءوا بِكُلِّ تلك الأحاديث النبوية"؟ فقد سبق البخاري مِنْ أصحاب الحديث أجيالٌ مِنَ العلماء، شَكَّلَتْ كُتُبُهُمْ جزءا كبيرا جدّا مِنْ مصادر كتابه، بعضهم من شيوخه وبعضهم مِنْ شيوخ شيوخه.

وإنّك لو تفحّصت روايات صحيح البخاري، ستجدُها مَبْثُوثَةً وَمَرْوِيَّةً بالأسانيد في كُتُبٍ سابقة له ولاحقة، وَمِنْ أَمْثِلَةِ الكتب السابقة: مُسْنَدُ شيخه الإمام الحُميدي (219 هـ) ففيه روايات ذكرها البخاري في صحيحه، وكذلك موطأ الإمام مالك (179 هـ) الذي روى البخاري معظم ما فيه من الأحاديث المسندة الصحيحة، ومصنّف الإمام عبد الرزاق الصنعاني (211 هـ) ومسند الإمام أحمد بن حنبل (241 هـ)..

فهؤلاء وغيرهم هُمْ مِنْ أصحاب كتب الحديث السابقين على البخاري، وَقَدِ احْتَوَتْ كُتُبُهُمْ نِسْبَةً كبيرة جدا مِمَّا في صحيح البخاري مِنْ أحاديث، فإذا أضفنا إليهم كتب معاصريه كالإمام مسلم (261 هـ) والإمام ابن خزيمة (311 هـ) وغيرهم ثم اللَّاحِقِينَ؛ وجدنا أنّ ما رواه البخاري في صحيحه مِنَ الأحاديث النبوية موجود في تلك الكتب ومكرّر ومحفوظ، وهي بالعشرات، وليس الحديث عن كتابين أو ثلاثة أو خمسة.

فإذا اختفى البخاري كُلُّهُ، لا نسخته الأصلية فقط، لَما أنقص ذلك شيئا مِنَ الأحاديث الصحيحة، فدينُنا ليس مَبْنِيًّا على رَجُلٍ واحد أو على صحيح البخاري وحده، وإنْ كانت له مكانته الجليلة لمواصفات علمية اجتمعتْ فيه، وَجَعَلَتِ العلماء يُقَدِّمُونَهُ على غيره، فجزاه الله عن أمّة الإسلام خير الجزاء. انتهى من موقع الأستاذ الباحث مصطفى كامل

قلت: وَلْنَرْجِعْ إلى ما كُنَّا بِصَدَدِهِ:

يقول رشيد أيلال: إننا إزاء معضلة حقيقية، فكل المحدثين يعرفون هذا، لكنهم يتجاهلونه، ويغلطون الناس، ويخفون الحقيقة المرة، كل هذا فقط ليعيش الكهنوت، فهو يقتات على مثل هاته الخرافات، ويحقق وجوده منها وبها، وبالتالي لا يمكن أن يستغني عن هذا التراث المليء بمنابع الإرهاب، التي وجب تخفيفها، والقضاء عليها قضاء مُبْرَماً. انتهى (صفحة: 279)

قلت: إنها أيلاليات أيلال.. إنها شطحات رشيد أيلال.. يخاطب القراء وكأنهم أُمِّيُّونَ.. لا يقرؤون ولا يكتبون. فقد حَشَرَ في كتابه الأسطورة نُقُولًا وَنُقُولًا.. وظن نفسه أَلَّفَ كتابا.. ظن أنه بهذا الكتاب الملفق، سيكون قد حاز قَصَبَ السَّبْقِ.. سيكون قد أنهى ما أسماه بأسطورة صحيح البخاري.

وهو في هذا النص، ينعت علماءنا الأبرار بالكهنوت، وبطريقة أخرى يُكَفِّرُهُمْ بغير حَقٍ، لأن الكهنوت هم رجال الدين المسيحيون. بل يتحدث عن هذا الكهنوت الذي يَقْتَاتُ، على حسب قوله، على الخرافات. وكأنه يتحدث عن فصيلة من القرود في طريقها إلى الانقراض، تَقْتَاتُ من أوراق الشجر.

وهكذا يَتَبَيَّنُ لَكُمْ أيلال ذاك الساخر الْمُتَهَكِّمُ. ولْتَقْرَؤُوا قول الباري عز وجل: "يا أيها الذين آمنوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ من قَوْمٍ عسى أن يكونوا خَيْرًا مِنْهُمْ". الحجرات 11

قلت: والذي أخشاه أن يكون أيلال من الْجَهَلُوتِ الذي يَقْتَاتُ على الْعَبَثِ والْبُهْتَانِ.

هكذا أحلام اليقظة، قد يحسبها العاجز المتخاذل حقيقة، وَيُحَقِّقُ فيها ما لم يستطع أن يحققه في واقعه المعاش.

أقول: أولا: أَتَحَدَّى رشيد أيلال، بعد أن أثار العشرات مِنَ الشُّبُهَاتِ حَوْلَ صحيح البخاري، أتحداه أن يَضَعَ أصبعه على شبهة واحدة مِنْ هذه الشُّبُهَاتِ.. شُبْهَةٍ واحدة أَتَتْ مِنْ عِنْدِهِ.. شُبْهَةٍ غير منقولة عمن سَبَقَهُ مِنَ الْمُرْجِفِينَ. وَلْيَرُدَّهَا عَلَيَّ إِنِ اسْتَطَاعَ!

إن رشيد أيلال غائب في هذا الرُّكَامِ، فَهُوَ يَنْتَقِلُ طُولَ الوقت من كتاب إلى كتاب ومن موقع إلى موقع. لكنه يكون حاضرا حين يُصَفِّقُ لما ينقله، وكأن ما ينقله لا يَقْبَلُ النَّقْصَ والنَّقْدَ.. ويكون حاضرا حين يأتي بالنص من القرآن الكريم أو الحديث الشريف، أو نقلا عن أحد علماء الإسلام، كابن حجر وغيره.

يأتي بالنص، ثم يُؤَوِّلُهُ حسب هواه، ويعتمد على تأويله الخاطئ، ليستنتج منه أحكاما غريبة، يؤدي إليها تأويله المنحرف عن الصواب.

وتجده حاضرا حين يَسُبُّ مِنْ أبرار الأمة، مَنْ أسماهم بالكهنوت، ويَنْعَتُهُمْ بالكذب والتزوير، بل حتى بالإرهاب أحيانا، دون حق.

إن كتاب الأسطورة الذي جناه أيلال، قد أفسح المجال للشباب ولِغَيْرِ الْمُخْتَصِّينَ من الكبار، رجالا ونساء. أفسح لهم المجال لكي يتعرفوا على الإمام البخاري عن كثب.

لكي يتعرفوا على تفانيه رحمه الله تعالى، منذ صباه في الذَّوْدِ على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.. ويتعرفوا على رجل جَشَّمَ نفسه مجهودات جسيمة، وأسفارا شاقة، من أجل تصحيح أحاديث خير الخلق وإمام الحق صلى الله عليه وسلم. كل ذلك، رغم قِلَّةِ اليد وشَطِّ االمزار وتَبَاعُدِ الديار، وبساطة وسائل النقل.

أَفْسَحَ لهم المجال، لكي يُتَابِعُوا روايات صحيح البخاري وَنُسَخَهُ تلميذا عن تلميذ، بسندهم إلى محمد ابن إسماعيل البخاري.

أفسح لهم المجال، لكي يُدْرِكُوا مدى اهتمام علماء الإسلام، في مختلف العلوم وفي مختلف الأمصار، بهذا الكتاب، شرحا واستدراكا واستخراجا، بل واستشهادا بأحاديثه في كتب العقائد والفقه والأصول والتفسير والحديث.

فمهما حاول هؤلاء المرجفون تشويه هذه القصة المفعمة بآيات التَّفَانِي والجهاد، وأمارات الإيمان الصادق والنية السليمة. فإن جميع محاولاتهم الدنيئة، لا تزيد القصة إلا رونقا وجمالا.

ولعل رشيد أيلال، أسدى معروفا للإسلام والمسلمين، بغير قصد.

فقد أضحى بكتابه الأسطورة هذا، سببا من أسباب إتاحة الفرصة للمسلمين أن يطلعوا، عن قرب، على واحد من رجالاتهم العظماء، الذين خَلَدُوا في قلوب الأمة، "خير أمة أخرجت للناس"، بما أسدوا لدينهم الحنيف، وبحفظهم لسنة نبيهم السمحة المطهرة صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم.

وبهذا، يكون رشيد أيلال، قد جنى على نفسه، من حيث أراد أن يَجْنِيَ على غيره.

وكما يقول المثل العربي: "عَلَى نَفْسِهَا جَنَتْ بَرَاقِشُ".

ولَيْتَهُ سَكَتَ.. فإنه بسكوته سيبقى في منأى عن لعنة أجيال قادمة من المسلمين.

وفي الختام، أعترف بالمعروف الثاني الذي أسداه لنا رشيد أيلال.. فهو بِحَشْرِهِ هذه النقول في كتابه الأسطورة. سيبقى كتابه، مهما توالت السنون.. سيبقى كتابه يُضْرَبُ به الْمَثَلُ في مؤسسات البحث العلمي من جامعات ومعاهد ثقافية، يُضْرَبُ به الْمَثَلُ لِمَا يَجِبُ على الباحث اجتنابه في بحثه وتأليفه

مِنَ الأساليب السُّوقِيَّةِ، والتأويلات الماكرة، والمنهجية الرَّثَّةِ القائمة على الكذب والزور والبهتان، بالإضافة إلى السَّبِّ وَالشَّتْمِ وَالتَّجْرِيحِ.

كتابك يا أيلال، أَيْقُونَةٌ في سِجِلٍّ عنوانه: ما على الباحث اجتنابه في بحثه، حتى لا يَضْرِبَ ضَرْبَةَ لَازِبٍ، ويقع في الفشل الذريع، وفيما لا تُحْمَدُ عُقْبَاهُ.

كتابك يا أيلال خير مثال، لكاتب لم يكتب شيئا.. ولمؤلف لم يؤلف شيئا.

كتابك يا أيلال.. مثال لكل من يخوض بحارا لا ساحل لها، وهو لا يتقن العوم.

كتابك يا أيلال.. سيبقى مثارا للضحك والسخرية من الناس أجمعين.

وفي الختام أقول:

لا يشرفنا، نحن المغاربة، إصدار كتاب رشيد أيلال: الأسطورة، في بلدنا الحبيب المغرب الأقصى..

فرشيد أيلال مِنْ مواليد مدينة مراكش.. عاصمة المرابطين والموحدين والسعديين، دول تعاقبت على هذا البلد وحافظت على أسسه الدينية من عقيدة أهل السنة والجماعة ومذهب إمام دار الهجرة.

مراكش الحمراء، عاصمة النخيل، ومثوى سبعة رجال من الصالحين بَلَغَتْ شُهْرَتُهُمُ الْآفَاقَ.

وَيُشَرِّفُنِي أن أكون، أنا عبد ربه، مِنْ بين مَنْ رَدُّوا على هذه المهزلة، مِنْ كُلِّ مَنْ له غَيْرَةٌ على هذا الدين، وأن أكون مُنْتَمِيًا إلى المغرب الأقصى، هذا البلد الأمين، حَيْثُ خرج ما جناه أيلال.

وفي الختام، أدعو جميع المسلمين في العالم أجمع، إلى ألا يأخذوا فتاوى دينهم، إلا من الجهات الرسمية الخاصة بالإفتاء، في البلد الذي ينتمون إليه.

وَأُنَبِّهُ المغاربة، إلى أن لَدَيْنَا في المغرب: "الهيئة العلمية المكلفة بالإفتاء". وهي هيئة مُحْدَثَةٌ لدى "المجلس الأعلى"، كما نص عليه الظهير الشريف.

بالإضافة إلى المجالس العلمية، التي لا يخلو منها إقليم من الأقاليم في المملكة الشريفة، لكل إقليم مجلسه.

فلا داعي، رعاكم الله، لأخذ الفتوى مِنْ كُلِّ مَنْ هَبَّ وَدَبَّ.

ولو التزم الناس بما قلت، لما تركوا مجالا للرؤوس الجُهَّال، يُفْتُونَ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَيَضِلُّونَ وَيُضِلُّونَ.

فهرس كتاب: أيلاليات صحيح البخاري نهاية أسطورة

	صادق النجمي